

تشخيص  
الكارما  
متابعة الحوار

**С .Н. Лазарев**

# **ДИАГНОСТИКА КАРМЫ**

**ПРОДОЛЖЕНИЕ  
ДИАЛОГА**



س.ن. لازاريف

# تشخيص الكارما متابعة الحوار

ترجمة  
لجنة الترجمة

## ♦ تشخيص الكارما متابعة الحوار.

- تأليف: س.ن. لازارييف.
- ترجمة: لجنة الترجمة.
- سنة الطباعة 2017.
- الترقيم الدولي: ISBN: 978-9933-18-112-3

## جميع الحقوق محفوظة لدار مؤسسة رسلان

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

### دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا - دمشق - جرمانا

هاتف: 00963 11 5627060

00963 11 5637060

فاكس: 00963 11 5632860

ص. ب: 259 جرمانا

darrislansyria@gmail.com

### دار علاء الدين

للنشر والطباعة والتوزيع

سوريا - دمشق - جرمانا

هاتف: 00963 11 5617071

فاكس: 00963 11 5613241

ص. ب: 30598

daraladdinsyria@gmail.com

وفاء لذكرى

السيدة زويا ميخائيلينكو

لدورها الكبير في مسيرة دار علاء الدين



## مقدمة

إن وظيفة أي علم تأمين متطلبات جسم الإنسان والوعي المرتبط به. والهدف الرئيس لأي دين هو تأمين احتياجات الروح الإنسانية والوجدان المرتبط بها. والكون واحد في الزمن والفراغ، وأي غرض فيزيائي، وكذلك أي كائن حي، يحمل في نفسه معلومة عن كل درجات تطوره منذ لحظة نشوء الكون. وتتوضع هذه المعلومة عند الإنسان والحيوان في الجينات، مبتدئة بظهور وحيدات الخلية، ثم النباتات، والأسماك... إلخ. وعلاوة على ذلك فإنه في وعينا الباطني توجد معلومة ليس فقط عن الماضي، بل عن مستقبل الكون أيضاً، وهذه المعلومة أكبر كثيراً من تلك التي ترتبط بوعينا وغلافنا الفيزيائي.

إن النتيجة بسيطة: من دون رؤية دينية متطورة، أساسها تقديم الحب والقيم الأخلاقية على كل القيم الإنسانية، لا تتمكن أي حضارة من البقاء. وهذا يعني ضرورة السعي الدائم للخالق، واجد الكون، وتقوية الوحدة معه في كل ثانية، لكن اتباع المسلمات الدينية لا يحل محل المحاولات الشخصية للسعي للخالق، فلكي يمشي الطفل الصغير ويتكلم لا بد له من مساعدة الأهل، أما فيما بعد فيتوجب عليه عمل كل شيء ذاتياً.

لقد تحدثت في كتبي عن محاولات الإدراك الإلهي في نفوسنا، حيث بدوت مجرد هاوٍ سطحي، وأنا أدرك هذا، ومع ذلك سأحاول متابعة هذه المحاولات، وآمل أن يقودني التطور المستقبلي إلى الفهم الصحيح، وإلى استقبال كل ما كتبه على نحو أفضل، ليس كنصائح محددة، ولكن كقصة عن تجربتي الشخصية. سئل بروفيسور: «ما أهم شيء في عملك كمدرس؟»، فأجاب: «تلقين المعلومات ليس مهماً، والمهم هو تعليم الطلاب كيفية الحصول على المعلومة، واستخدام المعلومات التي حصلوا عليها بشكل صحيح».



وفي هذا الكتاب أقوم بإعطاء بعض الاحتمالات لفهمي لبعض المشكلات، وبالنسبة لي لكي أفهم شيئاً ما، لا بد لي من اللجوء إلى مئات الاحتمالات لإيجاد مدخل لمعالجة مشكلة واحدة. لقد كنت أورد في السابق مثلاً واحداً كنتيجة عامة، أما الآن فأقدم عدة احتمالات، متفهماً أن أي نتيجة يمكن أن تخضع للتطور لاحقاً، أي يمكن أن تتغير، ففي المنطق الإنساني لا يمكن أن يكون أي شيء متجمداً، ولا يوجد شيء إنساني دائم. إن جوهر المعاناة هو تغير الإنسان، وفي الدرجة الأولى تغير تفكيره ونظرته للعالم، وليس الغذاء ونمط الحياة.

لقد توصلت هنا إلى ما هو مشابه لمحاضراتي في موسكو وفي بيتربورغ، ففي اليوم الأول معلومات عامة، وفي اليوم الثاني معلومات محددة، لذلك قررت متابعة هذا الكتاب وتخصيص مكان للمسائل الفنية، أملاً أن تساعد كتبي هذه قرائي في التغير البناء باتجاه الخير لأرواحهم وأنفسهم وأجسامهم.



# القسم الأول







تلميذة في المدرسة تسأل:

ما العمل والتصرف إذا أصرروا على أن تعمل مكرهاً شيئاً لا تريده؟  
- كثيراً ما أسأل عن الفرق بين الفخر والتكبر:

إن الإنسان الذي يتصرف بفخر يحمي نفسه، أما الذي يتصرف بتكبر فيحط بهذا من قدر الآخرين، ولا بد من الوسطية في التعامل مع الناس. فلكي تفهم الآخر يجب عليك أن تتجاوز مصلحتك إلى درجة ما، وهذا لا يعني انصياعك أو تبعيتك لأحد، فأنت تكون تابعاً إذا صغرت اهتماماتك وأهدافك وهانت عليك نفسك، لذلك فإنه يتوجب عليك أن تقاوم إذا أراد أحد ما إجبارك على ارتكاب فعل لا أخلاقي يقتل الحب في نفسك. فعلى سبيل المثال: إذا دعا الأصدقاء صبيّاً للعب كرة القدم، وكان لا يريد ذلك، فإنه من الطبيعي أن يتغلب على نفسه، ويلعب معهم مستجيباً لرغبة الجماعة. أما إذا أرادوا أن يجبروه على قتل هرة للتسلية أو على المساعدة في سرقة، فلا بد له من أن يرفض، فنحن إذا لم ندافع عن الحب في ذواتنا ولو بالسلوك القاسي، فإننا سنغدو عبيداً في داخلنا لأشخاص آخرين، سنعرض نفوسنا وصحتنا ومصيرنا للألم.

لقد طرد يسوع المتاجرين من المعبد لإنقاذ نفسه، ففي الإنسان يجب ألا يندمج ما هو إلهي مع الحياة البشرية، والوعي والرغبات، وعند ذلك يشعر الإنسان بالفرق بين إذلال الجسم وقهر النفس، وبين الإذلال الإلهي، فلا يغدو كالعبد الذي يكره



كل من حوله، ولا كالسيد الذي يحتقر الجميع. لذلك فإنه من المهم، عند تعرضك للإهانة، أن تحافظ على ما هو إلهي في نفسك، فلا تغضب، لكن لا تسمح بتهديم قيمك الأخلاقية.

**ما العمل للتخلص من الخوف من الارتفاع؟**

**أكاد أفقد الوعي إذا تخيلت حافة السطح الذي أقف عليه، وهذا الخوف آخذ بالازدياد.**

- ما الخوف من الارتفاع؟ إنه خوف على الحياة، والمستقبل.

إن المشكلات في المجال الجنسي تخرج إلى سطح وعينا على شكل خوف واستياء وعصبية، فإذا لم يكن بمقدورنا أن نحب، أي إذا اقترن حبنا بشروط ومطالب، وفيما بعد باستياء وعصبية، ومن ثم بإدانة، فإنه هذا يقوّي الارتباط بعناصر الحياة الأساسية: وهي الميل الجنسي، والحبيب، والأطفال، والأسرة. وكلما اضمحل حب النفس نمت العلاقة بالعالم المحيط بنا، وهذا يؤدي إلى نمو الخوف من الخسارة، حيث يخاف الإنسان من الارتفاع، والوحدة والظلام، وقد يفقده منظر الدم وعيه، وفي كثير من الأحيان يصبح نباتياً، ولا يحتمل نفسياً مشهد موت حيوان، وقد يسبب له موت الأقارب والمقربين توتراً شديداً، فنقطة الارتكاز قد انزاحت في الوعي الباطني من الحب الإلهي إلى الحياة البشرية. كيف يتم التخلص من هذه الحالة؟ في الدرجة الأولى يجب أن تتعلم أن تحب، فإذا أساء إليك إنسان تحبه، تابع في محبته كأخ، أو كابن، أو كأب، وهذا يساعدك على أن تحتفظ بالعلاقة مع الله. ويجب أن تزيد مسافة ابتعادك عن السعادة البشرية، وأن تباعد في داخلك عن أقرب إنسان إليك، فالوحدة الكاملة يمكن أن تكون فقط مع الخالق، وهذا أبعد حد للسمو بالنفس.

إن التبعية تتقوى بالغذاء، لذا فإن التحديد المنظم للطعام يساعد النفس على إضعاف الارتباط بالعالم المحيط. إن المستهلك مرتبط بالعالم، والمعطي حر، وكلما كنا جاهزين أكثر للعطاء (ليس مالاً، لكن حرارة روحية، وعناية أو اهتماماً)، كانت طاقتنا أعلى، وكانت تبعيتنا للعالم المحيط بنا أقل. القواعد بسيطة، ويبقى فقط تنفيذها.



ما إن أفكر في الرب حتى أبدأ بالبكاء، لماذا؟

- إن الوعي (الوجدان) الباطني لأي كائن حي يرتبط بالنموذج الجيني، ومكوناته العقلية التي تحمل المعلومات عنه. حتى بعد خراب جسمه، يجب أن يبقى المضمون محافظاً على استقراره، حتى ولو تعرضت الأشكال والهيكل لتغيرات حادة، وإلا فإن هذا لن يكون ارتقاءً بل هلاكاً. وبقدر ما تكون نفس الإنسان أقوى، بقدر ما يكون جسمه أكثر قابلية للحياة. إن نقطة الاستقرار العليا في الكون هي تلك التي لا تتهارأبدأ بمرور الزمن، أي إنها خالق الكون. فكلما كان الانهدام الخارجي أشد، كلما كان السعي إلى مركز الاستقرار أقوى، لذلك فإن ارتقاء أي غرض في الكون يوجب دعم استقرار مركبته المعلوماتية، وهذا غير ممكن من دون التركيز على العلة الأولى. وبلغة بسيطة: إن تطور أي كائن حي يتحدد بإطار، جامد ويتحول إلى اضمحلال وانقراض ما لم يقترن بسعي داخلي للرب.

عندما يموت إنسان، تعمل آلية لإنقاذه أوتوماتيكياً، ويتمثل هذا في سعيه الظاهري أو الباطني للخالق، ويمكن أن يقترن هذا السعي بصور مختلفة تتعلق بمستوى تطور هذا الإنسان. ثمة آلية أخرى يجب أن تعمل أيضاً لإنقاذ الإنسان، ليس فقط عند مواجهة الموت، ولكن عند التعرض لأي خسارة، أو انقطاع للعلاقة مع العالم المحيط، ويمكن إضعاف وتقوية هذه الآلية. لقد لاحظ الناس هذه الظاهرة، وثنوها حتى في قديم الزمان، فإذا أعطيت شيئاً ما برضى، أو قبلت الخسارة التي تتعرض لها وكأنك أنت مسببها، فإن هذا يحسن قدرك وصحتك. والتضحية واحدة من أهم المسلمات الدينية، حتى في الأزمنة الموعلة في القدم.

كثيراً ما يكتب لي في محاضرات «المادة» قصاصات بالمضمون التالي: «عندما كنت في محاضرتك، ارتفعت حرارة طفلي في البيت وترافقت بقيء وإسهال». أوضح ذلك: إن الأم مرتبطة بطفلها ارتباطاً وثيقاً، فإذا كانت مفطورة على حب الله تحدث لطفلها تنقية عنيفة، تخفض ارتباطه بالعالم وعلاقته به، فالدموع والقيء والإسهال عبارة عن خسارة طوعية للجسم في شيء منه، هي تضحية



في الوقت نفسه ، يقدمها الجسم كي يتحسس حب الخالق ، فأنت تبكين ، أما طفلك فيأتيه القيء والإسهال.

### تهوى ابنتي زميلة صف سابقة، ما العمل؟

يمتلك كل من يعاني من توجه جنسي غير عادي مشكلات جدية في وعيه الداخلي من الناحية الجنسية. ولقد رأيت الشيء نفسه عند كل الناس الذين أتوا إلي ، ولديهم هذه المشكلة.. ألم مستمر من دون انقطاع ، توتر في العلاقات مع الحبيب. ويجب أن يكون الألم المطهر للنفس ، عند قدوم أطفال ، أكبر بكثير مما هو عليه وسطياً عند الإنسان العادي. تؤدي استمرارية التطهير إلى انفجار كبير في العدائية ، وإلى انهيارات لاحقة: ففي المراحل الأولى يعاني الجسد ، وتظهر أمراض جسدية ، وانزعاجات مصيرية ، وتعاني الروح والوعي إذا كان التعلق بالسعادة البشرية قوياً ، ويمكن أن تنشأ أمراض نفسية. أما عند الاستمرار التام بالتعلق بالسعادة البشرية ، فإن النفس تبدأ بالانهيار ، ويتغير التوجه الجنسي ، ويمتدح الوعي الباطني عن الاستمرار بالحياة ، ويترافق ذلك مع انخفاض الألم اللازم لتطهير النفس. وقد يتيح هذا لشخص ما فرصة البقاء على قيد الحياة ، لكنه يقلل الفرص المتاحة للمجتمع لكي يستمر في الحياة. إن هذه المشكلات تهزم المجتمع الذي لم يحسن تربية أبنائه ، والذي وضع لهم أهدافاً غير صحيحة ، وأعطاهم نظرة ناقصة ، وغير مكتملة للحياة. فإذا لم يعلم المجتمع المرأة الحب الرباني ، فإنه سيعاني وسيأخذ بالانقراض. أما التقدم العلمي والتقني ، فيمكن له فقط أن يسرع انحلال النفس. إن أحد أهم أسباب ظهور اللواط والسحاقيات في العالم ، هو عدم مقدرة أهلهم ، لا سيما الأم على عبور عملية التطهير قبل حمل وولادة الطفل ، فإذا لم يكن قد تشكل لديهم وعي للحب الإلهي ، وتوحد مع الخالق ، فإن أي ألم في الجسم ، أو في النفس يصبح مستمراً ، ولا يتورع الإنسان عن قتل مصدر الألم أياً كان ، سواءً أكان هو نفسه ، أم العالم المحيط به ، وذلك في سبيل إيقاف معاناته.

وتظهر العدائية العاطفية التي تسد الطريق إلى الرب عند أغلب النساء عن طريق الكآبة ، وعدم الرضا من الظرف والقدر ، وعدم الرغبة في الحياة ، وكلما



حاولت المرأة بقوة أكبر، أن تقتل حبها كلما كانت فرص ولدها في تجاوز أي حالة مرضية أقل، وعند ذلك تدمر المستقبل لكي تعيش الحاضر.

إن الزيادة الحادة لعدد اللواط في العالم تشهد على أن العالم مريض في الوقت الحاضر، وعندما تمرض النفس ولا يوجد من يستطيع تخليصها، أي من دون حب الله، فإن الجسم يصبح محكوماً بالانحلال والموت.

قلبي النظر في ماضيك، واقبلي كل ألم حل بجسمك ونفسك، وأي انتقاص نال من سعادتك البشرية، وكأنك تلقين شيئاً إلهياً، وعند ذلك تثق نفسك بذلك، ويمكن لصلاتك من أجل ابنتك أن تغيرها.

ليس لدي أي شك في أن نتائج مرض نفوسنا في الحاضر، قد تتمثل في المستقبل في انقراض الحيوانات وهلاك النباتات، وفي إمكانية دمار البشرية، أي في المعاناة في فيزيائية العالم مستقبلاً.

إن النفس الفارغة، والضعيفة، والتي لا تحمل حباً، لا تمنح الجسم فرصة البقاء على قيد الحياة، فحبة القمح الفارغة في داخلها لا يمكن أن تعطي سنبله قمح جيدة.

قال يسوع: «بسبب ازدياد عدم الشرعية، يبرد الحب عند كثيرين». إن العالم يهلك أمام أعيننا، وعلى الرغم من ذلك فإني لا أفقد الثقة في أن هذا المأزق سيدفع الإنسانية للانبعاث والخلاص. إن التغيرات القوية والعميقة عند أي كائن حي تشبه الموت، لذلك فإننا كثيراً ما نتدبر الخطوات العملية للخلاص عندما نرى أن فرص العيش والبقاء لم تعد موجودة.

إذا أردت أن تساعد ابنتك، فاجتازي عبر تجربة موتك، وابتعدي عن كل ما هو عزيز عليك. لكن قبل ذلك علمي نفسك حب العالم المحيط، وحب نفسك وقدرك كيفما كانا، ومهما سببا لك من آلام.

**هل الصلاة ممكنة في الحافلة أو السيارة... إلخ؟**

من الأسهل إقامة الصلاة في مكانٍ خالٍ، حيث يكون المرء في وحدة وانعزال جسدي وروحي، أما إذا كنت لا تضجر، ولا تمتعض إذا ديس على قدمك، أو دفعت، أو تعرضت لإهانة في وسائل النقل العام، فإنه لا بأس من أن تصلي هناك.



وهنا أذكر أني قرأت نظرية عن مرض كونفوشيوس ، إذ نصحه العلماء: «صلّ فإن ذلك يخفف عنك» ، هز كونفوشيوس كتفيه وأجاب: «أنا أصلي دائماً». فمن حيث المبدأ يتلخص العمل من أجل النفس في النقل العام في العلاقة المتسامحة مع الناس، وفي التساهل في المواقف التي لا تروق لك. فالصواب من وجهة نظري، أن تستمر في حب من لا يعجبك ، وأن تحاول إعادة تربيته دون أن تنسى أن تربية الغير تبدأ أولاً من تربية الذات. ويجب أيضاً أن تحب المواقف التي قد لا تعجبك، وهذا لا يعني عدم قيامك بتأثيرات فعالة لتغييرها. وهنا أؤكد مرة أخرى أنه ينبغي ألا ننسى أن سبب أيّ حالةٍ تتشكل حولنا ، ينبع من أعماقنا ، ويتناغم مع عاطفتنا بالغاً درجة التجاوب الحاد معها. فكل ما يحدث حولنا يتوافق تماماً مع حالتنا العاطفية الكامنة في أعماق أعماقنا. ولا يحدث ما هو عدائي حولنا ما لم تكن العدائية كامنة في روحنا. والروح التي تنسى الرب، وتترك حبه، تتجه بشكل آلي إلى البخل والحسد والعصبية ، وتمهد السبيل لجرائم قادمة ضد الحب والناس.

وعندما يستاء الإنسان، يستتكر، ويكره، رداً على الأحداث غير الطيبة التي قد يتعرض لها ، فإنه يزيد من تفاقم مشكلاته دون أن يفهم أن هذه الأحداث تصيب روحه ووجدانه ، فإذا ديس على قدمك أو أسىء إليك ، فإن هذا يعني في نهاية المطاف أن روحك تنقصها القدرة على الحب، وهم يذكرونك بذلك. اقبل هذا ، واضحك في داخلك.

يرى أحد معارفي أنه يتوجب على الإنسان المؤمن أن يؤمن أولاً ، ثم يأتيه الحب الإلهي، فإذا لم نكن مؤمنين، فإننا لن نستطيع أن نحب ذلك الذي لا نؤمن به. الرجاء التعليق على وجهة النظر هذه.

الحب موجود دائماً في وجداننا على شكل توحيد مع الخالق، فباتجاهنا بالحب إليه ، نتحد مع الكون كله ، وتصبح عملية المعرفة والبقاء ممكنة. وإذا راجعنا تاريخ ظهور الإنسان ، نجد أن مفهوم الدين ظهر عند الإنسان منذ البداية عندما تشكل لديه مستوى عالٍ من الفهم، وقد حدث هذا حسب المقاييس التاريخية منذ فترة غير بعيدة نسبياً. فحتى الإنسان المبتعد عن الدين يمكن أن يعيد صياغة نظريته للعالم ، وأن يغير منظومة قيمه ، فيصبح تطوره وارتقاؤه مفهوماً بالنسبة له.



أما المخاوف والشكوك فتقف في وجه الحب، وقد تؤدي إلى إضعاف الحب الإلهي في الطبقات السطحية لوعينا الباطني، وفيما بعد تأتي التعاسة والأمراض.. إلخ. لكن الإيمان يساعدنا على التحرر من المخاوف، والشكوك، ويمكننا من التغلب على الارتباط بالوعي المتعلق بالجسم الذي يجبرنا على الشك والخوف والاستنكار. فعندما لا يستخدم الإنسان المنتمي إلى الحضارة الشرقية وعيه أثناء الاستغراق والتعب، وعندما يحفظ الإنسان الذي ينتمي إلى الحضارة الغربية الإيمان بربه بغض النظر عن منطقية الأحداث الدائرة حوله، وقساوتها وعبثيتها، فإنه في هذه الحالة وتلك يتم التغلب على الارتباط بالوعي، وتحديدًا بالطبقات السطحية، مما يتيح للإنسان أن يتحسس الوحدة مع الخالق عبر الحب الموجه إليه. وهكذا فنحن أمام تناقض ظاهري حيث يمكن للإيمان بالله أن يكون الحلقة الأولى، ويمكن أن يكون الحلقة الثانية. لكن لو نظرنا بتجرد، وخرجنا إلى مستوى طاقة أعلى، وإلى منهجيات أكثر دقة، فإننا نرى أنه لا يوجد تناقض، فالإيمان يساعد الحب بواسطة الوعي المرتبط بالجسم على المستوى السطحي الخارجي، أما الحب فيساعد الإيمان على المستويات العميقة جداً.

لذلك فإن الإيمان كأعلى أفق للوعي، والحب الإلهي كأعلى أفق للأحاسيس، يصبحان وحدة متكاملة.

**كيف تفهم قولهم: «يغفر كل شيء للإنسان عدا الانتقاص من الروح القدسية»؟**  
في اللحظة الحالية أنا أفهم هذا القول كما يلي: عندما يتصرف الإنسان بشكل غير مقبول قد يولد الاستياء القوي من إنسان آخر، استنكاراً أو امتعاضاً يتضحان من العواطف والأقوال. ولن يظهر لهذه العدائية أي أثر في الصحة والمصير ما دامت باقية في الوعي، أما إذا شحنت العدائية في الوجدان (الوعي الباطني)، ويحدث هذا عند الاستياء المديد، أو قويت بالنظرة للعالم، أو تراكمت بسبب الأهل، أو الإنسان نفسه أثناء سنوات طويلة، فإنها تمكث هناك طويلاً، وتخرج فقط عند الموت والمرض والنكبات.

تنبئ التعاليم الهندية الكلاسيكية عن الكارما بأن الإنسان يجب أن يتخلص من كل أفعاله الخاطئة. لقد كان هذا معقولاً في تلك اللحظات التاريخية،



فقدرة الإنسان كانت أضعف، وإمكاناته في التغير كانت في الحدود الدنيا، وكان مطلوباً إِمضاء عشرات السنين في الزهد والنسك ودراسة الكتب المقدسة، للتغلب على الأخطاء التي ارتكبتها نفس الإنسان.

أما في الأديان الأكثر تأخراً من حيث الفترة الزمنية، فلقد ظهر مفهوم التوبة أو الاعتراف، وهي تعبر عن تغير علاقة الإنسان بالعالم، وتغير رؤيته له، وفي النتيجة تغير في وجدانه عن طريق حبه للرب.

بعد تحليل مئات وآلاف الحالات التي تعرض لها مرضاي لاحظت خاصية واحدة: هي أن الاستياء الطويل من الجار قد يسبب مشكلة، أما إذا كان هذا الاستياء متعلقاً بمجموعة من الناس، يجمعهم مؤشر اقتصادي، أو اجتماعي، أو قومي، أو ديني، فيكون تأثيره أكبر، وحله أصعب. إن الإكثار من اتهام الحكومة والمجتمع، قد يسبب أمراضاً ثقيلة جداً لعدة أجيال، وقد يؤدي إلى الانقراض التام. فالعدائية تقترب من حدودها القصوى إذا كان الإنسان يحسب أن العالم قاسٍ كله، وأنه غير عادل، وفي اعتقادي أن هذا هو الذي يشكل انتقاصاً من الروح المقدسة. فإذا كنا غير راضين عن نظام الأشياء في العالم المحيط بنا، وغير راضين عن العالم نفسه، فنحن إذاً غير راضين عن ذلك الذي يقوده.

إن أي إنسان، حتى أكثر الناس إلحاداً، يعرف في وعيه الباطني أن العالم المرئي يقاد بما هو غير مرئي. «إن الانتقاص من الروح القدسية» هو في جوهره عدم قبول القوانين العليا التي يتطور الكون بموجبها. وفي هذه الحالة تخترق العدائية الوجدان عميقاً، وتقترب فرص التوبة والتكفير عن الخطايا من الصفر، ولا يبقى إلا الموت، وانقطاع النوع. وفي الديانة المسيحية، واليهودية، وبقية الأديان مسلّمة تقول بتحريم الانتقاص من الخالق وعدم قبول إرادته.

لنعد مرة أخرى إلى خصائص الوعي والوعي الداخلي: إذا كنّا لا نحب إنساناً على مستوى الوعي، فإن هذا يعني أننا نبتعد عنه ونزيد المسافة بيننا وبينه، فلا نريد أن نتقابل معه أكثر، ولا أن تكون لنا معه أمور مشتركة. لكن إذا كانت عاطفتنا هذه أعمق في وجداننا، فإنها تبدو تماماً غير ذلك. إنها



تبدو كما يلي: إذا كنت لا أحبه، فإن هذا يعني أنه سيئ من وجهة نظري، ولما كان سيئاً، فإنه يجب أن يزول، أي إن قتله ضروري، وفعلاً أباشر أنا بقتله، ويوجد فيما بعد مخرجان اثنان لا ثالث لهما: إما أن يموت ذلك الذي لا نحبه، أو أن نموت نحن.

إن وعينا الباطني يتفتح وينشط في لحظات الألم والخسارة والشدة، وهذا يعني أن أي انفعال نتعرض له في مثل هذه اللحظات يقوى لمرات عديدة. أما في فترات التفكير أو الصلاة، فإن وظائف الجسد والروح والنفس تُكبح، وتتحول الطاقة التي تذهب إلى الوظائف السطحية إلى المنهجيّات الداخلية الدقيقة، فتتضاعف إمكانيات الإنسان من حيث القوة، وتتضاعف أيضاً النبضة المدمرة. ويكون الوعي الباطني في قمة نشاطه عندما يعيش الإنسان شعور الحب، فنحن في وعينا الباطني نحب أهلنا الذين منحونا الحياة، وأي اتهام أو امتعاض أو عدائية نحوهما هو عداء لحياتنا نحن، ولنفسنا وجسدنا، لذا فإن الناس الذين لا يحبون أهلهم ويستأثرون منهم، لا يعيشون طويلاً، وأظن أن أحد أسباب طول العمر في القفقاز مرتبط بإجلال الوالدين واحترام الكبار.

تقول وصية من أهم وصايا اليهودية: «احترم أباك وأمك، لكي تطول أيامك». في هذا القول إشارة إلى العلاقة المباشرة بين عواطف الإنسان وصحته ومصيره.

يتفتح وعينا الباطني عندما نقع في حب إنسان ما، ويشكل حبنا في فترة البلوغ الجنسي عاطفة أطفال وأحفاد المستقبل. وإذا كنا لا نستطيع أن نحب، وإذا لم نكن سعداء بالعطاء، فإن هذا الحب يولد مجموعة ادعاءات واستياءات. والادعاء هو علامة ضعف وارتباط وتبعية، والتبعية تولد العدائية. وإذا لم يساعد الأهل طفلهم في هذه المرحلة على أن يتقبل العالم بشكل صحيح، فإن العواقب ستعكس على مدى عشرات السنين.

في مرحلة الوعي الباطني النشط أو المتفتح يتم الحب الأول، والزواج، والحمل، وولادة الأطفال. أما العواطف الداخلية العدائية في هذه المرحلة، فهي



تصرفات مضادة للحب. إليكم هذه الحالة: يستاء ولد من البنات منذ صغره، ولما أصبح شاباً، ظل يستاء منهنّ، دون أن يؤثر فيه ذلك بشيء، فصحته كانت جيدة. وبعد ذلك قابل تلك الفتاة التي أحبها، وكذلك أصبح يستاء منها. وبعد بضعة شهور مرض ومات.

مات لأن استيائه لم يكن بمعنى الاستياء، بل محاولة لقتل الإنسان المحبوب. إن العالم المرئي يقاد من قبل العالم غير المرئي، وعندما نستاء من العالم المرئي الذي يأتي في الدرجة الثانية، تكون عدائيتنا ما تزال غير كبيرة، ولا تزال لدينا فرصة، لأن العالم غير المرئي هو الذي يقودنا. أما إذا كان الذي يقودنا ويسيطر علينا مرئياً، فإن الاستياء منه قد لا يترك لنا فرصاً كهذه، ويمكن أن يولد المفهوم عن القوى العليا غير المرئية التي تقودنا ادعاءات ضدها، وهنا يجب أن نذكر أن الانتقال من الروح القدسية «غير جائز».

**هل لك أن توضح لماذا لا يجوز للمرأة أن تزور الكنيسة أثناء الدورة الشهرية؟**

يجب أن نضيع الحياة لكي نستمر بها. فنحن عندما تضيع منا الحياة نسعى للرب، ونسترجع في وعينا الباطني المنظومة الصحيحة للأولويات. وفترة الحيض هي ضياع للحياة المقبلة. وبقدر ما تكون المرأة في هذه الأثناء ساعية للرب، حافظة للحب في صدرها، طيبة النفس، بقدر ما يأتي طفلها صحيح الجسم.

إن العبء النفسي هائل جداً أثناء الحيض، وكأن موت المرأة والطفل وهلاكهما يحدثان في الوعي الباطني، وكلما كان ارتباطها من حيث النفس بالأمور البشرية أقوى، كلما ظهرت لديها عواطف الاستياء والتهيج والكآبة. وكلما كان اتهامها للرجل واستيائها منه أكبر، ازداد عسر الطمث لديها في هذه الفترة.

لقد تغلبت النساء، في الفترة الأخيرة، على أوجاع الحيض بواسطة الحبوب، ولم يعد هنالك ألم يكبح العدائية لدى المرأة، بل إن العمليات السلبية والعدائية ماضية تصاعداً في وعيها الباطني، والوعي الباطني هو العواطف العميقة جداً التي تتمثل في مجموعة الحقول الدقيقة التي ترتبط فيها عواطفنا وعواطف أطفالنا المستقبلية على حد سواء.



إن وعي المرأة الباطني العدائي هو نفسُ عدائية لطفلها في المستقبل، أما عدائيتها الداخلية، فهي أمراض وتعاسات وموت قادم. سمعت أنه يمكن للمرأة أن تذهب في فترة الحيض إلى الكنيسة، لكن لا يسمح لها بالاستناد إلى الأيقونات. ويحتمل أن ينسب هذا إلى أن الإنسان الذي لا يتغلب على سرعة الغضب والضجر والاستياء والكآبة هو عدائي تجاه شعور الحب، ويمكن أن يمرض بعد زيارة للمعبد، وفي هذا المرض تطهير لنفسه، لكن إذا كان هذا الإنسان ضعيفاً فإن هذا يمكن أن يولد عنده شكوكاً ومخاوف.

وبالمناسبة قيل لي إنه في أمريكا إذا صدف وتعرض طفل لخدش صغير، فإن أهله يقعون في حالة من الذعر، فهم يعقمون هذا الخدش باليود، ويضمّدونه، وإلى ما هنالك من إجراءات. ومن وجهة نظري، إن عدم تحمل الألم واحد من أسباب الانقراض العام الذي يسيطر في وقتنا الحاضر على سكان أمريكا. كذلك فإن قانوناً جديداً أدخل في كندا يمنع طلاب المدارس من اللعب في كرة الثلج لأنه مؤلم، ويسبب جروحاً، وينتقص من حقوق وقيمة الإنسان.

إن عبادة الجسد والحياة تؤدي إلى تحطيم الروح، فهي تولد الإحباط واللوطية والعقم إلخ.

لقد اقتبست بلاد الإغريق القديمة الفلسفة والقيم الروحية عن الهند، التي سادت فيها آنذاك عبادة الفلسفة والثقافة على نحو بدائي، مما أدى إلى ازدهار الاقتصاد والحضارة معاً. أما فيما بعد فلقد تغيرت عبادة الروح إلى عبادة للجسد، فانتشرت اللوطية، وأخذ الإنسان يقدس جمال الجسد والجنس، ثم انهارت الديمقراطية الإغريقية وانتهت بعد أن تركت الارتكاز على الدعائم الثقافية والروحية، وبدأ انهيار الحضارة بشكل عام. فالرب يعرف عن طريق الحب الدائم له، وعن طريق المقدرة على تقبل الألم وتحمله، ومن يريد أن يتجنب الألم، ويهرب منه، فإنه يهرب في نهاية المطاف من الحب.

لقد أجريت في سويسرا منذ فترة غير بعيدة تجربة تثير الفضول، إذ أنهم صوروا أطفالاً صغاراً مولودين حديثاً، لمدة ساعة على شريط فيديو، فكان تصرف الأطفال الذين لم تخضع أمهاتهم للتخدير أثناء الولادة طبيعي، أما الأطفال الذين لم



تعانِ أمهاتهم من آلام الوضع والولادة، فلقد امتنع نصفهم عن رضاعة الحليب من صدور أمهاتهم.

بقيت هذه الحقيقة من دون تفسير بالنسبة للعلماء، على الرغم من أن هذه الحالة الإحصائية تتكلم عن قانون خطير في سويسرا: فكل الأمهات المتعاطيات للمخدرات ولدن من دون أي ألم.

ما هو السبب؟ إن الألم والعذاب يجبراننا على السعي والتوجه للخالق، فإذا كان الحب شحيحاً فإن هذا يمكن أن يؤدي إلى تدمير ذاتي، أو كره للعالم كله، لذا فإنّ المعاناة الأساسية تعطى للأم عند الولادة وليس للطفل، فالطفل متحد عاطفياً مع أمه، ويتقبل معاناتها وعذابها كأنهما خاصين به. إلا أن الآلام عنده أقل من الناحية الفيزيائية، ولديه قدرة أكبر للتركيز على الحب، فأمه تحبه وهي تفرح وتسرو في الوقت نفسه تعاني، فيحصل الطفل على تجربة التغلب على الألم، والسعي للحب، ويتحول الحب البشري في لحظة الألم والقهر إلى حب إلهي. لماذا تولد الحيوانات من دون ألم خاص؟ لأن مستوى حماية الحياة ومستوى تطور الوعي عند الحيوان أقل بكثير، فيمكن للحيوان أن يموت في أي لحظة، وهو مهياً للموت، وتركيزه على السعادة والحياة أقل بكثير. وكلما كان مستوى تطور الإنسان أكبر، كلما توجب أن يكون ألمه الفيزيائي والنفسي أكبر، ويكون هذا الألم غير محمول إذا لم يتزايد الحب الإلهي في نفسه. إن زيادة عدد متعاطي المخدرات في العالم أجمع هو نتيجة مباشرة لعبادة وتقديس الحياة البشرية. ويشعر متعاطي المخدرات بألم نفسي غير محمول، يتمثل بشعوره بالهلاك، وتصبح الشدة النفسية بالنسبة إليه عقبة لا يمكن التغلب عليها، لذا يتوجب عليه أن يكتب وعيه ومشاعره لكي يبقى، وهذا يؤدي به إلى الإفراط في شرب الكحول وتعاطي المخدرات، وبالتالي إلى انحلال الشخصية.

المخرج بسيط: إذا نحن امتنعنا في لحظات القلق والألم والمشكلات الفيزيائية والنفسية عن الاتهام والاحتجاج، ولجأنا إلى الحب، وساعدنا أنفسنا بالصلاة، فإننا ننقذ بذلك ليس أنفسنا فقط، ولكن أطفالنا كذلك والقريبين منا.



قل لي من فضلك لماذا تضحل الرغبة الجنسية عند المرأة بعد الولادة، الأمر الذي يخلق مشكلات غير قليلة في الأسرة؟ فأنا لم أنجب أطفالاً لفترة طويلة، لذا نشأ عندي شعور بعد ولادتي المنتظرة بأنني أصبحت فارغة، فعواظي ومشاعري كافية للطفل فقط، ولم يبق لغيره لا وقت ولا قوة. قل لي هل يذهب هذا مع مرور الوقت، أم يجب تطبيق آخر ما لدي من قوى؟ وفي أي اتجاه؟

تأتي كمية هائلة من الأسئلة في المحاضرات، تطرحها النساء، وهي متعلقة بمشكلات العلاقات مع الرجال، وبمشكلات الأسرة، وبصعوبات في ولادة الأطفال، وسأوضح أسباب هذه المشكلات:

إن أرواحنا تتلاقى قبل لقاء أجسامنا بسنين طويلة، ولقد راقبت مراراً كيف تتبادل أرواح الأزواج - أي آباء المستقبل - التأثير على المستوى الدقيق، حيث تجري تربية متبادلة بينهما. إن المواقف المستقبلية تدور كلها وفق هذه المنهجية الدقيقة، وعبور هذه الحالة بشكل صحيح يضمن صحة الذرية.

إن روح الرجل لا ترى كيف تبدو زوجته خارجياً، بل تستقبل خصائصها الروحية فقط: قدرتها على أن تحب، استعدادها لتقبل الألم مع الحفاظ على الحب في لحظة الألم، تمكّنها من السيطرة على نفسها، قدرتها على الاهتمام بالآخر، وبذل الجهد والعطاء. يجب أن تكون معاملتك للإنسان الآخر موجهة لمساعدته على الإحساس بالحب الإلهي. إن أرواحنا تتعامل بهذه الطريقة، فإذا كنا نسير في الاتجاه الخاطئ، وكانت السعادة تشدنا إليها كثيراً، فإن روح الإنسان القريب تضمن منعنا عن التصرفات الخاطئة، الوقوع في الخطايا، ويمكن أن يؤهل هذا ظهور الأمراض التي نتقذنا من التصرف الخاطئ، وتحذرنا من الأخطاء المحتملة.

إن الإنسان الذي اعتاد على استقبال الإرادة الإلهية اللا مرئية، والقادرة على فعل كل شيء، يستطيع أن يستقبل هذه الإشارات، وهذه المساعدة، لذا فإن أرواح أطفالنا، وأرواح أحبائنا المستقبليين، يمكن أن تكون لمرحلة ما من الزمن ملائكتنا الحارسة، وإذا لم نرتد نحن عن الحب، فإنه مسموح لهم أن يساعدوننا، وهذا يفسر ما يحدث في كثير من الأحيان عندما يتقابل الناس، وينتابهم إحساس



بأنهم يعرفون بعضهم بعضاً منذ زمن بعيد جداً، فيقع الرجل في حب المرأة، وهو نفسه لا يفهم ما الذي وجدته فيها: طبعها، قامتها، وزنها، شكلها الخارجي، عمرها، فكلها أشياء قد تكون غير تلك التي كان ينتظرها، لكنه مع هذا يحبها. فإذا كان وعيه ومنطقه الخارجي قد اعتادا على ضغط المنطق الإلهي ومنطق الحب، فإن النقد والتحليل، والادعاءات يمكن أن تجبره على التراجع عن المرأة الحبيبة، ويأتي الموت عادة بسرعة في هذه الحالة.

إنه لمن الصعب جداً أن تحدد فيما إذا كنت تحب هذه المرأة أم لا، وهل هي تلائمك أم لا، فهذه الرؤية وهذه المعرفة تعطى لمن الإلهي في وجدانه أهمّ البشري، وكثيراً ما يتراجع الرجل الذي يغلب عليه المنطق والكسب والعجرفة إلى حد يفوق كل شيء، حتى حبه وأطفاله المحتملين دون أن يشك في ذلك، وبعد ذلك يتدهور عمله وصحته، ويموت ومصيره. أي إن الأرواح المريضة يقبض عليها وتتم إزالتها، ولا توجد فرصة عملياً لبقاء الإنسان الذي فقد الصلة بالخالق، فإذا التقى بمن يحب، وأصبح معاً، فإنه سيقتل على يديه، وإذا افترقا فإنه سيقتل نفسه. لماذا في الغالب لا تسير علاقات النساء بالرجال على ما يرام؟ لأن معنى هذه العلاقات قيام أسرة، وإنجاب أولاد. ومفهوم الأسرة يتعلق بالمرأة في الدرجة الأولى، ففكرة الأسرة ومعنى وجودها يتمثل في رؤية الأطفال لنور الحياة، ولما كانت المرأة هي التي تلد الأطفال، فإنه حتى تتم ولادتهم لا بد لأرواحهم من الحصول على قدر كبير من القدرة يأتيهم من أمهاتهم. إن الاتصال بالسبب الأول هو المنبع الرئيس والمستمر للقدرة، لكن حتى تستمد الروح الحب الإلهي والقدرة، فإن البشري فيها يجب أن يهدم ويتلاشى. إن الانقطاع عن البشري يترافق بالألم، وهذا الألم يكون أقل إذا كان الارتباط بالعالم أقل، لذا فإن الإنسان الذي اعتاد على أن يعطي الآخرين قدرة، وهذا يحدث بالاهتمام بهم عن طريق الإبداع والعمل، يكون أقل ارتباطاً بالعالم، ويتحمل الألم بسهولة أكثر. يمكن أن نبسط ونقول:

إن المرأة العاملة الطيبة النفس والمهتمة المعنوية، تمتلك طاقة أكبر، ولديها فرص أكبر لإنجاب أطفال أصحاء، فثمة قدرة هائلة تكمن في إحساس الحب نحو إنسان آخر. إن هذه القدرة (الطاقة) متعددة الطبقات، وهذه الطبقات إما



عليا استراتيجية، وهي طبقات الحب للإله، وإما طبقات استراتيجية، وهي طبقات الحب البشري، والمشاعر والأحاسيس الرائعة التي ترافقه، وهي تلبى بقاء وتطور النسل. وتتمثل هذه القدرة أيضاً في ذلك الفعل المباشر لمتابعة الحياة واستمراريتها؛ أي الجنس، وفي العلاقات بين الزوجين في الأسرة. إضافة لذلك فإن هذه القدرة تصرف في العمل، وفي التكيف الاجتماعي، وتحقيق الاهتمامات الشخصية لكل إنسان. إن القدرة لدى الرجل المنسجم كافية لكل شيء، لكن عندما يضيق القنال الواصل مع الإلهي، يتوجب الاختيار، ويجب أن يتم الاختيار بشكل صحيح.

لقد رأيت مرات كيف يمرض أولاد النساء المولعات بالعمل كثيراً، فالمرأة تحرس طفلها ما دام لم يبلغ مرحلة النضوج الجنسي، وتهتم به، وتساعده بالقدرة بمنهجية دقيقة، أما عندما تتعرض لضغوطات زائدة في العمل، أو تكون مولعة بالجنس، أو ممتعة، أو مهتاجة، فإنها تتعرض لفقدان كبير في الطاقة. ولما كان دور المرأة هو المحافظة على استمرارية الحياة، فإن تركيزها في وعيها الباطني على الجنس، وعلى المشاعر العليا عالٍ جداً، فإذا هي استطاعت أن تسيطر على شعورها الجنسي ذي القدرة الكبيرة، وقادت نفسها وفقاً للمعايير والمنظومات الأخلاقية والأدبية قبل مجيء الأولاد، فإنها تتحول إلى المنهجيات الاستراتيجية العليا التي تسمح لها بامتلاك ذرية صحيحة فيما بعد.

إن الشعور الجنسي الجامح أثناء فترة الحمل وبعد الولادة يمكن أن يلحق الضرر بمصير وصحة الأولاد، فالولع الجنسي أثناء فترة الحمل ذو أثر ضار ومدمر، ولبقاء الذرية بعد الحمل يجب أن يضعف الشعور الجنسي، وأن يتحول إلى شعور بالدفء، والصداقة، والحب، وبقدر ما يكون حب الله أقوى بقدر ما يسهل التحول بالشعور من الحيواني إلى الإنساني. أما إذا لم يحصل هذا عند المرأة، فإن ثمة آلية حماية قاسية تقلع لإنقاذ الأولاد: فإذا لم تكن المرأة قد تعلمت بعد أن تحب وتصادق، فإن الشعور الجنسي يختفي عندها فجأة، ويمكن لها أن تخاف، وقد تذهب من طبيب إلى آخر لمعرفة السبب، وسيضع الأطباء كل قواهم وجهودهم لكي يعيدوا إليها ولعها الجنسي، لكي يتم إنقاذ الأسرة حسب وجهة نظرهم، فالطب يؤكد



اليوم أن الجنس جيد بشكل لا ريبه فيه، ويجب أن يكبر ويمارس أكثر، وهم لا يعلمون أبداً بأنهم بعملهم هذا يساعدون المرأة على قتل أولادها بنفسها.

تكون قدرة المرأة منخفضة جداً إذا كانت جاهزيتها للأخذ أكبر من جاهزيتها للعطاء، وقد لا يساورها الشك في ذلك على الرغم من وجود دلائل خارجية لحالة انخفاض القدرة هذه، كالامتنعاض والاستياء والكآبة، والمخاوف والأسف والعصبية. وإذا كانت قدرة المرأة أقل من حد معين، فإنها حتماً لن تكفي أطفالها، لذا قد تنشأ مشكلات جدية في الحمل، أي قد يحصل عقم مؤقت أو دائم، لذلك فإنه يتوجب على المرأة - لكي تضمن بقاء الطفل - أن تتسنى الجنس والعمل والمشكلات لبعض الوقت بعد الولادة. ويجب على الرجل الذكي أن يتفهم هذه الحالة ويشعر بها. فكلما كان الحب للرب أصغر في نفس المرأة، كلما كانت أقل لباقة، ودفئاً وانتباهاً، وهي سوف تبعد الزوج، وتعطي كل ما لديها للطفل. وبما أن هذه الحالة تدل على عدم الانسجام فإن اتهامات الرجل للمرأة تستند إلى أساس، وهي مبررة إلى درجة ما، الأمر الذي يؤدي إلى بروز معضلة لا حل لها عند المرأة، فإما نسيان الطفل، أو نسيان الرجل، وكلاهما أمران أحلاهما مر. لكن المرأة التي لم تتس ذكر الله فإنها لن تتسنى الطفل، ولن تتسنى الرجل، وستعم السعادة في الأسرة. إن الوصول إلى حب الرب عملية طويلة ومعقدة، لذلك فإنه لا داعي للحزن إذا لم تتمكن من بلوغها نوراً. وإن ذلك سيتم بالتأكيد. ألقى جانباً كل ما يمنعك من الحب: فلا تحزني، ولا تشتكي، ولا تكتئي، وعند ذلك فإن المشكلات الهائلة التي تغلق طريق المستقبل أمامك تصبح ترهات صغيرة في طريقها لتكون من الماضي.

حبذا لو عرفنا علاقتك بتقنيات الاسترخاء والتنويم المغناطيسي، والتنويم المغناطيسي الذاتي، لا سيما بارتفاع التقويم (التقدير) الذاتي بواسطة هذه التقنيات. أهذا مساعدة للإنسان أم ضرر له من وجهة نظر القوانين الإلهية؟

يختلف التصرف من إنسان إلى آخر في حال معرفته أن بيته سيتعرض للانهياب بسرعة. وهو إما أن يكره مصيره ويكره العالم كله ولا يفعل شيئاً، وإما أن يكره نفسه ويقع فريسة للاكتئاب وأيضاً لا يفعل شيئاً، أو أن يتعامل مع الجميع بعدائية ويتخذ بعض الأفعال لإنقاذ البيت، أو يتقبل هذا داخلياً من دون أن يتأسف أو يعاني



من الاستياء، لكن يفعل كل ما في وسعه لإنقاذ البيت. إن التقدير الذاتي المبالغ به هو تلك العواطف من نوع: «أنا أفعل كل ما أريد. أنا أبني أي بيت. أنا أدمر أي بيت، فمن يعيقني؟». أي يتمثل هذا التقدير في الثقة التامة بالنفس مئة بالمئة في سبيل تحقيق الرغبات الذاتية. تعطي هذه الثقة في البداية موجة قدرة بعدما تستبعد المخاوف والشكوك، لكن بقدر ما تدخل حالة الإنسان الداخلية في نزاع مع العالم المحيط، بقدر ما تؤول جميع رغباته إلى الفشل، فيبدأ الإنسان يضيق ذرعاً بالعالم المحيط به ليس خارجياً فقط بل وفي داخله. فإذا كان الإنسان يعيش بطريقة غير صحيحة، ويكبت الحب في نفسه، فإن حياته تبدأ بالانهيار. ففي البداية يعاني الأولاد وتتدهور حياته الخاصة ويسوء مصيره وعمله وصحته، ويدخل الإنسان في مرحلة التقدير الذاتي المنخفض، فيبدأ يشك في الجميع ويعيق نفسه ويخاف. لكن محاولة مكافحة التقدير الذاتي الدوني أو المنخفض عن طريق غرس المساواة والعدائية في النفس ستؤدي بسرعة إلى أمراض وتعاسات.

يتعرض ولدي في المدرسة للإهانة من قبل الجميع، فالجميع يوجهون الإهانة له باستمرار، وهو لسبب ما يتقبل هذا ويتصرف كالأبله على الرغم من أنني أعلمه الدفاع عن نفسه. فهل تصرفي صحيح؟

أنا أفكر أن خط الدفاع الرئيس هو طيبة النفس الداخلية، وهذا ما لم تعلميه لابنك حتى الآن. منذ فترة ليست بعيدة طرحت علي امرأة سؤالاً: كيف نتفاعل مع التصرف الفظ؟ اعترفت هي: «أنا ضعيفة تماماً أمام التصرف الفظ، فلا أستطيع أن أجيب بشيء، ولا أستطيع أن أفعل شيئاً. إن حاجزاً ما يقف في وجهي، فكم من مرة حاولت أن أتغلب على هذه الحالة، لكنني فشلت واستحال علي ذلك». ضحكت أنا أثناء إجابتي. إن هذه الحالة تبدو لنا مستعصية على الحل إذا حاولنا الصراع مع المشكلات الخارجية دون فهم جوهر ما يحدث. وإنه لمن المعقد جداً ملاحظة العواطف فوق العميقة التي تسبق مثل هذه الحالة. وأستطيع القول: إن أي عاطفة تنشأ لديك بالغضب والاضطراب والاثام، تؤدي تقريباً إلى طريق مسدود، أوضح لماذا: العدائية في داخلك وفي أعماق نفسك، فإن العاطفة العدائية تصبح خارج حدود السيطرة، وقد يبلغ بك الأمر حد قتل من يسيء إليك ولو لسبب تافه. وعند



ذلك تقوم غريزة الحفاظ على الذات بكبح جماح الإنسان العدواني داخلياً، وتتقذ الحياة، وتتقذه وتتقذ الناس الآخرين. يحجم الإنسان العدواني عن التطور داخلياً ويصبح غير قادر على النزاع، ومن دون نزاع لا يوجد تطور. أليس من الغريب أن يكون الإنسان الفظ والجلف، مع كل سوءه وعدم لباقتة، طيب النفس إلى درجة كافية ومتوازناً؟ إن المظهر الخارجي الفظ معطى فقط لطيب النفس داخلياً، لذلك فإن خط الدفاع الأول من الوقاحة والفظاظة هو الحفاظ على الحب وطيبة النفس. ويمكن فقط للإنسان طيب النفس أن يرد على التصرفات الفظة ويواجهها، وهذا يمكن أن يوجد لديه استقلالية، وأن يسمح له بتقدير الموقف والتحكم به بقساوة محددة. أما الإنسان الناقم داخلياً والمتهم فقد يصبح مرتبطاً وتابعاً في داخله، ويتحول هذا الارتباط إلى المستوى الخارجي، لذلك فإن الأناس الفظين والجلفين ضروريون في المجتمع كضرورة الممرضين في الغاب.

إذا أحس الأطفال أن أترابهم يحملون روحاً عدائية في داخلهم، فإنهم في كثير من الأحيان يتصرفون بفظاظة في علاقتهم معهم، فإذا لم يُعلم الولد الذي يسيء إليه الجميع الحب والتسامح من التجارب السابقة (للأهل)، بل علم عدم التجاوب والقساوة والفظاظة، فإنه يمكن أن يقوم بقتل أحد أترابه.

عندما درس علماء النفس الحالة الستاتيكية للسجن اكتشفوا حقائق غير مفسرة: فالسجناء المغتصبون والساديون والقتلة القابعون في السجن كانوا الأكثر استسلاماً للذل والاحتقار والإهانة من قبل الناس. فإذا تم حبس عشرات الشمبانزي في حجرة واحدة، فإنهم يتصرفون كالمعتقلين في حجرة السجن وتتشكل المنظومة التالية: زعيم (رئيس)، قطع، تبعية.

أي إن سلوك المجرم هو بمجملة عودة ورجوع إلى صيغ التعامل البدائية. فإذا لم يستطيع الإنسان التكيف مع المستويات الرفيعة، فإنه يعود إلى المستويات الدنيا والبدائية. لكن قوانين الحب تحتل المكان الأول في جميع المستويات، لذلك فإن الإنسان الطيب النفس، والكريم، وغير الحسود، وغير المغرم أو المولع بالجنس هو الذي يصبح زعيماً حتى بين المجرمين في السجن، أما الإنسان المتغطرس المتكبر، الكاره والمحتقر للآخرين، المتعلق برغباته الذاتية التي تنتج بخلاً غير مقبول وتبعية



وشذوذاً جنسياً فإنه سيتبوأ المكان الأخير حتى في السجن. فالزعماء في جميع المجالات: في الاقتصاد والسياسة، وحتى في عالم الجريمة يتمتعون بخصائص وميزات متماثلة. لقد قرروا إبان الحكم السوفييتي أن يقيموا للمعتقلين «جنة على الأرض» وفقاً لمبادئ النظرية الشيوعية، فكان يجب أن يجمع السجناء الأكثر حرماناً وتعرضاً للإهانة لكي يشكلوا مجتمعاً مثالياً عندما يعيشون معاً. لكن نتائج هذه التجربة لم تتشر؛ فلا النظرية الاشتراكية، ولا أخصائو النفس، ولا الأطباء النفسيون استطاعوا أن يشرحوا الذي حصل. فعندما تم جمع المضطهدين والمهملين والأكثر تعرضاً للإذلال، أي الذين استعملوا لإرضاء الحاجات الجنسية في بقعة احتجاز واحدة، فإن مستوى القساوة وعدم التقيد بالضوابط بدا أعلى بعدة مرات مما هو عليه في الأمكنة الأخرى، وظهرت أشكال جديدة للخلاعة لم تكن موجودة سابقاً.

عندما ينحط الإنسان الذي يتميز بالوعي والإنسانية إلى مستوى الحيوان، يصبح أكثر عدوانية منه بكثير، لذلك فإن الفرق لديه بين الحب الوجداني والارتباط بالحياة والرغبات أكبر بكثير.

إن التقدير الذاتي العالي، من دون حب، يدفعنا إلى البداية الحيوانية. وإن الاستسلام لكل رغباتنا يعطي في البداية تقديراً عالياً للذات.

ما هو السحر؟ إنه دين يضيع الإيمان بالرب، حيث يسيطر هناك الخضوع للرغبات بدلاً من الحب. لقد قرأت منذ مدة غير بعيدة مقالة مثيرة عن جامعات ومدارس للسحر قد فتحت في أميركا. تقول المقالة إن الدين لا يساعد الإنسان على تحسين الثقة بالنفس وعلى رفع تقديره الذاتي، أما السحر فإنه يتيح إمكانيات أكبر بكثير في هذا المنحى «لقد أصبح الشباب المراهقون يحسون بأنهم أكثر ثقة بالنفس وأكثر استقلالاً». تقول المقالة إذاً إن العالم مصمم على هذا النحو: فكلما كنا أكثر ثقة بسعادتنا البشرية وكلما أكّدنا صلفنا وادعاءنا، كلما كانت خسائرننا أسرع وأكبر. وإذا تم عقد جلسات ما واتباع تقنيات تساعد على تحسس الحب للرب وعلى التغلب على أسس الحياة، فإن الثقة بالنفس ستتبع من أنا الإلهية، وستولد شرارة قدرة مصححة للحب. أما إذا كانت



هذه التقنيات والجلسات تولد ثقة ، وتعطي قوة وقدرة على حساب الروح والحب ،  
فإن النتائج قد تكون محزنة.

أنت قلت: إن الغاية من الحب أحادي الطرف (غير المتبادل) هي تشكيل أولاد في  
الحياة المستقبلية مع هذا الإنسان، فماذا تقول فيما يخص مشاهير الناس  
والموسيقيين والممثلين حيث يقع الآلاف في حبهم؟

نحن نسعى لكي نشبه من نحب ، فالحب هو وحدة المحبين ، ولكي نتوحد  
مع من نحب فإننا على مستوانا نحن ، يجب أن نشد المحبوب نحونا ونجعله يتعلق بنا.  
وفي المنهج الدقيق فإن هذه الوحدة تتم عن طريق الحركة في الاتجاه المعاكس ،  
فكلما كنا جاهزين أكثر لنعطي حباً ودفئاً وعناية واهتماماً ومساعدةً ، كان من  
الأسهل لنا أن نحس بروح إنسان آخر ، وأن نحس بوحدة تامة معه. في المنهجية  
الدقيقة كلنا متوحدون ، لكن حتى نحس بهذا الأمر لا بد من اندفاع قدرة كبيرة.  
وكلما كانت القدرة أقل ، كلما كان تمسك الإنسان بالشكل أقوى ، كانت  
نظرته أكثر جموداً ، وكان تصويره للعالم المحيط به أكثر سكوناً ، فنحن نقلد  
الأهل أو أحداً ما عندما نحب ، وهذا يؤهل لتطورنا حيث يتحول التقليد إلى تعليم  
ذاتي.

إن الإنسان المتناغم يصبح مشهوراً ، وهذه قاعدة عامة. فإذا كان التناغم غير  
كاف فإن المجد والمال والجنس أشياء تقضي على هذا الإنسان بسرعة كافية. وإذا  
لم تكن لديه تربية صحيحة ولم تكن نظرته للعالم صحيحة ، فإن أي مخزون لديه  
يمكن أن يخضع للاستنزاف بسرعة.

إن الهيام بالأصنام يتضمن تقليداً لحالتها الداخلية ، على الرغم من أن التقليد  
الخارجي يمكن أن يؤهل للداخلي. فكلما كانت قدرة الشباب أو الفتيات  
أضعف ، كلما قلدوا - خارجياً - الصنم أكثر ، وكان خضوعهم له أكثر  
هستيرية وأكثر ابتعاداً عن الحكمة والعقل. لكن بالنسبة للأغلبية ، هذه هي  
مدرسة الحب: تقليد للتناغم الروحي ، وحب من دون أمل بالمبادلة.

إن الأطفال يولدون عندما ينشأ تبادل قدرة بين الرجل والمرأة ، وفي بعض  
الأحيان يكفي لمجيء طفل إلى النور وجود شعور كبير بالحب من دون تبادل ، فروح



الطفل يمكن أن تتشكل أثناء حيوات عدة، وعند ذلك يجب وضع حاجز أمام القدرات الدنيا أي القدرات الجنسية، وفتح الطريق للقدرات العليا أي للحب والهيام، لذلك فإن الحب المتفاني يمكن أن يكون من جهة علامة لإعداد أطفال عبقريين، ومن جهة أخرى فإنه ببساطة يدخل النفس في نظام يزيد فيه التعلق الوجداني بالمحبوب والأطفال والجنس عن المستويات الخطرة. ولن ننسى جملة نابليون «إن الفشل أم العبقرية».

من السهل أن تسامح على إساءة وجهت إليك، لكن قد يكون هذا صعباً إذا كان الأمر يخص إنساناً آخر، فقد مضى نصف عام لا زلت قادر على مسامحة الناس الذين اغتصبوا فتاتي المحبوبة، على الرغم من أنني لم أكن أعرفها عندما حصل هذا. هي نفسها غفرت لهم وتساءلني فعل ذلك، لكن الأمر صعب جداً علي، حتى إن الشيب بدأ يتخلل رأسي. ساعدني أرجوك!

لكي تحيا عليك بالموت قبل أن تظهر على وجه الدنيا. وثمة عمليات تشبه الموت تحدث عند الألم والخسارة والفراق والإهانة، وبقدر ما نسعى في هذه اللحظات للرب وللحب بقدر ما نملك نحن وأولادنا الحق في الحياة. إن تنقية الإنسان في المجال المادي تحدث بسهولة أكثر ودرجة كافية. فإن أنت فقدت صرة نقود، وبقيت محافظاً على طيبة نفسك، فإن هذا يعني أنك لا تتعلق بالنقود.

لكي يولد طفل يجب على أهل قبول الإهانة، ليس إهانة الجسم والقيم المادية فحسب، بل يجب أن تهان النفس أيضاً، أي الحب البشري والأخلاق. والمشكلة تكمن في أنه لا يمكن أن نواجه هذه الأشياء كما نواجه إضاعتنا لكيس النقود فذلك مستحيل!

إن عرقلة وإهانة المشاعر العليا تحدث عندما يكون لدى الإنسان انفصام في الشخصية أو سكر أو سرطان، أو انطواء على الذات أو مرض داون، أو عندما يتعرض للخيانة أو الاغتصاب أو القتل. ويحدث الانقطاع عن الحب البشري أيضاً عند نشوء علاقة غير عادلة، أو عند وجود إساءات من جانب الأهل، وخيانة الناس القريبين. فإذا نحن لم نتعلم الحب غير المشروط، أي ذلك الذي لا تكبحه الاتهامات والإساءات والكآبة، فإن الإعداد الطوعي يستبدل بالقسري.



مرة أخرى أكرر ما أقوله دائماً في الجلسات: إن أرحم تنقية تأتي عن طريق الناس، تهين النفس والروح وتبدو الأكثر كرهاً وإمراضاً. تأتي التنقية الأكثر عن طريق المرض، حيث تتعذب النفس قليلاً، أما الجسم فيأخذ بالانحطاط.

إذا لم نستطع قبول التنقية المعطاة من الرب بواسطة الناس، فإننا سنقبل المرض، وإذا لم نستطع قبول المرض نستقبل الموت.

إن اغتصابهم لفتاتك يشهد غالباً على تركيزها الهائل على لحظات الشعور العليا، وهذا يتجاوز إمكانية إنجاب أطفال. إن هذا الارتباط بالمشاعر العليا ترافق بعدائية ليس فقط للذات، ولكن للرجال أيضاً، حيث ينشأ لغز معروف: كلما أحببت المرأة الرجل أكثر، كلما كان موته أسرع. وعند ذلك ترتبط العدائية الداخلية نحو الرجال بالتجليات الخارجية للعداء الصادر عن رجال آخرين.

لقد حاولت منذ مدة بعيدة جداً أن أساعد إنساناً شاباً بشكل ما. لقد كان عنده التهاب في البروستات والمثانة، وآلام وحشية في الورك، ولم تفده الوصفات الطبية ولم يستطع الأطباء مساعدته، وأنا أيضاً لم أستطع مساعدته. وفي ذلك الحين لم أعر أي انتباه للقصة التي حدثتني بها زوجته، تلك المرأة الشابة الأنيقة جداً، فلقد حاول رجل الاعتداء عليها في المصعد، وعندما تذكرت ذلك انتحبت وأصيبت برعشة شديدة وغضب واضطراب. مرت سنين بعد هذه الحادثة. وفيما بعد فهمت أن الكراهية لأي رجل إذا تغلغت عميقاً في الداخل، تقتل الزوج كما تقتل المعتدي.

فالمرأة التي لم تسامح داخلياً من اعتدى عليها، ستقتل في كل جزء من الثانية زوجها وابنها، لأنهم جميعاً متحدون في المستوى الدقيق.

أي عليك أن تفهم أولاً أن الحالة التي حدثت يحتمل أن تكون قد أنقذت حياتك، وليس فقط حياتك، بل وحياة أطفالك أيضاً. كان يمكن لفتاتك أن تهلك، لكن موتها استبدل بإهانة فيزيائية وروحية. إن الحالة الداخلية للفتاة ولأطفالها المستقبليين هي كما تبدو سبب الذي حدث، لذلك فإن محاكمة المجرمين غير جائزة. ولكي نسامح يجب أن نفهم أن الإنسان هنا ليس في شيء، أي ليس له دور، وما هو إلا منفذ للإرادة الإلهية فقط، كالمبضع في يد الجراح، لكن



هذا لا يعني ترك المجرم، فإذا وجدت لك عقابه، والأصح مساعدة روحه وكبح نواياه العدائية وتأثيراته عن طريق الزج في السجن، فإن المساعدة ضرورية له كما أفكر.

عندما نفكر بالمستقبل نستطيع أن نؤثر فيه، لكننا لا نستطيع أن نؤثر في الماضي، فالإرادة البشرية لم تعد موجودة في الماضي إذ توجد هناك الإرادة الإلهية فقط. إن عدم تقبل الماضي والأسف عليه هو عدائية نحو الإرادة الإلهية، وهي تتحول بسرعة إلى برنامج تدمير ذاتي، وهذا يؤدي إلى ظهور الشيب والصلع والشيخوخة المبكرة والأمراض.

إن الألم الذي يقطن في نفسك يدفعك للأسف على الماضي. حاول أن تحول التدمير إلى بناء. فبتغيير العلاقة بالماضي بغير الماضي والمستقبل، وإذا أصبحت ترى في كل لحظة ألماً دافعاً كحب الرب، فإنك لن تقتل أطفالك المستقبليين، بل ستقذهم وتطورهم.

إن أيّ حالة تؤدي إلى الرب، ويعني هذا أن أيّ حالة مهما كانت فظيعة وجاهلة وغير عادلة يجب أن تدفعنا للحب، وكأنها مبررة بعمق في المنطق الإلهي. إن يقدمون لك عن طريق هذا الألم قدرة هائلة يمكنك أن توجهها إلى قتل أطفالك وإلى تدميرك الذاتي، كما تستطيع أن توجهها للإنقاذ والبناء. وكلما كررت هذا أكثر، استطعت أن تتوجه للرب أكثر متحرراً من كل الارتباطات. والخيار لك. كثيراً ما يبتون في التلفاز دعاية لمواد الزينة والتجميل، ويعدون الرجال بكسب ميل النساء من دون جهود كبيرة. هل في هذا خرق للقوانين العليا؟

يمكن مساعدة الإنسان، لكن في الدرجة الأولى يجب أن توجه المساعدة لنفسه. فإذا اهتمنا بإنسان أكثر مما يهتم هو بنفسه، فإننا نوقف تطوره ونحوّله إلى مستهلك.

في البداية يكون غير واجب على الرجل أن يستحوذ اهتمام المرأة، فمواد التجميل تفعل هذا نيابة عنه. ثم لا يلزمه أن يكون رجلاً، فمواد التجميل تفعل هذا. إن مبدأ عمل التلفاز التجاري هو إرضاء رغبات المشاهدين غير المعلنة. أي إن هذه الدعاية تشهد على وجود مشكلات جدية في المجتمع.



كيف أحول دون أن تؤذيني مظاهر البشاعة التي تصادف كثيراً في العالم المحيط؟

كلما كان الحب في النفس أقل، كانت القدرة أقل. وكلما كانت القدرة أقل، كان العالم أكثر سكونية، وحجب عنا المضمون واختفى كل شيء وراء الشكل، وعند ذلك نريد تدمير ما لا يعجبنا، فالضعيف يسعى لتدمير ما لا يعجبه، أما القوي فيسعى لتغييره. إذا لم يعجبك إنسان جرب رؤيته في حركة التطور، فهو اليوم سيئ لكنه غداً أفضل.

وعندما ما نعود للرب، فإن نفوسنا تصبح أفضل حتماً. عندما تسمح بتطوير نفس إنسان آخر، فإن الاتهام والتدمير يستبدلان بالتربية والمساعدة، وهما لا يستثيان القسوة، فإذا لم يعجبك الموقف غيره، وإذا كان لا يمكنك تغييره خارجياً، غيره داخلياً.

إن أعظم تغيير داخلي لأي حال ينجز بطريقة التغيير الذاتي، أي إذا لم يعجبك موقف كافح معه، غيرَه، قم بتربيته. الضعيف يرتجف وينتقد ويحاكم، لكنه لا يفعل شيئاً، أما القوي الطيب في داخله فيتخذ أفعالاً خارجية فعالة لتغيير الموقف، والقوي الحكيم يقود الموقف ليس خارجياً فقط، بل وداخلياً عن طريق التغيير الذاتي. لكي تقود الموقف يجب ألا تتعلق به، لذلك فإن الإنسان الهادئ داخلياً بما فيه الكفاية يحقق المرغوب في أكثر المواقف صعوبة وعدائية. في الفنون الحربية الشرقية يدعى هذا بحالة «الماء الهادئ»، فلكي تقود نفسك يجب أن تتخطى حدود الأنا والذات البشرية أي الرغبات والوعي والحياة. ولتحقيق هذا المخرج يمكن استخدام تقنيات قاسية وخطرة على الحياة، لكن يمكن تحقيق الشيء نفسه عن طريق الحب والسعي للخالق، فكلما كان التركيز على الحب أكبر، كانت الحاجة إلى التقنيات القسرية القاسية أقل.

أيمكن النجاح في التنقية على مدى الحياة إلى تلك الدرجة التي لا نلوّث بعدها أبداً؟ أم أنه لا فرق، فكل الناس محكومون بالعذاب في الحياة القادمة؟

إن التطور من دون ألم غير ممكن. يأتي الحب الإلهي إلى هذه الدنيا ويتحول إلى حب إنساني. إن الحب الإنساني هو الزمن، وآفاق الحب الإنساني مختلفة، فهي



شعورية وروحية ومادية. فإذا كان الحب الإلهي بمثابة الجذر، والحب الإنساني هو الساق، فإن بقية القيم التي تمثل سعادتنا هي الأغصان والأوراق والثمار. إن الشجرة تأتي بالثمار ثم تموت، لكن الجذور تخرج ثانية من البذرة، واصله إيانا بالعالم، وتظهر الدرنات المنتفخة والثمار كالفجر والسعادة لأي مخلوق حي.

إن كل شيء يحدث للشجرة أثناء الحياة يسجل في البذرة، أي إن كثافة المعلومات ترتفع في البذرة مع كل دورة. يتطور الإنسان بسرعة أكبر من سرعة تطور الشجرة، لذلك فإن عمليات العذاب، أي قطع الروابط، تحدث في الإنسان أكثر، وعندما تتسع النفس لكل الحالات الممكنة في الدنيا، أي عندما يصب الحاضر والمستقبل في وحدة متكاملة، وعندما تقترب كثافة المعلومات من الأولية، عند ذلك تعود النفس إلى المكان الذي انبثقت منه، إلى السبب الأول - الخالق. عند ذلك تصبح الوحدة الداخلية مستمرة. لكن ما إن يحدث هذا حتى نصبح نحب، ونكسب، ونفقد، وبعد ذلك نتألم من فقدان. إن أصعب شيء هو الخسارة بالنسبة لذلك الذي لا يستطيع الحصول على جديد. فكلما كان سعيينا للحب الإلهي أقل، كان ألمنا مؤذياً لنا وغير قابل للاحتمال. وبما أنه مع تطور البشرية تنمو مقاييس السعادة الإنسانية، فإن السعي للرب يجب أن يصبح أقوى وأوعى، وهذا يعني أن الخلاص من الألم والعذاب ليس مُتضمناً في الانعتاق من الحياة والملذات بذلك القدر كما هو مُتضمن في القدرة على الحب والعيش بحب. أما النقاء النفسي، فيتحدد بالعلاقة النسبية بين الحب للرب والحب للحياة وتجلياتها.

كيف تتعامل مع ظاهرة تبادل الأزواج (حيث تتم ممارسة الجنس بين زوجين من الأزواج)؟ أهذا تطور أم انقراض للمجتمع؟ وهل يستطيع الإنسان التخلص من إحساس التملك بهذه الطريقة؟

بالطبع يستطيع. في الحقيقة من حيث المبدأ: «إن أفضل وسيلة للتخلص من قشرة الشعر هي المقصلة». وإذا أصيبت رجل إنسان بالغنغرينا فإن الرجل يجب أن تقطع ليبقى الجسد. أي إن الجسم يعاني لتتقى النفس. وإذا تخطت ارتباطات الإنسان الحد الخطر، أي جميع الحدود القصوى المعقولة، فإنه يجب قطع قسم من النفس. فتتعذب النفس ويتتقى الحب للرب. عندما يتعامل المتزوجون (الأزواج) مع



بعضهم فإن قدرتهم الجنسية الأساسية يجب أن تتحول إلى روحية عليا ، وإلى انفعالات شعورية ، أي يجب أن تتحول الحيوانية فيهم إلى إنسانية ، والإنسانية يجب أن تتحول إلى إلهية.

إذا لم يحدث التحول إلى الإلهي ، فإن القدرة تتركز على اللحظات البشرية العليا ، الأمر الذي يولد قلقاً وعدائية أقوى. فالإنسان الذي لا يمتلك الإلهي يتحول إلى الحالة الحيوانية من أجل البقاء. إن ظاهرة التبادل بين الأزواج هي هذه العودة.

كنت منذ ثمانية أعوام في أحد البلدان الغربية ، وقد دعيت إلى نادٍ حيث يأتي إليه الرجال والنساء لتبادل الأزواج. قالوا لي إن هذا ممتع بشكل استثنائي ، ويحرر كثيراً.

بدا لي أنه لن يحدث شيء مخيف فيما لو ذهبت إلى هناك ، ولكن النتيجة كانت غير متوقعة؛ فلقد كان باستطاعتي أن أحصل على برنامج تدمير ذاتي يفوق الحد الخطر بـ ٧-٨ مرات. يبدو أن الاستسلام للبدايات الحيوانية لا يخرب (يدمر) النفس فقط ، بل ويقتل الحب في النفس ، وطبيعي أنني امتعت بشكل قاطع.

تزدهر الآن ظاهرة التبادل في بلدان الغرب ، لا سيما في ألمانيا ، وتتسع إلى دوائر أكبر. إن العلاقة الخاطئة بهذه الظاهرة وتعميمها تهدد بعمليات لا عكسية ليس فقط الذرية ، ولكن المجتمع برمته.

بالمناسبة منذ مدة غير بعيدة كان لي حديث مع شخص فاهم لليهودية ، شرح لي لحظات غير مفهومة من العهد القديم:

قام رجل من قبيلة عاشت بالقرب من قبيلة مجاورة باغتصاب فتاة من تلك القبيلة ، فدعا أقاربها الجميع للثأر ، وكان يمكن أن ينتهي هذا بهزيمة القبيلة المجاورة ، فلقد انتظرهم الثأر. قال ممثلو هذه القبيلة إنهم جاهزون للمصالحة ولتقديم الطقوس المطلوبة. تظاهرت قبيلة الفتاة بالقبول ، وبعد مدة شنوا عليهم هجوماً غادراً ، ودمروهم جميعاً. في النظرة الأولى يمكن أن تحسب أنهم تصرفوا بشكل غادر ولا أخلاقي ، فهل الأمر كذلك؟ سألني محدثي ، فهزئت برأسي.

هذه مناقشة سطحية. فإذا قام أحد الناس بجريمة أخلاقية ، فإنه يجب على الكل إعطاء تقييم صارم لما حدث: محاكمة هذا الإنسان ، فصل ذاتهم داخلياً عن تصرفه ، وتوبته عن الذنب الذي ارتكبه.



قبلت القبيلة الطقوس، لكنها لم تعطِ تقييماً أخلاقياً لهذه الجريمة، وهذا يعني أن هؤلاء الناس بقوا سيئين في الجوهر، ومستعدين إرضاءً لرغباتهم أن يحسدوا، وينهبوا، ويقتلوا ويغتصبوا لذلك واجهوا الموت.

فكرت ماذا يحدث في الوقت الحاضر للإنسان الذي يغتصب ويقتل ويحسد وينهب إرضاءً لرغبته ومن أجل راحته ومصالحته. يبدو أنه يُقتل بالطريقة نفسها تماماً، ولكن من المرجح الأعلى، حيث يقلع برنامج تدمير ذاتي يقتله هو وذريته. ويكون هذا البرنامج غير عكوس، وعلى كبر واتساع يتناسب مع ابتعاد الإنسان عن الحب من أجل الرغبة والمصلحة النفسية والروحية والفيزيائية، وهو يحصد النوع والذرية تماماً.

ضربت سابقاً أمثلة بموت جميع أقارب إنسان قام بجريمة ضد الحب، وهذا يعني أنهم داخلياً ودون شك، قادرون على القيام بهذه الأفعال نفسها، وهذا الاستعداد الوجداني (في اللاوعي) كان سبباً لموتهم. لكن إذا سعى أحد من هؤلاء الأقارب عن وعي إلى الرب متجاوزاً في طريقه تغيرات صعبة جداً، فإنه قد يعيش.

منذ مدة قريبة سألوني عن معنى جملة يسوع: «كل مالك يعطي ويتضاعف العطاء، أما غير المالك فيؤخذ منه حتى الشيء الذي يمتلكه».

لن نفهم هذه الجملة من وجهة نظر مادية سطحية. فإذا امتلك الإنسان سعياً للرب في نفسه، فإن نفسه ستمتلئ بالحب وتصبح أغنى، وهذا يعني أن صحته ومصيره سيزدهران. أما إذا وقف هذا الإنسان في مكانه، وأخذ يستهلك المخزون لديه دون أن يطور الإلهي في ذاته، فإنه في حال حدوث جريمة ضد الحب بجانبه سيمرض ويموت، أي يؤخذ منه آخر شيء لديه، وهو ظاهرياً لم يرتكب أيّ ذنوب.

إن مصير الدولة يشبه مصير الإنسان المستقل. لقد كان الشيوعيون ومعهم معظم الشعب السوفييتي واثقين من أنه من أجل العطاء المستقبلي والحياة الرغيدة، يمكن أن تقتل آلاف الناس الأبرياء.

لقد سبب هذا المرض النفسي هلاك المجتمع، وفقدانه سبعين مليون إنسان. إن تدمير كل من دخل حتى في أبسط نزاع مع الحكم تحول إلى آلية للتدمير الذاتية التي امتد تأثيرها لعشرات السنين. ولقد عوض (كفر) هذا التدمير الذاتي إلى درجة



ما عن العدائية الواعية للحب التي حملها السوفييت في داخلهم. لقد كانت الاشتراكية القومية الألمانية موجهة ضد الأعراق والقوميات الأخرى. وإن عدم تحقيق برنامج التدمير الذاتي على المستوى الفيزيائي بالنسبة للشعب الألماني لا يعني غيابه بالمفهوم الدقيق. فإذا لم يدمر برنامج التدمير الذاتي الجسد، فإنه يدمر النفس. فعلى الرغم من أن ألمانيا قامت بجهود هائلة، مادية في الدرجة الأولى لتعويض فقدان سجناء معتقلات الموت، وكذلك اليهود، فإن برنامج التدمير الذاتي ما زال دائراً. فعندما لا تنهذب النفس يظهر تبادل الأزواج، اللواط، وعقم الأزواج... إلخ.

قد لا يكفي لألمانيا التكفير الحكومي عن التقييم الأخلاقي لكل ما حدث، ويمكن أن تكون محاولة فهم سبب حدوث هذه التعاسة ضرورياً، وما الذي يجب فعله، وكيف سيكون التصرف لكي لا يتكرر هذا في المستقبل.

قد تقوم بعمل جيد ونبييل، لكن بعد مدة ما تساورك الشكوك بأن النقود والوقت المصروف أو أي شيء آخر هو بمثابة خسارة لك. من أين تأتي هذه الأفكار الخائنة؟

ما هو التصرف الجيد والنبييل؟ إنه شعلة الحب، وهذا يعني القدرة والإبداع والبناء والغيرية. فإذا كان النبع يتدفق بغزارة واستمرار فإنه يملأ البركة ويغمرها، أما إذا كان النبع ينضب، فإن الماء قد يجري بالعكس. فاستمرار جريان الحب والقدرة فينا يكون بقدر استمرار الإحساس الإلهي فينا، وتركنا التعلق بنشاطنا الذاتي.

تقول الفلسفة الهندية إن الأمراض تظهر جراء التعلق القوي بالعالم الخارجي، وبالتالي فإن الابتعاد عن العالم يسمح بالتخلص من الارتباطات وتحسين الصحة، الشيء الذي يحدث في واقع الحال. إن عدم التعلق بثمار العمل الذاتي يشكل في الفلسفة الهندية واحداً من الآفاق الرئيسة للسعادة.

قال يسوع إنه عند القيام بأعمال طيبة يجب ألا تعرف اليد اليسرى ما تفعله اليمنى، وهذا يعني أيضاً عدم التعلق بنتائج نشاطك الذاتي. حتى إن انتظار المدائح على أعمالك الطيبة هي عبارة عن شكل ما للتعلق بالنتيجة. إن افتخارك بقيامك



بعمل خير يجعلك تنتظر الخير في المستقبل ، وتأمل في مكافأة من الأعلى؛ إن أي انتظار هو تعلق. لذلك عندما تصبح النقود أو الوقت المصروف عبارة عن خسارة بالنسبة لنا ، فإن هذا يعني أننا كنا نتوقع مكافأة ولم نحصل عليها ، وهذا يعني أن القدرة في نفوسنا ضعيفة ولا تكفي للحب. وهذا لا يعني أننا عندما نمنح إنساناً قريباً الحب والانتباه باستمرار ، يجب علينا عدم مطالبتة بالشيء نفسه ، بل يجب دفع الأصدقاء للتضحية والمساعدة والاهتمام.

أتذكر هنا قصة خيالية قرأتها عندما كان عمري خمسة عشر عاماً ، فلقد قرأت حتى هذا العمر كثيراً من القصص الخيالية التي كان يمكن إيجادها في المكتبات.

إن المضمون كالتالي: نشأت على نجم طائر ذهب بعيداً عن الأرض مشكلات جدية ، وكان من الضروري تبادل المعلومات التي كان يستغرق نقلها عدة أيام. امتد تبادل الإشارات شهوراً ، وكان يمكن أن يموت أعضاء الطاقم ، وعند ذلك ظهرت فكرة بسيطة في ذهن أحد مدراء المشروع ، وهي إرسال المعلومات باستمرار من قبل الطرفين بحيث تتلاقى الأسئلة والأجوبة ، وفي غضون بضعة أيام كانت المشكلة محلولة. سئل المؤلف من أين أتته هذه الفكرة ، فقال ببساطة: هكذا تتعامل زوجتي مع صديقتها عندما تتحدثان. بالمناسبة يحدث وفق هذا المخطط (الأسلوب) ما يسمى بالاقترحام الدماغى ، وذلك عندما تؤثر في مجموعة من الناس قاعدة رئيسة: فلا توقف التأمل في أي حال من الأحوال. إن النقد والتحليل والتقييم أمور غير مسموح بها ، فالإبداع الحقيقي يبدأ عندما ينطلق التفكير الصحيح. وعندما نتبادل التأثير على المستويات السطحية بقدرة ضعيفة ، فإن الحال (الموقف) يضبط بما يسمى الفكرة الصحيحة ، أي تعمل القواعد والمبادئ والضوابط ، وعندما نتحول إلى المضمون الداخلي وإلى المستوى القدري ، فإن مستوى القدرة يرتفع بحده ، وتترك الفكرة الصحيحة المكان لشعور الحب الذي يذهب بعيداً خلف حدود الوعي والحياة. أي إن ما نسميه نحن الفكرة الصحيحة يمثل في هذه الحالة القسم الصغير جداً من الحب ، ولهذا السبب قال: القديس أوغسطينس: «أحبب الرب ، واعمل كل ما تريد».



منذ فترة اعتكف أخي على الأرثوذكسية وصار حاله غريباً جداً. فكلما كثرت صلواته وزياراته إلى المعبد، كلما أصبحت حالته أقسى وغير محتملة، إذ كثر أعداؤه: كاثوليك، أمريكيان، يهود، سود، حمري، زرق... (القائمة لا تنتهي). صار التعامل معه يسبب الضيق، ولا فائدة من توضيح أو شرح أي شيء له. بالتأكيد ستقول لي أن أصلي من أجله، لكن هذا الأمر يخيفني، فأنا وهو دم واحد، وبالتأكيد فإن البرامج المغروسة فينا واحدة، وبالتالي ألا يمكن أن توقظ صلاتي تلك السلبية التي يمكن أن تكون نائمة؟ وعموماً هل الخوف من اقتباس (النقاط) العدائية الداخلية لشخص ما عن طريق الصلاة لأجله مبرر؟ وإلى أي درجة؟ أنت أجبت في شريط من أشرطتك الأخرى على سؤال التشبث بالسعي للإلهي، بأن التشبث ممنوع.

وكيف تبدو في هذه الحالة مشكلة التعصب الديني، والعلاقة غير التصالحية للمعتقدات الدينية فيما بينها؟ وكيف تبدو عواقب التشبث النموزجية ظاهرة على الوجه؟.

إن السعي للإلهي يبدو كشعور حب مستمر نحو ذلك الذي (يتوضع) في أساس العالم المرئي، ونحو ذلك الذي يتوضع في أساس العالم اللا مرئي، ونحو ذلك الذي يوجد خارج حدود الزمان وكل العوالم. لنقل بلغة بسيطة: إن القدرة على حب الدنيا (العالم) باستمرار مع كل نواقصها، وكذلك حب الناس، والقدرة على حب الذات والمصير الذاتي كيفما كان، هي حاجة لخلط الإلهي بالديني، فالقواعد الدينية تساعدنا على تحسس حب الرب، لكن هذه المفاهيم التي أنشأها الإنسان، يمكن أن تكون صحيحة بمحتواها، لكنها غير دقيقة في شكلها. عندما يكون الحب في النفس قليلاً، يتقوى التعلق بالشكل والسطحيات، وتصبح عند ذلك العقائد والطقوس والأفكار والمبادئ أهم من السعي المباشر للخالق.

فإذا كان الإنسان لا يستطيع الحب، فإن قدرته تذهب ليس إلى المضمون والتطوير، ولكن إلى الشكل الذي يصبح عدائياً بحدته. وعند ذلك إن الفرق الديني الخارجي يصبح منبعاً للتعصب، وعدم الفهم، وعدم التقبل. وكلما فقدنا بسرعة أكبر المضمون (وجوهر مضمون كل الكون هو الخالق)، كلما سعينا إلى



الشكل بقوة أكبر، أي إلى السعادة الإنسانية السطحية، وأصبحت نفوسنا أكثر عدائية.

أما فيما يتعلق بالأرثوذكسية، فإن عدائية أكثر الناس، المعتنقين للأرثوذكسية تفسر - كما أفكر - بعدم فهمهم، فالدين يمثل بالنسبة لهم الاحتماء من العالم العدائي، وهم يريدون الهرب والاختباء في مساحة غير ممسوسة، حيث الأحاسيس الإيجابية فقط، وحيث يكون وعيهم وشعورهم في راحة تامة. لكن لكي يحس الإنسان بالإلهي يجب أن يكون غير محمي، وأن يكون مستعداً لاستقبال الألم والإهانة التي تساعد على الافتراق مع الإنساني واكتساب الإلهي.

إن العلاقة الاستهلاكية مع الدين غير موجهة للحب، لكن لتقوية الجسم والروح والنفوس. وكلما أراد الإنسان أن يحمي بقوة أكبر منافعه النفسية والروحية، كان أسرع نسياناً للحب وسقوطاً في عدائية كل ما يبدو خطيراً بالنسبة له.

سمعت من زمن غير بعيد خطبة لأحد دعاة إحدى الكنائس حديثة العهد سرد فيها التوراة بشكل رائع باستمرار، وفاق بإثارتته أي كاهن أرثوذكسي آخر. لقد كان نسخة دقيقة للدعاة الأمريكيين، فكل شيء كما في التوراة دون أي كلمة إضافية. لكنني شعرت أنه لا يقتفي التوراة بشكل صحيح، ولم أستطع أن أفهم فيما يكمن الأمر. وفيما بعد وعيت فجأة بوضوح ودون لبس وبشكل غير منتظر أن هذا الداعية حوّل التوراة إلى مخدر.

«الله يحبكم، هو يعتني بكم، هو يحميكم»، وقد أراد بذلك: تعالوا إلينا وأنتم ستحصلون على كل شيء. هنا غياب تام للعواطف السلبية.

عندما لا يستطيع الإنسان أن يعبر الحالات العقلية في الحياة المحيطة يجد أمامه طريقان: فإما أن يتعلم الحب وعند ذلك يصبح الألم عنصر تطور، أو يهرب ليختبئ من هذا الألم هناك، حيث لا وجود له.

جيد أنه يمكن الهرب من الألم الفيزيائي، لكن كيف لنا الهرب من الألم النفسي (الروحي)؟ يحاول الإنسان فعل هذا بمساعدة الكحول، المخدرات، والعبادات الدينية. إن الدين الذي بالجنة فقط يصبح مخدراً، فإذا بطل استخدامه تتحول الحياة إلى جهنم. ومن أجل الحفاظ على الراحة النفسية



يكون الإنسان مستعداً للتضحية بكل شيء: الأسرة، الأولاد، الشقة، الانسجام النفسي...

يحدث هذا في شبكات مختلفة تستبدل الحب للرب بحماية وإراحة النفس والروح، لكن مع تدميرهما لاحقاً.

إن الديانات العالمية كالهندوسية واليهودية والمسيحية والإسلامية تعلم شيئاً آخر، لكن العلاقة غير الصحيحة بهذه الأديان والبحث عن المنافع النفسية والروحية يمكن أن تؤدي إلى نتائج محزنة. كلما كانت المنظمة الدينية ذات سطوة أقوى في تمثيل الدين، كانت علاقتها مع الدولة أقوى، أي مع الحكم والمال، وكانت مشاكل المؤمنين المحتملة أكبر، بسبب انحراف اهتمامهم عن جوهر الدين إلى المظاهر الشكلية.

من وجهة نظري، يجب أن يبتعد الدين عن الدولة في كل مظاهره الشكلية، وأن يتوحد معها في الحب والأخلاقيات.

لقد فصلوا في بلدان الغرب الدين عن الدولة، وكذلك في روسيا، لكنهم في الوقت نفسه فصلوا الأخلاق والمثل التي تسمح بتربية المظاهر العليا في الإنسان عن الدولة، وهذا أدى إلى عدم معرفة الناس للحب الصحيح. فالحب عند الأمريكي يتعلق بالمال والمصلحة، وعند الألمان بالنظام والانضباط، وعند الفرنسيين بالجنس والجمال، وعند الروس بالمبادئ والمثل العليا، وعند اليهود المتشددين بالقواعد والقوانين الدينية.

إن الحب عندما يرتبط أو يتعلق بشيء فإنه (أي الحب) يذهب، ونحن نراقب عواقب هذا في العالم الحالي. إن المعتقدات الدينية لا يمكن أن تتوحد في الحب والأخلاقيات والتربية، ويمكن لها فقط إيجاد نقاط تماس. أما محاولة الاتحاد خارجياً فتقود إلى منافسة وعدائية ودفاع عن البراءة الذاتية والتشهير بالمتنافسين.

نحن سنتحد على أي حال، لكن الاتحاد يكون إما طوعياً بواسطة الأخلاق والحب والسعي للرب، وإما قسرياً عندما يقف الجميع على حد الهلاك. إن الخطر الفيزيائي الجاثم أمام الجميع يوحد بشكل لا بأس به، فبقدر ما تعي البشرية حجم الخطورة سابقاً، بقدر ما ترتفع فرصتنا للبقاء.



إن دراساتك عميقة جداً، وممتعة، ومستخدمة في الحياة، لكن بعض دراساتك تنفر المؤمنين. ألا يكمن إصدار هذه النسخ مع إغفال كلمة «كارما» و «انتقال الأرواح» وبعض الأشياء الأخرى؟ وعند ذلك قد ينضم أيضاً جيش من الناس المؤمنين بعمق إلى قرائك الواعين. أنا أعتقد أن الغاية تبرر الوسيلة: فكم من الناس كنت ستساعد أيضاً لو فعلت هذا!

بالنسبة لي الشرف أهم من الشهرة. وبالمناسبة إن نصف البشرية تعترف بمفهومى الكارما وانتقال الأرواح. عندما يحاول العالم بناء دراسات في مصلحة الأفكار السياسية والدينية، فإن هذا لا ينتهي بأي شيء جيد. وأنا لا أستطيع الآن أنؤكد ١٠٠٪ أن انتقال الأرواح موجود، لكنني أستطيع التكلم عن الاحتمال القوي لهذا الانتقال، وعن دعم وتأكيد دراساتي له، والتي تتيح شرح وتفسير الكثير من الأمور.

فيما يخص العلاقة بين الغايات والوسائل: إذا كانت الغاية تبرر الوسيلة، فإن هذا يعني أن النتيجة أهم من العملية. وعندما تصبح النتيجة بالنسبة لنا قيمة مطلقة، فإنه يصبح من الممكن الإقدام على القيام بأي جريمة لتحقيق هذه النتيجة، كما إن التركيز المطلق على الهدف لا يسمح بتجاوزه إلى أهداف أخرى أكثر علواً، وهذا يوقف التطور.

إن جوهر التطور يكمن في أننا عندما نصل إلى تحقيق هدف محدد، نرى ونشكل هدفاً آخر، وفي نهاية المطاف إن الهدف الأسمى هو الاتصال مع الرب، ووصولنا في جوهر أعماقنا إلى تحقيق هذا الهدف، فبمقدار ما يحل هدف تال مكان هدف محقق، فإن عملية الفهم والإدراك الإلهي تبدو أهم الأهداف، وهذا يعني أن السلوك الأخلاقي أهم من أي نتيجة مهما بدت أنها ضرورية وملحة.

أنا ذو طبع حاد، فلقد اخترت في فترة شبابي الهدف وتعصبت له، وضغطت الوقت رغباً بتحقيق الهدف بأسرع ما يمكن، وعندما وصلت إلى هدفي هاجمني الفراغ. ولكي لا أستسلم وأنصاع لعدم الصلاحية والإحباط انتقلت إلى هدف جديد ناسياً كل شيء سواه، لكنني فهِمت فيما بعد أنني في واقع الحال لا أعيش، فأنا لا أرى الحاضر ولا أعيره اهتماماً، بل أعيش الهدف فقط والمستقبل، لذلك أصبحت



غير موجود في الحاضر وأنا ما زلت غير موجود في المستقبل، وأصبحت الحياة في نظري باهتة تذبل وتفقد فكرتها. لقد لزماني أن أعمل خمس سنوات في قيادة الإصلاح الشامل والصراع المستمر من أجل البقاء لكي أفهم وأشعر بأن الحياة رائعة في كل جزء من الثانية، وأن الهدف الرئيس ليس في الإمام في المستقبل، بل في داخلنا نحن، وأن النتيجة الرئيسة هي القدرة على أن تحب، الأمر الذي تكتمل وتتطور به نفوسنا باستمرار.

### هل توجد مواقف (حالات) ليس لها مخارج؟

منذ مدة غير بعيدة أقيت محاضرة في قاعة صغيرة. كان الحديث عن فيلم «تايتانك». قلت إن هذا الفيلم برأيي يؤثر بشكل سلبي في وجدان المشاهدين. وسألوني أن أوضح لماذا؟

بدأت أشرح أنه من حيث الشكل يبدو أن هذا الفيلم عن حب عاش الموت، لكنّه في الجوهر تشويه تام. لنأخذ منظراً طبيعياً. إنه يعكس العالم، لكن العالم ثلاثي الأبعاد واللوحة ثنائية الأبعاد، وهذا يعني أن التماثل والتطابق التام غير ممكن. إن الصورة تعطي وتثقل رؤية خارجية للعالم، أما اللوحة الطبيعية (المنظر الطبيعي) فيجب أن تظهر المحتوى عن طريق الشكل.

إن الزمن مضغوط في جوهر الموضوع، كما هو مضغوط في البذرة. إن التحديد فيما إذا كان الرسام موهوباً أو غير موهوب سهل جداً: فالرسام غير الموهوب ينسخ شكل الغرض دون أن يشعر أو يحس بالعلاقات السببية التي تنعكس نتائجها على الغرض، أما الرسام الجيد فيصف مشاعره الذاتية، وكل غرض عنده حي داخلياً ويتبادل التأثير مع العالم الخارجي. وهذه الحلقة من التأثيرات المتبادلة تضبط على قطعة كبيرة من الزمن. ويمكن القول بلغة بسيطة: إن الأغراض عند الرسام الحقيقي ستكون وكأنها مفعمة بالحياة والحركة، فالمضمون يتفتح وينكشف عنده بواسطة الشكل أيضاً، لكن كثافة المعلومات أعلى بكثير، وفعالية الروابط والعلاقات غير المرئية بين الأغراض عالية أيضاً. وفي لوحة الرسام العبقرى يمكن لك أن ترى من خلال موضوع بسيط تاريخ البشرية كله. إن أي فن يصف الوجدان عن طريق نماذج واعية، أي عن طريق الأغراض



والحالات. وإن منطق الوجدان في أي فيلم موهوب أضخم بكثير من المنظومة الواعية.

منذ عشرين عاماً ذهبت لكي أستمع إلى محاضرة في المعهد المسرحي. لقد دهشت لأن جوهر قصيدة «بيفغين أونيفغين» كان نثراً. أما رواية بطل زماننا فكانت شعراً. يبدو أن المنطق الخارجي محطم في الخيال الشعري. ولكي نفهم جوهر الشعر يجب الاعتماد على الشاعر، فهناك تماماً مجرى زمني آخر. أما في الإنتاج النثري يجري الزمن تتابعياً، وينتج موقف منطقي عن الآخر. إن النثر نملة تزحف على سطح كرة، محاولة تحديد المكان الذي توجد فيه، أما الشعر ففراشة تطير داخل الكرة ملامسة نقاطها المستقلة المتفرقة. ولا بد للنملة لكي تشكل اللوحة من أن تلامس بصلابة كل فقرات اللوحات، أما الفراشة فعلى العكس يجب عليها أن تحطم المنطق لكي تشعر كيف تمثل الكرة. إن أحد نماذج التفكير يتمم الآخر.

وهكذا إن الفن يفتح ويكشف الوجدان عبر مجرى الأحداث الخارجي، وهو يمكن أن يكون مبنياً بصلابة كما في معظم الأفلام، ويمكن أن يكون متقطعاً كما في لوحات. أ. تاركوفسكي. والأحداث في أي فيلم سينمائي لا تضبط بالقوانين الفيزيائية، إنما بقوانين الروح. إن فيلم «تايتانك» مبني حسب المنطق المعاكس: ففي البداية حب جنوني هائل، وبعد ذلك كارثة وجثث، ثم امرأة عجوز نقدت كل شيء ومع تلك الماسة تلقي بآخر تذكاراتها. لقد كان بوسع وجداننا أن يبني هذه اللوحة بأسلوب آخر مختلف تماماً؛ أولاً: قد تتسبب الجثث والألم والموت. ثانياً: قد تدور في البداية مشاهد هلاك السفينة وحالات ذات مشكلات مختلفة ويمكن أن تتحرك هذه الحالات مترافقة بالذكريات الدافئة وومضات وشرارات الحب. وقد تصبح هذه الشرارات أبعد وأسطع، وتجتمع كلها في نهاية المطاف في لهب حب غامر مستمر عانت منه هذه المرأة. لذلك فإن أي حالة في واقع الحال تقود إلى الرب، وهذا يعني أن جوهر أي حالة هو نهاية سعيدة.

إذا ألقيت بذرة في الأرض، فإن النبتة الظاهرة تمتلك شكلاً خارجياً ومنطقاً للتطور، لكنها ستعيش وتتطور وفق قوانين الروح، أي معمعة الزمن المكثف الذي كان في البذرة. إن أي حدث يحدث حولنا، ينجز قبل هذا في المعنى الدقيق، فلقد



وجدت بذرته قبل حدوث الحادثة، أي الزمن الذي ضغطت فيه كل المواقف المستقبلية. لذلك فإنه كيفما كان العالم المحيط بنا منطقياً ومتسلسلاً، فإنه يعيش وفق قوانين المضمون والمحتوى، وليس وفق قوانين القوالب والأشكال، فالروح تحرك المادة كما قال القدماء. المادة هي شكل محدد لفراغ مقيد. يقول الفيزيائيون الحديثون إن المادة كانت هي الفراغ. فماذا يقع في أساس الفراغ؟ إن الفراغ مرتبط باستمرار بمفهوم الحركة، وإذا توقفت الحركة فإن الفراغ يختفي. إن أي حركة تعني سبباً ونتيجة. والكمون بين السبب والنتيجة يدعى القدرة. إن مفهوم الحركة والقدرة، والسبب والنتيجة، كل هذه مؤشرات لذلك الذي ندعوه الزمن.

أي إن الفراغ يمثل تابعاً للزمن، فإذا حاولنا تمثيل نموذج الزمن، فإنه سيكون شبيهاً بالحلقة؛ فنحن نخرج من نقطة ونسير وفق الدائرة ونعود إلى حالة الانطلاق أي نقطة البداية.

ونحن نعود إلى السبب الأول عندما ينغلق الزمن، وكلما كنا أقرب للمنهج المادي، كان قطر دائرة الزمن أكبر. وكلما تعمقنا أكثر في المنهجيات الدقيقة، أصبحت الدائرة أصغر حتى تتحول إلى نقطة.

إن أي حالة مهما كان نصف قطرها ستعود في المنهج الدقيق إلى نقطة الانطلاق وتمكث هناك، وبهذا يفسر بناء الكون المجري. أي إن ما يحدث في دائرتنا الخارجية قد حدث لأصغر شيء.

إن الكثير من الحالات تبدو لا مخرج لها بالنسبة للإنسان الذي يعيش بمنطق خارجي ووعي، أي بمنطق الجسم والشكل. لنبدأ من أبسط شيء: فنحن نولد ونتطور وأمامنا شباب وجمال ومشاعر وإمكانات ومال وعمل، وبعد ذلك نفقد كل شيء ببطء ودون رجعة. تبدو الحالة وكأنه لا مخرج لها. إن اللا مخرج والبؤس والكارثية في جوهريتنا نحن، لكن إذا انتقلنا إلى منطق الروح فإنك ستبدأ بدهشة وإعجاب فهم أن النفس تعيش بعد انحلال الجسد، وستبدأ تفهم أن الحياة ليست بقدر تقوية الجسم والفائدة المادية، بل بقدر غنى واكتمال النفس. وإن الشيخوخة والهلاك والموت لا تبدو كذلك كارثية. كلما حاولت أن تتحرك أبعد في تحقيق



المضمون شاعراً بالرابطة (العلاقة) الشاملة للأحداث في الكون، كان مفهوم الأبدية أقرب.

إن مليارات الحالات تنقلص إلى ملايين ثم إلى آلاف، وفي نهاية المطاف إلى حالة واحدة.

إن الحب يولد الزمن، والزمن يولد الفراغ، والفراغ يولد المادة، والمادة المتطورة تزيد كمية الروابط. إن أيّ علاقة هي علاقة مشفرة. وكلما كان مستوى تطور المادة أعلى، كانت دورة الفراغ حولها بشكل أقوى، وكثفت الزمن، وتحقق فيها بشكل أكبر الحب الذي تعود إليه فيما بعد المادة ضاغطة فيها الفراغ والزمن.

إن المواقف التي لا مخرج لها هي خط مباشر بانقطاع في نهايتها، وفي الكون لا وجود للخطوط المستقيمة، لأن تركيبة وبنية الزمن مختلفة.

لقد حدد لاباتشفسكي المستقيم كقطعة من دائرة ذات نصف قطر غير محدد. إن الذي يحسب أن العالم مليء بالمواقف التي ليس لها مخرج، يحدد بذلك إمكاناته الذاتية في استقبال وقبول الألم ووعي العالم. ففي واقع الحال إن النهاية السعيدة قد أقبلت، وهي أقبلت عندما نشأ الكون.

إن أهم شيء هو أن نرى هذا ونشارك فيه، إن لم يكن بشكلنا (بهيكلنا)، فإنه بالجزئية الأبدية الإلهية المتواجدة أبداً في داخلنا.

تقول العامة: إن ما تريده المرأة يريدك الرب. ونتائج دراساتك تقول إن رغبات المرأة، وإلى حد بعيد، ليست منسجمة دائماً. أي إن المقولة الشعبية ليست على حق؟ أنا منذ طفولتي (عمري الآن ٣٣ عاماً) أخطئ كثيراً في تحديد الجانب اليميني واليساري، ويجب علي أن أفكر قبل أن أقول أين اليمين وأين اليسار. بماذا يتعلق هذا؟

يتوجه الرجل نحو النظام، أما المرأة فتتوجه نحو الفوضى. فالرجل هو المعلومة، أما المرأة فهي القدرة.

يستخدم الرجل عقله من أجل التوجه، أما المرأة فتستخدم عقلها الباطني لذلك، لذلك الرجل غالباً ما يكون على حق في الشكل، أما المرأة



فعلى حق في المضمون. أي إن الرجل والمرأة يتوجهان في تقبل العالم نحو تدفقات زمنية مختلفة: يتوجه الرجل في الطبقة العليا نحو المستقبل أي نحو الروحانية، أما المرأة فتتوجه نحو المادية أي الشعور. أما على الطبقة الأكثر عمقاً فإن الرجل يركز على الحياة والدفاع عنها وقيادتها، أما المرأة فتركز على المستقبل والاستمرار في الحياة. إذا استطاعت المرأة أن تحب فإنها ستمتلك حدساً عالياً، ويمكن لرغباتها المختلطة وغير المفهومة أن تحمل في ذاتها منطقية عالية وفكرة مهمة. إن ما تفعله المرأة هو الذوبان في الحالة والتعلق بها، مما يمكنها من النفوذ إلى أعماق وجودها. لكن لكي تسيطر على الحالة وتقودها يجب عليها أن تخرج إلى ما وراء حدودها. إن الوعي والتفكير متعلقان بالحياة، والخروج إلى ما وراء حدود الحياة يزيد القدرة على التحكم. إن الرجل يمتلك الحق في أن يموت، ويجب أن يكون مستعداً للموت، على خلاف المرأة، لذلك يستطيع أن يمتلك تفكيراً منظومياً. ويمكن للرجال أن يكونوا قادة وفلاسفة جيدين. لكن من الطبيعي تماماً أن تحيا المرأة، بالحدس والشعور وليس بالمنظومة والمنطق، فعندما تضغط المرأة عواطفها ووجدانها كثيراً وتولع بالمنطق، تقلع آلية الإنقاذ التي تكبح المنطق والوعي بحدة، وتبدأ المرأة تخلط بين اليمين واليسار. والنتيجة بسيطة: يعمل الوعي عند المرأة جيداً عندما يكون ثانوياً بالنسبة للوجدان.

ليس من النادر أن تسمع: نذهب إلى كل الكنائس، إلى كل العجائز المتنبئات.

لا شيء يساعد! ما يزال المرض كما كان! والآن لا أؤمن بأحد ولا بشيء!

أيمكن مساعدة الإنسان في هذه الحالة. ماذا تستطيع أن تقول؟

يبدو لي أنه يجب عدم الخلط بين الكنيسة والمستشفى، فنحن نعي الإلهي عن طريق الحب المعطاء الذي يفصلنا عن الارتباطات والمخاوف والاستياء والكآبة. أما عندما نذهب إلى الكنيسة لنحصل على الصحة وتقوية الحياة ودعم المصير، فإن هذا يعني أننا نتعامل مع الكنيسة وفق مفهوم استهلاكي. إن الإنسان الذي يرغب بالأخذ فقط ولا يبتغي العطاء، غير قابل للشفاء، فالأخذ يرتبط، والمرتبطة يستاء، والمستاء يمرض.



يوجد معنى فريد كشفه يسوع المسيح للناس، وتوجد نظرتنا الفطرية الاستهلاكية للعالم التي تحاول تكييف المسيحية مع احتياجاتنا. لقد تم تشويه جوهر المسيحية في القرون الوسطى في الكنيسة الكاثوليكية، حيث وجد صك الغفران أي المغفرة عن الذنوب المستقبلية مقابل صدقة.

توجد الحقيقة ويوجد استقبال مشوه لها. لقد شفى المسيح الناس لأنه استطاع أن يوقظ فيهم الحب، فلا مغفرة دون حب، ولا كفارة عن الذنوب من دونه. إن الإيمان يساعد الحب بإزالة المخاوف والشكوك والنقد، أما السعي لأخذ كل شيء من الرب دون جهد فانتصار للبشري على الإلهي. وإذا كان خادم العبادة يستند إلى هذه النزعة، فإن الدين يموت في الجوهر ويستمر في الشكل لفترة ما.

لقد كبر هذا الفهم الخاطئ للمسيحية في العقيدة الشيوعية، فعلى كل إنسان أن يقدم حسب طاقاته، وله أن يحصل على احتياجاته. إن حدة هذه الحالة تكمن في أن الحاجات بالنسبة للغالبية العظمى أكبر بكثير من القدرات، أي من الاستعداد للعمل والإنتاج والعطاء، لذلك فإن أفكار الشيوعية كانت حلوة المذاق بالنسبة للغالبية العظمى، لكن نتائجها كانت فظيعة.

سمعت منذ طفولتي أن الطب في الاتحاد السوفييتي مجاني تماماً، وعلمت باستغراب فيما بعد أن هذا كان رياءً. فببساطة لقد دفع الإنسان لقاء كل هذه الخدمات بشكل غير مباشر من جيب الدولة التي تعرضت للنهب في معظمها، لكن تلك الأفكار الشيوعية: كتوحيد المجتمع أخلاقياً والانتباه للأطفال وللثقافة، كانت بالتأكيد محققة، ورأيت أن هذه الأفكار ليست أفكاراً شيوعية ولكنها إظهار للسعي العام للحب والوحدة.

إن عدم نضوج ووضوح الأشكال جعل أساليب تحقيق الهدف كارثية. إن المجتمع العادل والسعيد هو مجتمع صحيح، وصحة أي إنسان هي في الدرجة الأولى صحته النفسية وامتلاؤه بالحب، وهذا يعني أننا إذا أردنا أن نبني



مستقبلاً مضيئاً يتوجب علينا أن نعرف منذ البداية ماهية الناس الذين يشكلونه، وكيف نصل إلى نفس صحيحة لإنسان هذا المجتمع، كيف نغير هذا الإنسان نحو الأفضل. أما إذا كان الإنسان يريد ألا يتغير، ويريد في الوقت نفسه أن يكون صحيح الجسم، وإذا لم يفهم شيئاً بسيطاً وهو أنه إذا لم يساعد نفسه فإن أحداً لن يساعده، عند ذلك بوسعه أن يذهب إلى المتنبئات العرافات كما يحلو له.

أما المساعدة الأفضل والأبلغ أثراً ستكون الأمراض والتعاسة التي ستدفعه، وستؤدي به إلى الحقيقة.

أنا متزوجة لكني لا أستطيع مقاومة التفكير برجل آخر، لا تذهب هذه الأفكار إلا بعد الصلاة لمريم العذراء. ماذا أفعل لكي أعيش بحب في الأسرة، ولكي لا أفكر برجل آخر؟

كلما كانت النفس متعلقة أكثر بالسعادة البشرية، كلما تحول الحب بسرعة أكبر إلى تعلق، ويبدأ التعلق القوي بقتل المحبوب، وعند ذلك ينتقل وجدان المرأة إلى رجل آخر بهدف إنقاذ الزوج والأولاد. يشتعل شعور قوي، لكن هذا الشعور نحو رجل آخر يترافق بكمية عظيمة من المشكلات والإهانة وعدم الراحة... إلخ، وهذا يشفي المرأة إلى درجة ما، ويخفض عندها التعلق بالقيم الأساسية.

لنتخيل حالة: عند المرأة مشكلات وخصومات مع الزوج. تذهب إلى الطبيب النفسي فيشرح لها: إن المشاعر السلبية الناتجة عن الخلافات مع الرجل تسبب لك مشكلات في الصحة وشيخوخة مبكرة. خذي لنفسك محبوباً جيداً. مارسي معه الجنس الكامل. تزدهرين أنت، وفي النتيجة سيكون زوجك مسروراً أيضاً. يحتفل العالم فالأسرة منقذة. ننظر كيف يظهر كل هذا في المنهج الدقيق.

لنتصور أن المرأة لم تتجاوز التنقية المعطاة من الرب قبل الحمل. حيث كانت تعاني من استياءات وكآبة وعدم رغبة في العيش، وولد الأطفال في ظل المشاكل، وكان تعلقهم الداخلي بالدنيا مرتفع ونفوسهم عدائية. إن



الأمراض المستقبلية والتعاسة ليست خلف الجبال. والمرأة في هذه الفترة تقوي تعلقاتها واستمتاعها بالطيب والحلو، وتخضع كل شيء لرغباتها، وتتابع الاستياء من الزوج، وبدلاً من أن تنقي نفسها وتتغلب على الجاذبية البشرية تأخذ بتقويتها، فهي تشاهد كثيراً أفلام الجنس التي تستعرض القدرة الجنسية الحيوانية. ولا تنتقل إلى المنهجيات العليا، أما الجنس فيربطها بهذه الدنيا بقوة استثنائية.

وكل هذا يلقي على الأولاد، حيث إن تبادل القدرة قوي جداً بين الأم وأطفالها قبل سن الثامنة عشر، فيقترب الموت منهم. أما خارجياً فاللوحه تعبر تقريباً عن سعادة عارمة: فالمرأة تعيش وتعمل بشكل اعتيادي، تعاود النزاع مع الرجل لكنها تعتني بالأولاد، والأسرة طبيعية وعادية، لكن أحد الأولاد تقترب نهايته في هذه الدنيا.

بقدر ما ترسل الأم عينيها في الجوانب باحثة عن أحباء محتملين، ومشغولة بإرضاء رغباتها، أي غير منقذة بل مهلكة وخانقة لأطفالها، فإن آلية الإنقاذ تطلع عند الرجل، ويفقد الاهتمام بالجنس بشكل حاد، ويصبح متوتراً، ويحاول في اللاوعي اقتلاع زوجته من دائرة الارتباطات عن طريق إهانتها، وهو بذلك ينقذ حياة أطفاله. يزداد ولع المرأة سخونة، ويبدأ سقوط وانهيار الأسرة الموفقة والعادية، وهنا تجد الأم الحبيب. لقد وفقت بشكل غير متوقع: فهو غير متزوج وجميل وجنسي. ولما كان الزوج يرغب في وجدانه في إنقاذ الأولاد فإنه ينتقص من سعادتها، لكن المعشوق يعطيها هذه السعادة بشكل فائض. تقول لنفسها في النهاية سمع الرب صلواتي، وتفرح فهي سعيدة ثانية. وبعد ذلك يموت الرجل، وولد إثر الآخر. المرأة في تعاسة: ما هذا الرب الذي أعطاني سعادة قليلة وبعد ذلك أخذ كل شيء، تأخذ بالنحيب قائلة لن أؤمن بأي رب بعد الآن. وبعد ذلك لكي تخنق عدم انسجامها الداخلي تبدأ تشرب، أو تمرض مرضاً شديداً.

لقد وصفت فيما سبق النموذج الذي تعيش وفقه في وقتنا الحاضر معظم النساء، فلقد أصبحنا متعلقين بهذا العالم، وبحياتنا ومنفعتنا، لدرجة أن



الأسرة العادية أصبحت استثناءً وليست قاعدة. إن استعداد المرأة للأخذ والاستهلاك من دون أن تعطي بالمقابل عناية ولطفاً أكثر خطورة منه بالنسبة للرجل، حيث لا يبقى قدرة للأطفال. وعندما يتفوق (يتجاوز) البشري على الإلهي فإن البشري يبدأ بالانحلال: تتضاعف العلاقات، الإجهادات، العقم، الأمراض، لكن يمكن للإنسان أن يوقف العمليات السلبية إذا حاول أن يحس الإلهي في نفسه.

يعرف الرب عن طريق الحب المستمر الموجه نحوه، ولما كان موجوداً في أساس كل شيء فيعرف عن طريق حب الإنسان المستمر وغير المشروط للعالم المحيط وللذات والمصير، هذا أولاً.

ثانياً: يعرف الرب عن طريق ألم الجسم والروح والنفس، أي عن طريق الانقطاع القسري عن السعادة البشرية، فالمقدرة على استقبال الألم مع الحفاظ على الحب للرب هي المقدرة على التجاوز الصحيح لأي حالة صدمة، والمقدرة على تجاوز أي شدة تعطي ليس فقط صحة فيزيائية ولكن نفسية أيضاً.

ثالثاً: نحن نعرف الرب ليس فقط عن طريق الانقطاع القسري، لكن عن طريق التحديد الذاتي الطوعي. إن إمساك النفس بشكل دوري عن الجنس والأكل والاتصال بالناس، أمور تساعدنا على تحسس الإلهي.

رابعاً: يعرف الرب عن طريق إعطاء القدرة والحب، وكلما كان عطاؤنا للحب أكبر كلما أتنا الحب أكثر. إن المال حب أيضاً، والأصح واحد من مجالاته. كلما أعطينا وعملنا واشتغلنا بإبداع وأحببنا واعتينا، كلما كان من الأسهل لنا الإحساس بالإلهي في نفسنا.

إن التمارين الرياضية تقوي الصحة، لذلك فإن اندفاع القدرة على مستوى الجسم يساعد الحب أيضاً إذا حدث هذا بإرادة طوعية وبمزاج جيد، لكن صحة النفس تتعلق بالدرجة الأولى بالمقدرة على الحب. إن نموذج مريم العذراء يستعرض قوة الحب الذي لا يخاف الإهانة والموت اللذين كانا مفترضين في إسرائيل القديمة بسبب الحمل من دون زواج.



إذا أصبح تعلم المرأة الحب يمثل السعادة بالنسبة لها التي لا يمكن أن تكبح بالمنطق والوعي والمشكلات والاستياءات وحتى بالموت، فإنه يصبح من الأسهل عليها أن تتقبل، أن تتوجه لإمساك نفسها، وتهتم وتعتني.

«وهكذا يراد أن نعيش مئة عام!» كما تقول الأغنية المشهورة.

إن الجنس عيب مشين بالنسبة لفتاة الـ ١٠-١٢ عاماً، فالقدرة التي يجب أن تظهر عندها نحو تطوير التكوينات العليا تذهب إلى البداية الحيوانية. أما عندما يصبح عمرها (٢٠) عاماً، فنرى لوحة أخرى.

ففي الربيع عندما تبدأ رغباتنا الجديدة بالتشكل لا بد من شهرين اثنين من الإمساك والجوع والامتناع من أجل الصحة الفيزيائية والنفسية. أما عندما ينتهي الربيع ويبدأ الصيف فإن هذا الامتناع يمكن أن يبدو سخيلاً. فالشجرة ذات الجذور الضعيفة تبقى فقط إذا تم قطع الأغصان عنها، فالأغصان إذا أصبحت ضخمة تعيق بفضاظة نمو وتطور الشجرة.

إذا كانت النفس مفعمة بالحب وغاب فيها البخل والحسد والعصبية، وكانت لا تحمل مخاوف وتأسفات وكآبات، فإن الزهد أو التقشف يمكن أن يكون غير مناسب وفي غير مكانه.

في الحقيقة يجب على أي إنسان ألا ينسى الأخلاق التي تساعد على الحفاظ على الحب، ليس فقط في نفسه ولكن في نفوس الناس الآخرين أيضاً. أي يجب إمساك الذات في تلك اللحظات التي يمكن أن تحمل ضرراً للآخرين، فالنصيحة بسيطة: تريد أن تعيش مئة عام، عش، لكن يمكن لهذه المئة أن تتحول إلى مأساة بالنسبة للمحيطين بك، وفي نهاية المطاف بالنسبة لك إذا لم تحمل حباً في نفسك. لا حاجة للخلط بين الأخلاق وتلك التربية التي سيطرت في الاتحاد السوفييتي.

إن الإنسان المرتبط مفيد للدولة وقيادته سهلة، لذلك فإن التربية تأسست في الدرجة الأولى ليس على تطوير وتنمية الحب في النفس، بل على الدعاية للانتقاص الذاتي المستمر وإمساك أو كبت جميع الرغبات. انهارت الاشتراكية، والكل سعى للعيش لمدة ١٠٠ عام، وفي النتيجة دمار ثقافي وانهيار اقتصادي، وانقراض للمجتمع في شتى الاتجاهات.



إن تأثير الآلية الجنسية واحد دائماً عند الناس والحيوانات. لكن القدرة تتفتح عن طريق الإنسانية العالية على حساب كبت البدايات الحيوانية، لذلك يجب السعي للإلهي في الدرجة الأولى، ثم للإنساني، وفيما بعد للحيواني. لكن لا لزوم للتخلي عن البداية الحيوانية فهي يمكن أن تتواجد فينا كتجربة لملايين ومليارات الأعوام السابقة، ببساطة يجب عدم الخضوع لها. لذلك فإنه من المفيد كبح الرغبة السطحية الأولى بقدر ما يفيد عدم إعاقة المساعي العليا.



## القسم الثاني







كلما أحببت زوجي بقوة أكثر، وكلما سامحته وبررت تصرفاته وتعاملت معه بصبر أكبر، كان أكثر عدائية، ليس فقط تجاهي، بل وتجاه الأطفال.  
ما الخطأ الذي أرتكبه؟

إن الستريوتيب<sup>(١)</sup> هي الانعكاسات التي تساعدنا على الاقتصاد في القدرة، وعلى التكيف مع الحياة، وكلما كانت المعلومات أضخم، كلما كانت التناقضات فيها أكبر.

إن محاولة التتبع السطحي للحقائق الكبرى تقود إلى أن الناس يقسمون إلى قسمين: أناس يعذرون ويحبون، ولا يدافعون، وآخرون لا يحبون ولا يعذرون ويؤثرون بفعالية. في نهاية الأمر يمرض هؤلاء وأولئك. إذا جلب لك الزوج الألم فإن هذا يعني أن العلاقة الداخلية والتعلق بهذا العالم عالية لديك.

أولاً: يجب الحفاظ على مشاعر الحب نحو الرجل ومسامحته بتقبل الألم، وعدم تشغيل آلية القتل الذاتي. لكن التبرير والتبعية الكاملة له يعنيان تقوية التعلق به.  
إن الإنسان الذي يهين الآخرين، والذي يظهر تفوقه ويفاخر بذلك، يتزلف دائماً أمام الأقوياء ويتملق لهم، وهذا يعني أن الحب والإيمان بالرب ثانويين عنده في

---

١- الستريوتيب: شيء متفق مع نمط ثابت أو عام تعوزه السمات الفردية المميزة؛ صورة عقلية يشترك في حملها أفراد جماعة ما وتمثل رأياً مبسطاً إلى حد الإفراط المشوه أو موقفاً عاطفياً (من شخص أو عرق أو قضية).



العمق، والأمور التي تأتي في المكان الأول عنده هي: حياته الذاتية، ومصلحته، وتحقيق رغباته.

الإنسان المؤمن مستقل داخلياً دائماً. أنا أفكر أن هذا من أسباب تدمير الحكم السوفييتي للكهنة، حيث اعتبر أن أي إنسان مؤمن يجب أن يكون في الموقع المضاد المناهض للحكم. وهذا شرط لتطور الحكم والدولة. يترافق الحكم دوماً بالعنف، ويرتبط بالسعادة البشرية، لذلك فإن أي موظف حكومي ينشد أو يجذب للاً أخلاقيات، وهذا يعني أنه ينشد لفقدان الواقعية والتقييم الصحيح للعالم المحيط.

أما الإنسان المستقل غير المرتبط داخلياً، كيفما كانت شخصيات الدين والثقافة والفن، يحمل في طيات نفسه إمكانات حقيقية للتطور. النزاع هو التطور وهو موجود في الدولة وفي الأسرة. يمثل الزوج الحكم في الأسرة وتمثل المرأة الثقافة والدين، وإذا كان الدين محباً للحكم من دون وعي، غافراً له كل شيء، واضحاً نفسه في ارتباط معه، فإن الحكم طبيعي أن يصبح قاسياً ومستبداً. يجب أن تحب المرأة الرب أكثر مما تحب الرجل، وإذا كان الرجل يهين حبها الإنساني إرادياً أو لا إرادياً، فإنها ستتابع محبته بحبها الإلهي.

أنت تحبين طفلك كيفما كان، أي إن حبك لا يضع شروطاً ولا يحدد ذاته في شيء. لكن المسامحة لا تستثني العقوبة أي الاعتداء الخارجي، فإذا شاغب الطفل تقولين له: «أنا أسامحك، أي لا أغضب منك، لكن علي أن أعاقبك من أجل مصلحتك». إذا أنت لم تعاقبي الطفل مبررة له أي سلوك يصدر عنه، فإنك باستسلامك لرغباته وعدائيته تحولينه إلى مجرم. وحتى المجرم يجب أن يحب وأن يسامح داخلياً، لكن بالتأكيد يجب إعطاء تقييم لسلوكه ومعاقبته.

يتحول حب الرجل عند نساء كثيرات إلى تعلق، والحب قوة عظيمة يمكن بها ربط نفس الإنسان بقوة بالحياة والرغبات، وهذا الأمر طبيعي أن يجعل مزاجه سيئاً وعدائيته تتفاقم. إن التبعية والعبودية يقويان الارتباط أكثر وينتج ما يلي: في أسرة ما تحب المرأة الرجل، وتسامحه، وتتذلل له، أما هو فيتواثق ويسرح ويمرح



ويلهو ويسخر منها. وفي أسرة أخرى تتعامل معه باستهتار واستخفاف، أما هو فيتعامل معها على نحو أفضل بكثير ويتنازل لها عن كل شيء.

بالمناسبة وحسب الإحصاء، إن زوجات أولئك الذين حققوا نجاحات جدية في العمل متسلطات، وهن بتسميهم للحياة الشخصية للرجال يجعلنهم ينقون أنفسهم ويحولون كل قدرتهم للعمل. إن النزاع الخارجي في الحياة الزوجية يعطي تطوراً. ولتحقيق التوازن بين رغبات الطرفين لا بد من حل مشترك وسطي، أي انتقاص ذاتي محدد، وهذا غير ممكن من دون حب. إن النزاع الداخلي أي العدائية العاطفية ضارة بالصحة، وكلما قويت كان انشدادنا للرغبات وللحياة أكبر. هذا يعني أنه يتوجب على المرأة لكي تبني علاقتها بالرجل بشكل صحيح أن تحب، وهذا يأتي في الدور الأول، أي أن تكون مستقلة داخلياً عن الرجل، وأن تحافظ على مسافة معينة بينهما. يجب أن يكون كل إنسان مستقلاً داخلياً بشكل مطلق، وأن يكون مرتبطاً في قرارة نفسه بالرب فقط، عند ذلك لن نلتصق بروحنا بالمحبوب.

ثانياً: يجب دائماً مسامحة الرجل وتربيته. والتربية هي تشكيل عادات صحيحة، أي القدرة على الحب وتقبل الألم وإمساك الرغبات الذاتية والاعتناء بالآخرين. لكن إذا كانت هذه الصفات غير متوفرة عند المرأة ذاتها فإنه يستحيل تعليمها للزوج والأولاد. إن التربية تبدأ من التربية الذاتية. وكثيراً ما يصبح الرجل عدائياً في رده على الحالة العاطفية غير الصحيحة لزوجته، إذا هي اخترقت المبادئ الأساسية للتطور: أي تركت العناية داخلياً بالقريبين، وتكاسلت، وأحجمت عن إعطاء قدرة، وصارت عاجزة عن كبح نفسها في الرغبات الجنسية وغيرها، وعن قبول حالة الصدمة، وأصبحت متعلقة كثيراً، وأخذت تلتوي عن الطريق الصحيح، أو بدأت تربي الأولاد على نحو خاطئ. أما المرأة فلا تفهم سبب عدائية الرجل نحوها فهي تحبه وتسمح للأولاد بكل شيء، وتخفي الاستياء والكآبة في داخلها خوفاً من التصريح بها، أما الزوج والأولاد فيتضاءل حبهم لها. يحصل هذا كله لأنها تعيش بمنطق بشري يمكن أن يعارض المنطق الإلهي.

أنا أشرح لزوار العيادة: في المرحلة الأولى يجب عليكم تقبل الألم والمحافظة على الحب، ومن أجل ذلك يجب عليكم مسامحة الآخرين وتربية الذات. في المرحلة



الثانية يجب عليكم أن تتعلموا الحفاظ على الحب وتقبل الألم ، لذلك فإنه يجب عليكم ليس فقط مسامحة الآخرين بل وتربيتهم أيضاً.

وإذا أنتم لم تتعلموا العمل الأول ، فإنكم لن تتعلموا الثاني. يجب أن نشرح للطفل إذا أخطأ أنه يتصرف بشكل خاطئ. أما إذا لم تقيّم تصرفات الطفل أخلاقياً ، ووضع في زاوية حيث يهان وتحدد رغباته ، كان هذا غير مجدٍ وغير مؤثر ، فقد يلجأ الوالد المحب إلى جلد ولده بالسير ، وهذا يشكل انتقاصاً للحياة والرغبات.

كلما انجذبت نفوسنا بقوة أكبر للعالم ونسيت الحب ، كلما أصبحنا نتصرف بعدائية ووقاحة أكبر ، فعندما تتسى النفس الحب والوحدة مع الرب فإن المشاعر الروحية والقيم المادية تخرج عن المنهج الأول.

إن كمية رغباتنا ومؤهلاتنا والمال تعتبر مؤشراً للسعادة ، فقد يبدأ أحد بالتفكير فقط بالجنس ، والثاني بالتفوق على الآخرين ، والثالث بالمال والغنى.

إننا نراقب كل هذا بأم العين بواسطة الإعلام الروسي الموجه في الدور الأول نحو اكتساب النقود. إن الحب والأخلاق ينقصان من رغباتنا ، لذلك فإنك لن تحقق عن طريقهما آمالاً سريعة.

تأتي الأموال عن طريق أشياء تتجاوز وتخضع للرغبات الدنيا. إن الدعاية لعبادة الجنس والعنف والمال تشوّه نفوس المشاهدين ، وتقوي لديهم العبودية والارتباط بالبشري ، وكلما كان الإنسان أغبى ، كان من الأسهل خداعه وأخذ النقود منه. أنا اعتقد أن روسيا ستتغلب على هذا الإعلام الخطر سريعاً. لكن في الوقت الحاضر يؤدي التلفاز النفس وينعكس بشكل سلبي على الأسرة وتربية الأولاد. إن اللا أخلاقية المسيطرة على التلفاز يمكن أن تؤثر بشكل مباشر في عدد الإجهاضات والطلاقات في الأسر الروسية. وهنا لا يجب البحث عن المذنبين ، فتقافتنا لن ينقذها إيجاد موضوع أو غرض إضافي للكراهة والغضب ، لكنه من الضروري اتخاذ التأثيرات الفعالة في إنقاذ النفوس البشرية.

إن الطلب يولد العرض. فإذا كانت المنفعة المادية عند معظم الروس ، والجنس الحيواني ، والعنف الذي يعطي شعوراً بالتفوق الذاتي ، والمال ، أشياء تشكل



مجالات السعادة الرئيسة، فإن عبادة البداية الحيوانية والتشوه الذي يعتري النفس في الفن والأدب والإعلام ستكون غير مقهورة أو متغلب عليها. لكن بقدر ما تتعتق وتحرر نفوسنا من أسر القيم البشرية أي بقدر تنقيتها من الجسد، ومن التعالي والتكبر، والشهوات، بقدر ما ستكون علاقاتنا أنقى في الأسرة والعالم المحيط.

ما رأيك بالعمليات التجميلية والترقيعية؟ وبشكل عام ما رأيك بالمساعي للتنحيف وتحسين المظهر؟

يحدد المضمون الشكل، لكن المضمون الجيد لا يصبح شكلاً جميلاً مباشرة. تذكر كيف يبدو وجه الجدة ياغا: أشعار متدلّية، شكل محدب ومقوس، غياب للأسنان الأمامية، وفي الوقت نفسه وجود أنياب كبيرة، شفاه كبيرة وأنف كبير مقوس. إن كل هذا مؤشرات للجنسية العالية أي للجمال الأنثوي. سأوضح ذلك:

يقوي الشعر المسدول الرغبة الجنسية، أي يزيد شهوانية المرأة، لذلك فإن النساء المتزوجات يغطين شعورهن.

لا يسمح أبداً بعد الزواج لنساء اليهود المتعصبين بإظهار الشعر، لذلك فإنهن بشكل دائم يحملن شعراً مستعاراً، وكثيراً ما يشذبن شعورهن أو يجمعنه. وفي الكنيسة الأرثوذكسية يترافق السلوك المستهتر بالأشعار المنسدلة، ويمكن للمرأة أن تدخل المعبد فقط بوشاح. إن الأنف الكبير والأسنان القاطعة الكبيرة مؤشرات للجنسية العالية. وبالمناسبة لقد تم قتل الأطفال ذوي الأنياب الكبيرة في كثير من القبائل الأفريقية، ويحتمل أن هذا كان بسبب الفهم الحدسي بأن الجنسية المبالغ بها تقود إلى انحطاط وفساد النوع. إن غياب الأسنان الأمامية يشهد على محاصرة الجنسية غير المسيطر عليها، أما العمود الفقري فيتقوس عند الناس الحساسين الذين لا يستطيعون كبح رغباتهم. بالمناسبة لماذا طارت الجدة ياغا؟ الجواب لأن المستوى العالي للشهوانية، والاتساع الكبير للرغبات لديها يسمحان لها بالتأثير في الجاذبية، ويستطيعان أن يكونا سبباً للعجائب المختلفة. فالعجائب المخلوقة من قبل الإنسان تمثل مؤشراً للشهوانية الخارجة عن سيطرة الحب، حيث يتحول الملاك بسرعة إلى شيطان، والمقدس إلى ساحر أسود، أما وجه المرأة فيصبح منفراً وغير جميل.



إنك لن تخدعي الطبيعة، فكل تلك الحيل الفيزيائية المستخدمة حالياً تجعل الرجال ينظرون بلا مبالاة إلى الشكل، يعطون الانتباه الأكبر للمضمون.

في مباريات الجمال لا يتم منح المراتب الأولى لصاحبات الجمال المعسول اللواتي يعرضن إمكاناتهن الجنسية فقط، فالأثداء السيليكونية أخذت تبدو أكثر تنفيراً وقتلاً للولع الجنسي عند الرجال.

إن رغبة المرأة في أن تكون أجمل وأظرف شيء طبيعي وضروري، لكن إذا كان الشكل الجميل لا يحمل في داخله مفهوماً جميلاً، فإنه يتحول إلى أداة مطاطية وتمثال لعرض الملابس.

إن ذلك الذي يعطي قدرته لتشكيل جمال خارجي وينسى الداخلي، يمكن أن يفقد تحديداً ذلك الشيء الذي يسعى إليه.

أنا طبيب نفسي، قل لي من فضلك كيف أعمل مع الناس بحيث لا يغدو عملي معهم سيطرة عليهم أو تحكماً بهم.

أياً كانت النصائح التي يعطيها الطبيب النفسي للمريض، فإنه ينسخ داخلياً حالة الطبيب الداخلية. فإذا أنت حاولت مساعدة إنسان آخر فإن هذا يعني أنك تلم بالموضوع أكثر منه، وعليك تقديم الدعم والمساندة له، لكن إذا كنت نفسك في حالة غير منسجمة، فإنك إما ستحمل المشكلات للمريض أو ستحملها أنت، وهذا يسبب مشكلة.

لما كان المفهوم عن الحب غائباً في علم النفس، فإن جلسات المساعدة النفسية تفكر كثيراً بالسحر. نفترض أن وظيفة الطبيب النفسي هي المساعدة على استعادة التوازن النفسي، والتغلب على الشدة وحل النزاعات. لكن دون الاعتماد على الحب في كل شيء لا يمكن التغلب على الشدة والنزاع. إن تسهيل الحالة هنا (في علم النفس) يمكن فقط بالخلط بين الأشياء، فإذا كنت تحب زوجتك كثيراً وتتوتر؛ فابدأ بالتفكير بالعمل فقط.

أنت تهتم كثيراً بعملك؛ فكر فقط بالفائدة والأموال. تفكر بالمال بشكل جنوني؛ خذ لنفسك هواية ما، حيث إن بذل القدرة من دون طمع يمكن أن يساعدك.



إذا كان كل هذا لا يساعد؛ أبدأ بالتفكير بالزوجة والأسرة. لكن عاجلاً أو آجلاً لكي يساعد الأطباء النفسيون الناس يجب عليهم أن ينتقلوا إلى تربية العادات الداخلية لديهم التي تساعد على الإحساس الحدسي بتفوق الحب على كل ما هو بشري.

أخذت تظهر في الآونة الأخيرة مقالات تبرهن فيها علاقة الأمراض بالميزات النفسية للإنسان. كقاعدة الإنسان البخيل مريض جداً داخلياً، والناس المستأثرون يعيشون عمراً أقصر، وكثيراً ما يكونون عرضة لأمراض الرشح. أما مرضى السرطان يعانون من كآبة وأسف على الماضي.

عندما يساعد الطبيب النفسي الإنسان على أن يتغير ويغير علاقته بالعالم وعلى تحسين وتشذيب مزاجه، فإنه يتحول من السحر إلى الدين، وهذا يعني أن السيطرة استبدلت بالتحكم الذاتي، وحينذاك تصبح الوظيفة الأهم للتطبيع النفسي هي المساعدة في التعليم الذاتي، وهذا يسمح بتقليل المشكلات التي يلقي بها المريض لا إرادياً على كاهل التطبيع النفسي.

إن مفهوم السعادة في المنهج السطحي مرتبط بتحقيق الرغبات «السعادة هي أن تحك، عندما تشعر بالحكة». إن كل رغباتنا في نهاية المطاف تقود إلى دعم الحياة واستمراريتها، وهذا يعني أن المشكلات في المجال الجنسي أولية، ويتيح حلها حل بقية المشكلات، أي إن عدم تجاوز حالات الشدة في الناحية الجنسية يولد مشكلات في مجالات الحياة كافة.

لقد حقق فرويد اكتشافاً عبقرياً عندما حاول رد كل علة إلى الميل الجنسي، فالحالة العاطفية للإنسان ترتبط كما يبدو بشدة بالأمراض النفسية والفيزيائية، وهذه العلاقة ليست خارجية فقط أو جانبية فقط، بل داخلية.

إن العواطف الداخلية العميقة تحديداً يمكن أن تشوه نفسية وجسم الإنسان. وليست مصادفة أن تؤكد الفلسفة الهندية أن القدرة الرئيسة في الإنسان جنسية، ويمكن أن يؤدي عدم استخدامها بشكل صحيح إلى أمراض النفس والجسم، وإلى مصير سيئ.



لقد تلمس فرويد أساس الأسس، لكنه بتقيده فيما بعد بإطار العلم جعل مهمته غير محققة. فلقد أصبح التحليل النفسي يفقد مواقعه تدريجياً في محاولته لمساعدة نفس الإنسان. فالطبيب النفسي الذي يحاول جدياً مساعدة مريضه بشكل أكيد لا ريبة فيه، عليه أن يحل المشكلات في الإطار الجنسي، وإذا كان الطبيب يفتقر إلى الإيمان الداخلي، فإنه سيتسبب بمعاناة المريض، واعتلال صحته ونفسيته ومصيره، وبمعاناة أسرته بينما يظن أنه يساعد المريض. في هذه الحالة ستظهر المشكلات على نحو أبطأ عند الذين يقدمون النصائح في مسائل المادة والأعمال. أما عند أولئك الذي يقدمون النصائح في المسائل المتعلقة بالأسرة والمشكلات الجنسية، فإن النتائج السلبية يمكن أن تظهر بسرعة أكبر.

يبدو لي أنني ذكرت بجمعيات الأطباء النفسيين حيث إن الاتجاه الرئيس كان نحو تقديم النصائح للأسر، إذ قال اختصاصي: «أنتم تعرفون أن النتائج كانت لامة، لكن في الحقيقة، وفي فترة ما، نحن جميعاً فارقنا»، أي إن كل الأطباء النفسيين فقدوا أسرهم.

ابني (ثلاثة أعوام) يريد بعناد ارتداء التنانير والأقراط... إلخ. ويقول إنه يريد أن يكون فتاة. أنا ذاتي أعمل طبيبة نفسية. ما هو قدر الضرر الذي قد تلحقه مهنتي بنفسية ولدي؟ أيجدر بي اللجوء إلى علم النفس أم أن القضية أبعد من ذلك؟ كثيراً ما أعاني من ألم نفسي قوي. ساعدني من فضلك!

لقد اخترت هذا السؤال منذ فترة قريبة عندما كنت أقلب أوراق محاضراتي القديمة. اتصلت بهذه المرأة، إذ كان من الممتع والمثير للفضول عندي أن أعرف إن كانت قد تغيرت حالتها بعد المحاضرة. لقد ظهر أن تغيرات إيجابية عند الطفل، فلم يعد السعي لديه لتغيير الجنس واضحاً، أي إنه أصبح قادراً على تجاوز الحالات الصعبة في مجال الحب البشري والجنس والعلاقات.

- اعذرني - قالت المرأة - لكنه يريد سماع صوتك. وناولت السماعة لابنها.

- كيف حالك؟ سألتها ما اسمك؟



لم يجب شيئاً. ربما كان يلزمه فقط سماع صوتي.

أخذت الأم السماعه ثانية.

- أنت تعرف، لم يبلغ بعد الأربع سنوات، وهو يجبرني على تشغيل أشرطتك ويشاهدها ويسمعها برضى.

- رائع! يبدو أن الولد يسمع بروحه وليس بعقله. لذلك يمكن تحديثه عن الحب أثناء فترة الحمل وحتى قبل الحمل، تسمعين جملة مجنحة: «تبدأ تربية الأولاد اعتباراً من ولادة آبائهم». إن الألم النفسي القوي الذي تحدثت عنه في رسالتك يشهد على مشكلات جنسية شعورية غير محلولة.

- نعم يصعب علي التغلب على الاستياء من الزوج وتوجيه العتاب له.

- هذا يذهب مع مرور الزمن. لكن من وجهة نظري إن الإنسان الذي يعاني من ألم نفسي حاد ولا يستطيع التغلب عليه في الحمل، من غير المرغوب أن يعمل طبيباً نفسياً.

- لقد تركت الطب النفسي، والآن أعمل مع الأطفال الذين عندهم مشكلات. هل يؤذيني هذا؟

- على العكس يساعد. إن حب الطفل مع كل عيوبه أسهل بكثير من حب الكبير، وعندما نحب نحن الشيء الذي لا يعجبنا، فنحن نحب بواسطة الشكل الجوهر، أكان حالة أم إنساناً.

إن شخصية أي إنسان من حيث المبدأ هي مجموعة الحالات المركزة في العواطف على المستويين الوراثةي والحقلي.

وعندما لا يكبح حبنا بسبب الشكل مهما كان منفراً، فإننا نحب المضمون باستمرار، أي في نهاية المطاف الخالق مشكل الكون. وعند ذلك مهما كان عملنا: أطباء نفسيين، أم أطباء، أم عمال، أم مدرسين فإننا بمساعدتنا للآخرين نجلب الضرر لأنفسنا. إن الزمن حركة، فإذا نحن لم نتطور نخبو، وإذا لم نمض إلى الأمام فإننا نتراجع إلى الخلف، وإذا لم نُقدُ المرضى إلى التنقية والاستنارة، فإنهم سيقودوننا إلى المشكلات والأمراض. بقي فهم هذا واستخلاص النتيجة.



تقابل ابنتي شاباً وتمتلى لقاءاتهم بالمشاكسات: تتناوب فترات العلاقات الجيدة وفترات الخصومة وعدم التفاهم والعتاب المتبادل.

من فترة قريبة سألتني ابنتي بجدية بعد إحدى الخصومات: «بابا أهذا حب؟» ماذا تقول أنت سيرغي نيكولايفيتش جواباً على سؤال هذه الفتاة الشابة؟  
ربما كنت سأقول: «إن هذا إعداد للحب، وفي الحب ينتصر ذلك الذي هو مستعد لإعطاء حب أكثر بكثير مما يأخذ».

يصبح الحب تعاسة لمن يريد أن يأخذ فقط. إن التطلب المغالى به والاستيلاءات والعتابات هي عبارة عن استهلاك. إذا لم يعجبك شيء ما في شخص ما، غيره، قم بتربيته، لكن لا تقتله باستيائك منه. إن العقاب بالاستيلاء وعدم الحب غير مقبول. إذا لم يعجب الفتاة بخل الشاب، أو تعاليه، أو عصبيته، فإنها يوجد عندها الشيء نفسه. نحن بتغيير عالمنا الذاتي نغير العالم الداخلي للإنسان القريب منا. منذ مدة غير بعيدة استلمت رسالة صغيرة في المحاضرة، أرسلها لي رجل أعمال شاب:

- لدي تدهور تام في أعمالي وأموري، وأي محاولة لتغيير الحالة تبوء بالفشل. بماذا تتصحني؟ هل أصبر؟ أم أن هناك شيئاً آخر تتصحني به؟

- هذه المرة ليس من المطلوب أن تصبر. ببساطة يجب عليك تغيير نفسك في الدرجة الأولى، وليس تغيير حالتك. فإذا لم تتحقق رغباتنا تكون خاسرة، أي تتعرض للضرر، وهذا يحدث عندما يكون نصيب الحب فيها قليلاً. أتعرف ما هي الكآبة؟ هي عدم الثقة بالنفس. فإذا كنت لا تثق بنفسك، فإنك تتوقف عن محاولة فعل شيء ما، أي إنك لا تصرف قدرة. وإذا لم تبذل قدرة، لن يأتيك الحب، لذا يرتبط الكسل والكآبة كل منهما بالآخر.

تذكر قصة الضفدعين اللذين وقعا في الحليب؟ أحدهما يئس فجمع قوائمه وغرق، أما الثاني فتابع الضرب والخفق فتشككت الزبدة من الحليب وتمكن من الخروج. كلما كان الحب فينا أكبر للرب كلما استطعنا عمل محاولات أكثر لتغيير أنفسنا وتغيير العالم المحيط بنا، وكلما كانت محاولاتنا أكثر نجاحاً. لقد أجرى فاراداي عشرات الألوف من التجارب ليكتشف قانون التحريض الكهرومغناطيسي محولاً الحركة الميكانيكية إلى قدرة كهربائية.



لقد كانت رغباته محيطة ومهانة آلاف المرات لكن هذه الإهانة طالت ما يتعلق بالتركيز على الحياة والمنفعة، أما الحب والإيمان والتفاؤل فلقد بقي محافظاً عليهم. وعندما أصبح معنى الحب المستمر أهم بكثير من الرغبات والحياة البشرية، أصبح الاختراع والاكتشاف ممكناً، وصارت الحضارة الحديثة غير ممكنة من دون القدرة الكهربائية.

لكي لا تموت الشجرة يجب أن تكون البذرة نظيفة. لذلك فإن أي قضية نبذوها بحب وتفاؤل تمتلك فرصة للنجاح والتطور. ويحدث الشيء نفسه عندما تترابط العلاقات، فبقدر استعدادنا للتضحية والاعتناء والتسامح مع الألم، بقدر ما، تصبح علاقاتنا بالناس القريبين متنوعة الأشكال وجميلة. لكي نأخذ يجب أولاً أن نعطي شيئاً ما حتى ولو كان بالمعنى الضيق. هذه الحقائق بسيطة، لكن لكي تتحقق يجب أن نحب وأن نحاول باستمرار أن نجعل نفوسنا أفضل.

عند الجهد الفيزيائي أو العصبي يبدأ الألم في الكلى. لا تظهر الفحوصات وجود حصيات، لكن تحليل الدم يدل على وجود التهاب. بماذا يمكن أن يكون هذا مرتبطاً؟

تترافق الحمولة أو الجهد الفيزيائي والعصبي ببذل قدرة كبيرة. فإذا كانت الطيبة الداخلية وشعور الحب لا يكفيان، فإن الهبوط الحاد للقدرة يشغل برنامج التدمير الذاتي، وهذا البرنامج يكبح بالألم الالتهابات. إذا لم يتم إيقاف هذه العملية يبدأ تخريب الوظائف. أي إن الالتهابات تؤدي إلى تشكل الحصى في الكلى.

إذا تفاقمت العملية فإن تخريب الوظائف ينتقل إلى العضوية، ويمكن أن يؤدي إلى الموت فيما بعد.

كلما كان تعلق الإنسان داخلياً بالحياة والرغبات أكبر، كلما كانت مخاوفه وتأسفاته وانزعاجاته وكآبته أكبر، وكلما كانت قدرته التي لا يمكن أن تستكمل بالغذاء أقل، وعند ذلك تبدأ الحمولات الفيزيائية والعصبية بتخريب الصحة. وحتى إذا كان الإنسان منسجماً بما يكفي، لكنه يعمل لوقت طويل في نظام الحمولة الزائدة، فإنه يتعرض لمرض شديد بعد بضعة أعوام دون أن يربط



مرضه بتلك الحمولات التي تعرض لها سابقاً. إن الشدة المديدة غير المتغلب عليها، تأخذ منا القدرة الدقيقة، ويمكن أن تؤدي إلى مرض الجسم، ويمكن للنفسية أن تتضرر أيضاً، لذا فإن مراعاة القواعد البدائية: الصلاة، طيبة النفس، إمساك النفس... إلخ تشكل تلك القاعدة التي تساعدنا على تجاوز الحمولات من دون ضرر أو خسارة الصحة.

سيرغي نيكولايفتش المحترم! عشت وفق قواعد كتبك أعواماً كثيرة. في الفترة الأخيرة أعييت من الرغبة القوية بالجنس، وفقط الجنس.. أما عمري فلا بأس به: خمسون عاماً. ما العمل؟

تنتقل القدرة الإلهية إلينا من المنهجيات الدقيقة، لذا فإننا نشحن بالقدرة بقدر ما نمتنع عن الوظائف السطحية.

النوم هو امتناع عن الخطط الخارجية والمنطق السطحي. إن الخروج إلى الخطط الدقيقة لا يعكس قدرة فقط، لكنه يفتح أيضاً وضوح الرؤية. لما كان الزمن مضغوطاً في المعنى الدقيق، فإن العلاقات بين الحوادث تكون أكثر وضوحاً. إن التأمل بعمق يسمح بالخروج إلى الخطط أو المعاني الدقيقة بشكل واع. لكن الإنسان يأخذ القدرة أيضاً، ويحدث توسيع للإمكانات بشكل مترافق مع ذلك.

في الحقيقة إذا كان الحب في النفس والسعي للرب قليلاً، فإن النفوذ إلى الخطط الدقيقة، وتطور الحساسية والمقدرة على الرؤية الواضحة، يمكن أن يعطي مشكلات جدية في النفسية والصحة، لكن هذا حديث مستقل. وهكذا فإن القدرة الإلهية تأتي من الخطط الدقيقة، وتتوزع على الوظائف الرئيسة للكائن الحي: على نفسه وروحه وجسمه. أي إن القدرة الإلهية تتحول إلى قدرة جنسية وعقلية وجسدية. لكن هذا التبدد الثانوي التكتيكي للقدرة يجب أن يوجد في الدرجة الأولى لتحقيق الأهداف الاستراتيجية، أي الأهداف العليا الروحية، وللسعي للرب.

إذا عانت المرأة أو أمها من كآبة قوية، عدم رغبة في الحياة، إزعاجات كبيرة من الأب أو الرجل المحبوب، فإنها تظهر كما تظهر الدمامل في الجسد،



وعند ذلك تذهب المقدرة في القنوات الحية، فلا تتحول إلى روحية ثم إلى إلهية. إن الجنسية العالية تشهد ليس على القدرة العالية والانسجام، بل على العكس على عدم القدرة على الحب، وعلى المشكلات الجدية في الخطط الدقيقة التي تقود إلى الانقراض.

يشهد استخدام الموضوع الجنسي بمبالغة على انحطاط المشاعر العليا الضامنة للبقاء الاستراتيجي. لاستعادة هذه المشاعر العليا يجب الحفاظ على الحب للرب في لحظة هبوطها وانحدارها، أي الحفاظ على حب الرب عند أي ألم في النفس. إذا لم يتم القيام بهذا العمل فإن القدرة تتركز على الرغبة الجنسية، وتبدأ عملية الانحطاط في الحياة القادمة. إن امرأة كهذه يمكن أن تكون ماجنة تماماً في الحياة القادمة، ويمكن أن يكون أولادها وأحفادها إما ماجنين، أو ما لديهم تحديد فيزيائي أو نفسي آخر كاللواط أو العقم... إلخ.

قال يسوع المسيح: «من يفقد نفسه لأجلي، فإنه يمتلكها».

النفس هي مجموعة مشاعرنا العليا ورغباتنا المرتبطة بأسس الحياة، وإذا حافظنا على الحب للرب في لحظة انهيار مشاعرنا العليا ورغباتنا، فإننا نفقد أنفسنا ليس في سبيل المال، بل في سبيل الحب للرب. والذي يحصل لنا ليس انقراضاً، بل تجديد نفوس، وانفتاح قنوات استراتيجية عليا. وعند ذلك فإن أي قدرة تتجاوز احتياجاتنا القاعدية لا تفجر هذه الاحتياجات وتطلقها، بل تبقىها بقدر الحاجة، وتعمق في الأقسام العليا لوعينا ومشاعرنا منقذة نسلنا ونفوسنا.

أنا أدرس في كلية الطب للعام الرابع، ويصعب علي التوفيق بين المعلومات التي تعطيها في كتبك وبين ما ندرسه يومياً في الكلية. ساعدني من فضلك على الفهم، كيف أوفق بين المعلومات، ولأي منها أعطي الأولوية؟

الإنسان عبارة عن غلاف فيزيائي، أي جسم وروح، أي وعي وحالة نفسية ونفس، أي إن عواطفنا ومشاعرنا في الدرجة الأولى وجدانية، وهي تلك البذرة الإلهية التي توجد بشكل غير مرئي في كل كائن حي، وفي كل غرض في هذا



الكون. لشفاء الجسد لا بد من شفاء النفس، ولشفاء النفس لا بد من تعلم حب الخالق. لما كان مفهوم النفس غائباً في الطب الحديث، فإنهم يدرسون الجسم كآلة وآلية يجب تعيير أو شد شيء ما فيها، قطع أو إصلاح شيء ما فيها، وعند ذلك يغدو الجسم صحيحاً. يستخدم هذا المدخل الميكانيكي في الطب العلاجي، حيث يمكن التأثير في الجسم فيزيائياً أو كيميائياً عن طريق علاجات مختلفة، أو حمية أو تغذية ما. لما كان الوعي هو وظيفة للجسم كما عدّه دائماً الطب الحديث، فإنه لشفاء الوعي يجب التأثير في الجسم أيضاً. وعندما يرى الطبيب كيف يشفى مرض الفصام بعد الاتصال بكاهن وبعد صلوات عديدة، لا يستطيع فهم هذا. وتقبل هذا بالنسبة له صعب للغاية، إذ إن حصول هذا من وجهة نظر الطب الرسمي مستحيل. لكن المدخل الميكانيكي أعطى نتائج جيدة لفترة طويلة، وأعطى الكثير لتطوير الطب الحديث. إن الجسم والروح والنفس أشياء مترابطة كما المادة والفراغ والزمن. فبالتأثير في الجسم نحن بالتأكيد نؤثر في وعي وعاطفة الإنسان. لكن عندما نقدم المدخل الميكانيكي على أنه الممكن الوحيد، فإننا قد نضيع الإمكانيات الطبيعية للشفاء الحقيقي، وقد نلحق الضرر بنفس الإنسان.

يجب أن نفهم ببساطة أن الطب الحديث هو فقط الجزء الذي نملكه من المعلومات عن الإنسان. ويمكن استعماله، لكن لا يجب عدّه مطلقاً، لا سيما أننا نشاهد حدوث ابتعاد تدريجي عن الفهم الميكانيكي والجامد لهذه الظاهرة؛ الإنسان.

يفهم الطب أنه يجب علاج الجسم والنفس في الوقت نفسه، فقد لاحظ الأطباء في البداية أنهم بعلاجهم لعضو ما يؤدون إلى مرض آخر. لقد أدت رؤية هذه العلاقة إلى اعتبار مفهوم هبوط المناعة كسبب عام للأمراض، فإذا هبطت المناعة فإن منظومة الغدد الصم لا تعمل بشكل صحيح، وقد تمرض إحدى الأجهزة. وإذا عولج عضو ما فقد يمرض الآخر. لقد توجب ربط مفهوم المناعة بالعواطف ومزاج الإنسان، فظهر ذلك العلم المسمى علم النفس، وهو يعتبر أن شفاء الأمراض يرتبط في الدرجة الأولى بالتأثير في عاطفة الإنسان وليس في جسمه. أي إن الطب الحديث



يتطور بنجاح كافٍ في فهمه وإدراكه لكيثونة الإنسان بواسطة ملامسته أكثر وأكثر للفلسفة والدين في سلوكه هذا الطريق من الفهم، وتساعد الحالة المتشكلة في العالم في هذه العملية. فإلعالجات والأطباء تتقدم، في حين الصحة تتراجع. إن هذا ليس فشلاً للطب الحديث، بل فشلاً للمدخل الميكانيكي الذي عدّ مطلقاً.

إن ورش صناعة العقاقير تذكرنا بالجمعيات الاحتكارية، فالأدوية يزيد ثمنها وتقل فاعليتها، وتكثر مضاعفاتها وعقابيلها. إنني أعتقد أن مأزق الطب الحديث هذا سيكون في وقت قريب مرهوناً بتطوره المستقبلي.

أشعر أنني أغير بشدة عندما أشرب القهوة، وعند ذلك فقط أستطيع العمل والإبداع واتخاذ القرارات. من دون شرب القهوة تنتابني شكوك دائمة تعيق عملي، وأفقد الرغبة في عمل أي شيء.

كيف تؤثر - حسب وجهة نظرك - المنبهات كالقهوة في البنى الحقلية؟ ما درجة ضرر مثل هذه العلاقة؟

تؤهل المخدرات والكحول والسجائر والقهوة لانطلاق قدرة دقيقة، وإذا أنتج الإنسان القدرة بشكل أساسي تحت تأثير المنبهات، فإن الجسم يضعف تدريجياً، فلا يغدو الحب في النفس مصدر القدرة، بل إفراغ المخازن الاستراتيجية تحت تأثير المنبهات. إن الإكثار من هذه الوسائط يترافق بتفريغ (أو تخريب) المخازن الرئيسية، وقد يؤدي إلى حدوث الأمراض، وتقوية الارتباط العام.

أعتقد أنه من المضر بشكل خاص أخذ المنبهات في الربيع، حيث يكون شعور الحب فعالاً في وعينا الباطني، ويمدنا بقدرة جديدة، ويصل إلى الخطط الدقيقة.

أعلم أنا وزوجتي في مدرسة علوم نفسية وغيبية تعطي - ببساطة - معارف فذة، لكن معظم الدارسين يفقدون القدرة على إنجاب الأطفال. بماذا يتعلق هذا؟ وكيف نتقيه؟

إن فتح العين الثالثة والرؤية الواضحة في الفراغ والزمن واكتشاف المقدرات، أشياء ترتبط بالنفوذ إلى الخطط أو المنهجيات الدقيقة، فكلما خرجنا إلى خطط



أكثر دقة ، توجب علينا بلوغ مستوى أكبر من الامتناع عن السعادة البشرية. وهذه الإمكانيات تعطي الحب الإلهي. فإذا كان الحب لا يكفي، لا بد من الانقطاع عن كل أشكال الارتباطات.

المستوى المادي: الأكل، المال، العمل.

المستوى الروحي: العلاقات الاجتماعية، التعامل.

المستوى الشعوري: الجنس، الأطفال، الأسرة.

يقع المستوى الشعوري في أساس السعادة المادية والروحية. ولكي يحافظ الإنسان النافذ إلى الخطط الدقيقة على بقاءه، يجب عليه في الدرجة الأولى أن يخسر ويقلل من مجاله الشعوري، لذلك فإن أحد الشروط الأساسية للدخول في المدارس الصوفية هو غياب الأسرة والأطفال والجنس. من فترة قصيرة قدمت استشارة لامرأة قالت:

بدأت بالذهاب إلى دروس التأمل، بعد شهر صرت أحس أثناء التأمل بشعور حب كبير ليس له حدود للعالم كله، وبتوحد تام معه، وكأن كل النساء أصبحن مقربات مني. لقد غمرني هذا الشعور بالحب، فأحسست نفسي أسعد الناس. في غضون أيام حدث شيء فظيع مع ابنتي، توجب علي وضعها في مصح نفسي أمضت فيه شهرين، ومنذ فترة قصيرة أخرجت من هناك. هل يرتبط هذا بوضعي؟

أجبتها: بالطبع يرتبط، فعندما يحصل الإنسان على مالٍ أكثر مما استحق فإن هذا يقتله. إن السعادة تقتل ببطء وبشكل غير ملاحظ. يعرف الجميع أن الأموال غير المستحقة تخرب الإنسان. إن الذين يسعون للحصول على أموال كبيرة من دون استحقاق، مثلاً عن طريق الاحتيال أو السرقة، هم أناس مرضى من حيث المبدأ. لقد حصلت على متعة شعورية عالية غير مصحوبة بضمانة كمية حب كافية للرب، وكانت النتيجة أنك دفعت ابنتك لقاء ذلك. فلكي تختبري هذه المشاعر كان يلزمك اندفاع قدرة هائلة غير متوفرة عندك، لذلك فقد أخذت هذه القدرة من ابنتك.

لقد حدثوني منذ فترة قريبة بقصة امرأة رغبت كثيراً بامتلاك شقة. وقرأت في مكان ما أن الرب يسمع دائماً صلواتنا، وإذا تمت الصلاة بصدق شديد واقتربت



بالسؤال. فإن الرغبة تتحقق دائماً. هي فصلت عامين اثنين دون كلل سائلة الحصول على شقة، لكن ظروفها جاءت على الشكل التالي:

تمكنت من شراء شقة، وبعد شهر مات ابنها، وهذا يعني أن الرب إذا منعنا أو حرمانا من شيء ما، فإن حسد الآخرين أو الاكتئاب لا يثمران.

يجب الحلم ليس بالشقة، لكن بالحب في النفس، وفي الدرجة الأولى وضع النفس في نظام، فإذا كانت القدرة لدينا لا تكفي لامتلاك شقة جيدة كبيرة أو سيارة باهظة الثمن أو حساب في البنك، فإننا عندما نحصل على هذه الأشياء نأخذ هذه القدرة من أنفسنا أو من أولادنا، مدمرين مصيرهم وصحتهم ونفسياتهم ومزاجهم.

كثيراً ما يسألونني: لماذا يوجد هذا المستوى الحياتي المتدني في روسيا على الرغم من غناها الكبير جداً؟ لماذا تحتل روسيا إحدى المراتب الأولى في الاحتكار أي في البيع والنهب؟

في العام الماضي خصص مبلغ ١٠٠ مليون دولار لكل ما يتعلق بصناعة الطائرات في البلاد، في حين خصص مبلغ زهيد للمؤسسات التعليمية أي لبناء المستقبل، فعشرات المليارات يخسرها الاقتصاد عن طريق النهب أو عدم دفع الضرائب.

لقد دهشت جداً عندما سمعت منذ عامين في لقاء للرئيس مع مالكي شركات الغاز أن مجموع ما يقصرون في تسديده للميزانية يفوق ميزانية البلاد نفسها.

إن البلاد تنحط ببطء، مسببة الموت لمستقبلها وعلمها وثقافتها وأخلاقها، وكل هذا على خلفية تدفقات المال الهائلة التي تجذب مجموعة من الأغنياء والناس عديمي المبدأ، وأبسط شيء اتهام هؤلاء الناس في كل نكباتنا. لكننا إذا قبلنا أن هذه الحالة لن تظهر مصادفة، فإننا نصل بسرعة كافية إلى السبب. لقد قوى غنى روسيا العلاقة الاستهلاكية في البلاد كلها، وخربت الخيرات غير المستحقة النفوس، وعلى هذه الخلفية يمضي تطور الوعي الديني ببطء وسطحية. ويبدو لي أن روسيا في الجوهر لم تكن



مسيحية أبداً. فلكي تكون مسيحية يجب أن تتفد الوصايا أولاً ، تلك الوصايا التي تساعد على اختبار الحب للرب ، وعلى تنقية النفس. لا تنهب ، لا تحسد ، لا تقتل ، لا تغضب ، لا تخضع للنقود والشهوات ، هذه وصايا اليهودية. وأنا حتى الآن لم أتكلم عن وصايا المسيح التي فيها الغيرية والاستعداد للعطاء والعناية والمساعدة والتركيز على الحب أكثر بكثير مما هو عليه في بقية الأديان.

لقد ظهر في القرن التاسع عشر في روسيا الإرهابيون والاشتراكيون وغيرهم ممن تستثني فلسفتهم مفاهيم الحب والأخلاق ، لكن المجتمع لم يقوم هذا بشكل صحيح.

أنا أتذكر دهشتي واستغرابي عندما قرأت في كتاب ف. أنجلز «جدلية الطبيعة» الجملة التالية: «عندما يدور الحديث عن الاهتمامات التطبيقية للكادحين ، لا يمكن أن يكون هناك حديث عن الأخلاق والقيم».

وهنا أتذكر قصائد الشاعر الروسي نكراسوف ، هذا الرجل الذي لديه قيم متضرة: «اذهب وتذكر: القضية خالدة عندما يتدفق الدم من أجلها». فالشاعر يصف في قصائده كيف دفن الفلاحون الرجل الألماني حياً ، وهو الذي كان يعلمهم كيف يعملون حياً. وهنا أذكر جملة ماكار ناكولني عن الأرض المستصلحة: «نعم أنا من أجل الثورة العالمية ، لو وضعوا لي في صف مئة عجوز وطفل ، لحصدت الكل من فوهة المدفع».

إن اللا أخلاقية وانعدام القيم يتمثلان في تقديم القيم المادية على الحب. ومهما كان الغطاء الذي أتوا به فإن المستقبل اللامع للبشرية جمعاء لن يكون عن طريق القتل وإراقة دماء غير الموافقين كما هو عند الشيوعيين ، ولن يكون عن طريق السعادة الشخصية والمنفعة على حساب دمار البلاد كما هو عند الطفحة الحديثة ، ولن يكون عن طريق تلك المشاعر العليا والجميلة التي نختبرها أثناء التأمل. إن كل هذا يقتل النفس ، وفي نهاية المطاف يقتل الجسم إذا لم يتعلم الإنسان الحب ، ولم يحس بالتفوق الإلهي الحقيقي على كل أشكال السعادة البشرية.



سيرغي نيكولايفتش المحترم: عمري ٢٨ عاماً، متزوجة وأحب زوجي وهو يحبني، لكن لا أريد أن يكون لدي أطفال، ولا أودهم. أفهم أن هذا أمر غير عادي! ما العمل؟

إن الأولاد رمز لاستمرارية الحياة والأسرة والعلاقات والجنس. وكلما كانت المرأة أكثر تعلقاً بالسعادة الأسرية، كلما تراكمت في وجدانها عواطف العصبية والاستياء والكآبة، وينتقل هذا كله للأطفال. عندما تشعر المرأة أن نفوس أطفالها غير منسجمة، تفهم في وجدانها أن ظهور الأولاد على الدنيا يعني تنقية، وكلما كانت نفوس الأولاد أكثر تعاسة، كلما كانت هذه التنقية أكثر إيلاًماً.

يمكن أن يسبق الحمل أو يترافق بالمرض والتعاسة، أو الاستياء من طرف الرجل والخيانة والغدر والانفصال، وقد تظهر هذه الأمور بعد الولادة، لذا فإن المرأة إذا كانت تشعر أنها لن تتحمل وتتقبل مثل هذه التنقية، أي إنها عملياً لن تمتلك أطفالاً أصحاء، فإن رغبتها في امتلاك الأطفال تزول.

يستطيع الإنسان نفسه أن يقرر أينجب أطفالاً أم لا، فالأطفال وحبهم والعناية بهم هي سعادة عارمة يجب أن نتعرض من أجلها للألم والخسارة والإهانة إذا كان الحب لا يكفي في النفس. أما غياب الأطفال فيساعد على الإقلال من حجم المعاناة وتأجيلها. لكن التنقية على أي حال ضرورية للنفس، وهي ستحدث لا محالة، فإذا لم تكن هنالك رغبة لإنجاب أطفال فإنه من المحتمل أن الأمر لا يستأهل التعجيل في ذلك، لكن الاعتناء بالنفس ذاتياً لا بد من إجرائه دون إبطاء، فإذا نحن لم نتطور فإننا سنتعرض للانقراض، وقد نرى أنفسنا على شكل يختلف كثيراً عن الشكل الحقيقي الذي تبدو عليه نفوسنا، أما صحتنا ومصيرنا فيتحددان تماماً بما يستقر في أعماق نفوسنا، أي في وجداننا.

منذ مدة قريبة قرأت في جريدة قصة غير ناضجة عن إنسانين متحابين، عرضت هذه القصة بعض المشاهد، أما قصة الحياة فأسمح لنفسني أن أعرضها في الصفحات التالية.



## يا له من حب غريب!

حتى تلك اللحظة التي انخرطت فيها في الصحافة كانت قضايا المحكومين والأحكام الصادرة بحقهم والكشوفات والمتابعات القضائية هي مصدر الإلهام الوحيد بالنسبة لي.

لقد أمضيت اثنين وعشرين عاماً في النيابة العامة. وفي إحدى الجلسات بينما كنا نتناول البيرة أنا وصديق حميم لي كان يعمل صحفياً، اقترح علي تدوين هذه التجربة (الحياتية)، ومن هنا ابتدأت الحكاية.

ما أريد أن ألفت انتباهكم إليه الآن ليس مميزاً لمؤلفاتي تماماً، لكن الأصدقاء سألوني ذلك، وهل يمكن صد الأصدقاء؟ ولماذا سألني الأصدقاء؟

إن القصة خيالية تقريباً على الرغم من أنه لا يوجد فيها كلمة مختلقة واحدة. والبطلة امرأة معروفة للكثيرين، حتى إنني لا أريد تسميتها باسمها الحقيقي.

أتت لنا سيديخينا من قرية شمالية (منعزلة) صماء للتسجيل في الكلية. هي لم تكن جميلة فقط، بل كانت قوية الشخصية أيضاً. وعندما أصبحت في السنة الأولى في كلية الحقوق أطلقت عليها الثرثارات في المعهد اسماً مستعاراً «فاسا جيزوفا» تلميحاً لإحدى السيدات ذات الاسم الوحيد في الأدب الكلاسيكي للقرن الماضي.

لقد كان طالبو يد وقلب لنا كثيرين، فهي لم تترك الأفضلية لأي من جميلات صفها ذوات المستقبل الواعد، لكنها على الرغم من ذلك تزوجت بعد عامين حيث اختارها شاب جيولوجي مرح اسمه سيريوجا.

سافر سيريوجا بعد الخطبة فوراً للعمل فيما يسمى الحقل، حيث مكث ثلاثة أعوام لم يرسل فيها لقرينته قرشاً واحداً.



نسيت أن أذكر أنها حبلت منه. يا لها من قصة حلوة! ليلة الزواج الأولى و.. نعم، فكل شيء يحدث!ؤكد لكم كباحث سابق أن الحياة تأتينا مرة أخرى بقصة غريبة لا تصدق، ولهذا السبب تحديداً لن أزخرف كتابتي هذه بالتفاصيل، بل سأحاول سرد جوهر القصة حسب استطاعتي بحيث تكون الحقائق (الوقائع) كافية تماماً، وما عليكم إلا أن تقرأوا كل شيء بالترتيب دون قفز ودون النظر إلى النهاية.

رأى سيريوجا الطفل أول مرة عندما كان الطفل قد تجاوز الثلاث سنوات، فلقد أقبل الجيولوجي ليمكث في البيت قرابة أسبوع ثم سافر ثانية. وبعد تسعة شهور ولدت لنا ثانية، لكن المولود كان هذه المرة طفلة سميت ألتشكا. قبل الأب ابنته لأول مرة بعد عام كامل، ثم قال لزوجته إنه أحب امرأة أخرى وإنه يريد أن يسافر إلى الحبيبة في مدينتها كاشين لأنه لا يريد خداع نفسه، لكنه لا يمتلك نقوداً حيث إنهم سرقوه في القطار.

لم تبك لنا أثناء حضوره، ولم تركع أمامه، ولم تستغل وجود الأولاد، بل أعطته نقوداً بالقدر الذي طلبه، ورحل. لكنه عاد مرة أخرى بعد نصف عام بكلمات تعبر عن اعترافه بخطئه المأساوي طالباً السماح. سافرت محبوبته الشابة أولغا وراءه مقتفية أثره بعد أسبوع واحد فقط. لقد كانت شابة صغيرة. إلا أن زوجها الفاسق الضال اختبأ ولم يشأ مقابلتها، فكذبت لنا وقالت لها إنه سافر في بعثة دورية.

كانت لنا عائدة إلى البيت في ليلة ما قبل ٨ آذار، فاكشفت أن أولغا معلقة على شبكة في فسحة السلم عند شقتها مباشرة، فما كان منها إلا أن توجهت بسرعة إليها وتصرفت بشكل آني حيث سحبت التعيسة من العقدة وحملتها إلى البيت، ثم استدعت الإسعاف السريع دون إبطاء. مرت ساعة ولم يصل «الإسعاف السريع»، لكن أولغا كانت قد راجعت نفسها وأخذت تتحب عند ركبتى تلك التي أنقذت حياتها.

تخلوا كيف تطورت الأحداث لاحقاً! لن تستطيعوا التخمين! لقد تركت لنا عشيقة زوجها عندها حتى شفائها التام، وأخذت لنفسها إجازة في تلك الفترة عليها



تعتني بتلك التعيسة، والتي تعافت بسرعة وسافرت عائدة إلى منزلها في بلدتها. أما الزوج بقي متوارياً عند صديقه ولم يعد، فلقد هزم قلبه ثانية جراء شعور قوي وحنان تجاه أخت صديقه وما لبث أن طار معها إلى تركيا في رحلة حيث البحر والأزهار والرومانسية.

شغله الحب الجديد ستة أعوام هذه المرة، أما الأولاد فقد كبروا، وأنهت لنا أكاديمية الإدارة، وحصلت على شهادة عليا للمرة الثانية، وشغلت منصباً معتبراً في إدارة إحدى مدن بافلوفسك. في يوم من أيام الصيف، عاد الزوج المذنب واستقبلته لنا. كان هادئاً، مستغرقاً في التفكير، لائماً نفسه كثيراً!

وبخ نفسه بأسوأ الكلمات، ونعتها بالتعاسة، وبالمختصر المفيد: أتت إلى بيت لنا مصيبة جديدة، فسيريوجا يشرب، وكيف يكون غير ذلك وأموره لم تترتب؟ إنه إنسان مريض، ولطالما سحبته لنا من تلك المجموعات الصاخبة، وتقلت به من طبيب إلى آخر لمدة عامين اثنين من دون فائدة، أما هو فقد بدأ يضربها. وفي ذات مرة لم يتمالك سيريوجا الصغير نفسه، فأخذ سلاح الصيد وخرج إلى المطبخ وسدد باتجاه الأب الذي كان قد شرب مع صديق جديد له حتى الثمالة، وفي هذه اللحظة كانت لنا قريبة منه فاندفعت إليه ونجحت في تغطية الزوج بجسمها، فاخترقت الطلقة رثتها وألحقت ضرراً بعمودها الفقري.

توسلت لنا إلى الشرطة لتسجيل الحادثة على أنها عبث بالسلاح، فلم يزج الولد في السجن، أما هي فكانت رهينة الفراش حيث أصيبت بشلل تام.

وهنا حدثت الأعجوبة! إذ تغير هذا الزوج الطائش، إما بسبب الصدمة التي عاشها أو لسبب آخر، إذ وتحسنت معاملته، وأخذ يعتني بها كما لو كانت طفلة صغيرة، وكان يقوم بشكل عارض بترتيب المنزل. لقد عمل كما لو أنه كان محكوماً بالأشغال الشاقة، فسهر الليالي، ورسم صوراً صغيرة لقرينات الأسياد المعتبرين والقادة الإداريين لتوضع على طاولات مكاتب الإدارة، حتى إن متحف كرايفيد حجز عنده عدة لوحات، وأقام ثلاثة معارض في موسكو. لقد كان سيريوجا سابقاً يرسم بشكل ممتاز، الأمر الذي دفعه للتصميم على دخول مدرسة سوريكوف الغنية قبل أن يسجل في مدرسة الجيولوجيا، إلا أن إصرار أبيه الذي



كان جيولوجياً جعله يتجه نحو الجيولوجيا ، لكن تلك الموهبة انطلقت وازدهرت من جديد.

نظر سيريوجا في أمره وقلبه فارتأى أن يشتري منزلاً خارج المدينة ، وفعل هذا بسرعة ، ونقل زوجته المريضة إليه ، ثم اشترى سيارة وطاف بقرينته في كل أماكن البلاد الرائعة شيئاً فشيئاً ، وفي يالطا على جبل آي بيوتري حملها على يديه في حمالة سياحية دون أي روافع لكي يكون كما قال هو «كل شيء حقيقياً ، أحبك يا حبيبتي وأنت أغلى شيء عندي».

مر عامان اثنان وتمكن سيريوجا من جمع مالٍ كثير في عصر الرأسمالية ، فما كان منه إلا أن حمل زوجته إلى مصح باهظ الكلفة خارج البلاد ، حيث تمكن الأطباء من جعلها تنتصب على قدميها بعد خضوعها لعمليتين اثنتين.

أصيب عمال الصحة الأجانب بالدهشة لهذا الحنان الاستثنائي ، ولهذه العناية الفائقة ، ولهذا الإخلاص المنقطع النظير الذي يبديه هذا الروسي تجاه زوجته المريضة.

أمضى الزوجان مدة أربع وعشرين يوماً بعد العملية في فندق في الجبال كفترة راحة ، وكانا يأتیان كل مساء إلى قهوة صغيرة عند بحيرة صغيرة. كانا يتسامران ويتحدثان ، حتى إنهما رقصا على الرغم من أن الأطباء منعوا لينا من الإجهاد مهما كان بسيطاً. بعد قضاء هذه المدة عاد الزوجان السعيدان إلى أرض الوطن.

أخذ سيريوجا سيارته من موقف السيارات في المطار ، واستقلها هو وزوجته مسافرين إلى البيت ، وهناك على الطريق أمام التقاطع مع سكة الحديد قاطعتهم سيارة جيب فارتطمأ بشجرة وهما في أقصى سرعتهما. مات سيريوجا على الفور ، أما لينا فعاشت يوماً آخر ، وقبل موتها بلحظة عادت إلى وعيها وسألت سؤالا الوحيد : «ماذا حدث لسيريوجا؟» وعندما أخبروها بالذي حدث تنهدت قائلة : «إذا انتهى كل شيء» وأغمضت عينيها إلى الأبد.

ن. زيمياتين.



تبدو هذه القصة بالنسبة للكثيرين غير منطقية وغير قابلة للتفسير، لكن يمكنني شرحها بعدة جمل. في العالم الحديث الذي ينحني أمام المنافع المادية والروحية والشعورية ينحط الحب، وتصبح الحالة قريبة من الحدية. ولكي يتم البقاء يجب أن يكون مستوى السعي للحب الإلهي أعلى بمرتبة، فإذا لم يحصل هذا فإن السعادة التي أخذت الحب والقدرة تبدأ بالموت.

فكلما كانت المرأة أكثر جمالاً وذكاءً وأقوى إرادة وطبعاً وأكثر شهوانية، وكلما كان لديها مال أكثر وشهرة أو سلطة، كلما كانت فرصتها في ولادة طفل صحيح أقل. فإذا كانت أكثر عدائية في داخلها، فإنها تتعرض إما لموت أولادها أو خيانة زوجها لها، أو هجره لها، أو الإفراط في الشرب والقسوة عليها. لكن إذا تعرضت الزوجة لتعاسة أو مرض فإن تلك العدائية يمكن أن تتوقف ويمكن للرجل أن يحبها، فإذا تعافت يعمل التركيز على السعادة البشرية في وجدانها كالمفجر، وتتطلق العدائية من الوجدان كالانفجار، وحتى هي نفسها لا تشك بذلك، فيحدث انهيار تام للمصير على شكل مرض شديد أو موت للأولاد والمرأة والرجل. ويمكن أن تتحلل النفس مرضياً وهذا أخطر شيء، فعلى الرغم من أن هذا لا يلاحظ خارجياً في البداية، إذ إن الصحة النسبية والعطاء يستمران لبعض الوقت، لكن غالباً ما يأتي الموت لإنقاذ الحب في النفس، والحب يبقى.

في جلسة مع مريضة، حدثتني بقصتها الخاصة:

كنت متزوجة لعدة سنين وكانت لي علاقات رائعة ودافئة مع زوجي، لكن لم يكن عندي أولاد. وكنت أريد طفلاً. بدأت أصلي وفجأة سمعت صوتاً ما قال لي: «سريعاً سيكون عندك طفل». فرحت كثيراً! وفي اليوم التالي قال لي زوجي إنه سيتركني ولم يشرح لي شيئاً، وتم انفصال سريع بيننا دون أي تأجيل، وبقيت أنا وحيدة. وبعد فترة ما وبينما كنت أسير في الشارع، فإذا بذلك الصوت نفسه يرن في أذني قائلاً: «انظري أمامك، إنه أب طفلك القادم». رفعت عيني فرأيت رجلاً لا أعرفه وليس لدي أي مشاعر نحوه، فاستدرت وذهبت.

في اليوم التالي أخذت إجازة اصطيف وسافرت لعلّي أنسى بسرعة هذه القصة الغريبة. أخذت سيارة أجرة في المطار ذاهبة إلى الفندق، وعندما خرجت من



السيارة إذا برجل يمد لي يده، رفعت عيني فعرفت أنه ذاك الرجل الذي هربت منه. تعرفنا على بعضنا، وكانت حالتي تماماً كما لو أنني كنت نصف نائمة، فلقد كنت أفهم الأمور بشكل سيئ، ولم أكن أستطيع السيطرة على نفسي. أخذني إلى غرفته ومكثت عنده تلك الليلة وفي الصباح أخذت أمتعتي وطررت عائدة في اليوم نفسه. ولم أر ذلك الرجل بعدها قط.

وبعد قرابة شهر ونصف شعرت بأني حامل، تطور الحمل طبيعياً دون أي مضاعفات، فأخذت أراجع نفسي وأتعود على سعادتي، لكن الطفل مات أثناء الولادة. لم أستطع تحمل ذلك الخبر الذي زفه إلي الأطباء وشعرت باقتراب الموت مني. حاول الأطباء مساعدتي لكن مساعدتهم لم تجد نفعاً، فقد فقدت وعيي. وعندما فهم الأطباء أن إسعافي غير مجدٍ تحولوا إلى الطفل وحاولوا إنعاشه مجدداً، فحصل أمر مدهش! انتعش الطفل وأخذ يتحرك، وعندما حمله الأطباء ومروره من أمامي صرخ، فأفقت. وبعد وقت قصير أخرجوني من دار التوليد.

قالت المرأة: عندي سؤال لك - لقد مرت أعوام كثيرة بعد ولادة طفلي ولم يشكُ الطفل من شيء، ولم يعانِ أي منا من أي مشكلة صحية، لكن بقي لدي قلق ما. أمن الممكن لك رؤية حقله؟

فأجبته: إن حقله يضيء ويتواجد الملاك الحارس جانباً كبقعة ساطعة. إن مشكلاتك مضبوطة كما لو كانت مغلقة في حقل، لكنها يمكن أن تسبب لك إزعاجات كبيرة بغض النظر عن الانسجام والتأمين.

لقد كانت روح الطفل حتى ما قبل الحمل نقية وممتلئة بالحب. ولما كان الحب قد تحول عند معظم النساء إلى ارتباط، فإنه لم يكن ممكناً أن يولد عندك ذلك الطفل المنسجم، فحقل الطفل وحقل الأم يجب أن يتطابقا تقريباً.

من الواضح أن توجهك لحب الرب لم يكن يكفي، لذلك تم التأمين عليك مسبقاً بإخبارك بتلك المعلومات، حيث تم منذ البداية تدمير الارتباط والرغبة والمصير، وفي نهاية الأمر الحياة.

لقد اقتربت أنت وطفلك من الموت، وكانت هذه هي الفرصة الوحيدة لتأخذ جرعة حب لم تصلكما ولم تستطيعا استقبالها بسبب الارتباط بالحياة.



لدى ولدك مستوى عالٍ من المواهب والإمكانات، فلا تستعجلي في تطويرها لأن ذلك سيؤدي إلى موت أحدكما. علميه في البداية أن يصلي ويحب ويسر ويعتني بالآخرين. لا تجبريه على التطور ولا تمنعيه عنه، وكل شيء سيكون على ما يرام. أتذكر قصة أخرى أكثر كآبة كنت قدمت فيها استشارة هاتفية لامرأة كانت تعاني من مشكلات جدية: فزوجها المتزوج منها زواجاً مدنياً ألح على الإجهاض. لقد كانت المعلومات الابتدائية التي عرفتتها عنها قبل اتصالها غريبة. لقد أحبها هذا الزوج حباً كبيراً واعتنى بها وأنجبت منه طفلاً رائعاً وصحيحاً، وكان هو سعيداً. مرت عدة سنوات كان كل شيء فيها عادياً، وبقيت العلاقة بالزوج ممتازة.

حملت الزوجة للمرة الثانية. وفجأة تغير الزوج لسبب غير معروف وأخذ يطالبها بالإجهاض دون إبطاء، وعندما رفضت ذلك هدها بقتل نفسه أو قتلها إذا هي ولدت طفلاً، مما جعلها في كآبة وإحباط تام، فقررت اللجوء إلي. سألتها عندما اتصلت بي:

- سمعت أنك أردت القيام بالإجهاض؟

- أنا لم أرد ذلك، لكنني فعلت.

- إذاً لماذا قررت المجيء إلى الجلسة؟

- أريد أن أفهم ما حدث.

- جيد! لنبدأ بالترتيب: لماذا قمت بالإجهاض؟ وما الذي دفعك إلى ذلك؟

- منذ مدة أتى شخص إلى والدتي - أخذت فاصلاً كأنها تجمع أفكارها -

مبعوثاً من قبل صديق قديم لها يعيش في القفقاز، في جبال أحد القديسين. وعلى الرغم من انقطاع أخباري وأخبار أمي عنه منذ مدة طويلة إلا أنه كلف تلميذه بإخبار أمي بالتالي: «ابنتك حامل وممنوع عليها ولادة هذا الطفل، لا بد من الإجهاض. وإذا هي لم تفعل ذلك فإنها ستعرض للشلل في آخر شهور الحمل، وسيكون هذا بداية لتعاساتها».

تابعت المرأة قائلة: إن الموقف محير للغاية، ولا أحد يستطيع شرحه لي، لذلك اتجهت إليك.



يصبح كل شيء واضحاً إذا نظرت في حقل الطفل الميت.

قلت أنا تعالي لنبدأ بالترتيب: إن مستوى الحساسية أو الشهوانية عندك كبير وعلى الأغلب أنت امرأة جميلة ذات إرادة، وبارزة على كل المستويات. إن مقاييس الخطة الشعورية أكبر بكثير عندك من الحب الإلهي، لذا فإن فرصة ولادة الطفل الأول بصحة جيدة كانت قليلة، لكن كونك لم تكوني مسجلة رسمياً وأنت المتفوقة والجميلة، ألحق بك إهانة كبيرة. أضيفي إلى ذلك أن زوجك هذا كان قد امتلك امرأة أخرى. كل هذا كان ضرورياً لإنقاذ الطفل.

- نعم. هو كذلك.

- إن وجود محبوبة أهانك مرتين، فالإدراك عندك متطور جداً، لذلك فإن إهانة واحدة شعورية كانت قليلة، وكان يجب أن تحدث حالات مرتبطة بإهانة للمفاهيم كمفهوم العدالة والمثل والروح.

- أكدت هي ذلك، فتابعي:

- وأنت مع كل هذا حافظت على الحب.

إن هذا واضح مباشرة عندما تتظرين إلى طفلك الأول فهنا كل شيء جيد. لكن عندما حملت ثانية كانت الحالة مختلفة تماماً، فلم يعد زواجك اللا رسمي يشكل إهانة بالنسبة لك، فأنت قد اعتدت على ذلك وأصبحت تتعاملين بهدوء مع حالة وجود امرأة أخرى، أما الزوج فلقد اعتنى بك وأمن لك الراحة والاستقرار. إن الطفل القادم هو انفجار للسعادة في وجدانك، فإذا كان السعي المستمر للرب والسعي لإحلال النظام في الروح غير موجود، فإن السعادة الأسرية حتى غير المكتملة تشحن الإنسان بسعادة وتجعله مرتبطاً.

إن القدرة لديك قوية جداً، وقد تكون الأخطار التي قد لا تلاحظ عند بقية النساء قاتلة بالنسبة لك.

كثيراً ما يطرحون علي سؤالاً: «لماذا قُتل الرجال في الاتحاد السوفييتي؟» فلقد تم تدمير أذكى الناس وأكثرهم استتارة وضلوعاً في العلم والفن والاقتصاد، بلا هوادة. إن الشرح بسيط، فالشيطانية هي عبقرية من دون حب، وعندما يبتعد المجتمع عن الحب والقيم ويخضع للمنفعة والحياة والرغبات، فإن هذا المجتمع



يموت. وكلما كان الزعيم في هذا المجتمع أكثر موهبة وإرادة وقدرة، كلما كان تدميره وتسميمه وتخريبه لنفسه وللمجتمع أسرع إذا كان الحب الإلهي غائباً. إن للطفل الثاني علاقة كارثية لصالح الوعي الإنساني والإرادة والرغبات. وكلما كانت الأم أكثر موهبة، كانت احتياطاتها المتبقية من الحب والقدرة أكبر، وكلما عاش الطفل عمراً أطول محققاً برنامج تدمير الحب الإلهي من أجل الخضوع أمام السعادة الإنسانية. إنه لمن المفيد أنك قمت بإخباري بهذه المعلومة، فالحياة بالنسبة لي مفهوم مقدس، وعلى الأرجح أنني ما كنت لأنصحك بالإجهاض، وكنت ستدفعين حياتك ثمناً للحفاظ على حياة طفلك. وفي أحسن حال لو بدأت بالصلاة كان متوقع سقوط الجنين.

سنأتي كلنا في زمن ما إلى الرب، وستكون أيّ نفس عاجلاً أم آجلاً نقية، لذلك فإنه من الواجب مساعدة أيّ روح على امتلاك الإلهي. إن نفس طفلك الذي لم يولد تتعذب الآن، لكن تدمير الحياة قد نقاها لدرجة ما ويمكنك مساعدته ليس بقطع الآلام، بل بالسعي للحب الإلهي، فلست مطالبة بالصلاة من أجل الصبي فأنت لن تتشليه، لكنه على السواء على تماس معك، فأنت عندما تساعدن نفسك تقدمين له المساعدة أيضاً. إننا نتحمل المسؤولية عن كل نفس غير ناضجة مرتبطة بنا، فإذا نحن لم ننقذها فإننا نعرضها للغرق مع كل العواقب الناشئة عن ذلك، وبقدر ما تساعدن نفسك الآن تساعدن الجميع.

ودعتني المرأة وقطعت الاتصال، أما أنا فلسبب ما تذكرت الاستشارة الأولى التي أجريتها على الهاتف، وكانت منذ عشر سنوات في نيويورك، ولقد حدثت حادثة مثيرة للفضول! قبل ذلك كنت أتقاضى على الجلسة مئة دولار، وكان نصيبي منها خمسون دولاراً، أمّا الخمسون دولاراً الأخرى فكانت تذهب للشركة التي أعمل عن طريقها.

لقد كان بإمكانني كسب عدة آلاف من الدولارات في شهر واحد، وكانت هذه المبالغ بالنسبة لي مبالغ ضخمة. عندما سافرت إلى نيويورك جمعت زوجتي آخر ما تبقى من نقود واشترت لي سترة جلدية لكي أظهر بشكل أكثر رزانة، وأعطتني آخر مئة دولار، فقد أحتاجها في نيويورك.



وهكذا ففي مطار كندي مشيت محاولاً تحديد من الذي أتى لمقابلتي، وبعد مضي نصف ساعة فهمت بحسرة أن أحداً لم يأت لاستقبالي، فلقد كنت كما يبدو أظهر بشكل يفتقر إلى الجمال، الأمر الذي لم يمكنهم من معرفتي. لقد قدمت استشاراتي بمهنية، وكان الكل راضين، صار لدي أمل بكسب ألفي دولار في شهر واحد.

أما الآن فسأتحدث عن موقف تعرضت له، فبعد بضعة أيام اقتربت مني مديرة الشركة قائلة:

- توجد جزيرة بالقرب من نيويورك، وهناك تعيش امرأة عجوز ثرية تريد جلسةً معك.

- أتدفع مئة دولار؟.

- تدفع أكثر! لكن يجب السفر إليها في الجزيرة، وهي سترسل طائرتها المروحية.

- أيستطيع إنسان عجوز أن يسافر بالطائرة؟!

- هنا يكمن الاختلاف، فهناك يجب البقاء ٥-٧ أيام، والغذاء والإقامة والنقل على حسابها، بالإضافة إلى العلاوات.

- وماذا يجب علي فعله في هذه الأيام؟

- هي كبيرة في السن ووحيدة، وأنت ستحتك بها وتقدم استشارتك ونصحك.

- هذا ليس من اختصاصي. وأنا سأستقبل العجوز هنا في المكتب لقاء مئة دولار.

- هي تدفع ٣٧ ألف دولار، وأنا لا أفكر بهذه النقود، ويمكنك أن تأخذها لنفسك.

- إنني أؤمن لك هذا، لكنني أحجم عن ذلك.

- أيمكن أن تكون جدياً؟!

- مئة دولار. وأنا أستقبل العجوز في مكنتي.

استاءت العجوز الثرية ولم تأت لحضور الجلسة، فانشغلت بالحديث عن

استشارتي الهاتفية الأولى.



مر أسبوع وأتت إلي المديرية ثانية باقتراح:

- أنا أرى أنك تكبح وتبدو بعد الجلسة شاحباً، لذلك حجزت لك في استراحة في ميامي، وستسافر مع مرافق، فترتاح أسبوعاً ثم تعود ثانية للعمل.  
لا يمكن ذلك. سيكون الأمر مملاً، فأنا كائن اجتماعي، فإما تسافر المجموعة كلها، أي الأشخاص الثمانية، أو لا يسافر أحد. ولما لاحظت عدم استيعابها لقصدي تابعت قائلاً: جدي لي زبونا يدفع لنا أجرة الطريق والإقامة في ميامي، بالإضافة إلى ٤-٥ آلاف دولار أمريكي يلقي بها إلي مقابل عذابي بالتسكع على الشاطئ تحت شمس الجنوب.  
أنا فرحت من حيث المبدأ، وبعد بضعة أيام أتت مديرتي وأخبرتني بأن الزبون جاهز.

قلت متعجباً: وهل سيدفع أجرة الطريق لكل المجموعة؟  
- بالضبط.

- وخمسة آلاف دولار أمريكي تسلمني إياها شخصياً؟  
- بالطبع.

وإذا كان هنالك تحسن واقعي، فإنها تعد بإعطاء جائزة بمقدار بضعة آلاف دولار إضافة لذلك.

- لا بأس! ومتى نسافر؟

- ثلاثة أيام. وأنا سأسوي موضوع البطاقات والفندق.

لكن ما لبثت أن عادت إلي المديرية ثانية بعد يومين قائلة:

- اعذرني إن هذه المرأة تريد أن تقتنع أنك متبئ بالمستقبل وأن رؤيتك واضحة.

- هكذا إذاً. هي تريد التحقق من هذا!

- هي تريد أن تتصل بك وتتكلم معك بالهاتف بعد ساعة.

- جيد. سننتظر.

وبعد ساعة تماماً رن جرس الهاتف، وتكلمت المرأة بالروسية قائلة:

- ماذا يجب أن أحدثك عن نفسي؟



- لا شيء. يكفيني سماع صوتك وأنا سأتحدث بعد عشر دقائق. شكرتني وقطعت الاتصال. وبعد ثلاثة أيام قابلت المديرية وأبدت اهتماماً:

- هل سيكون هنالك سفرة إلى ميامي؟

- إن المرأة ما عادت تريد ذلك.

- ألم يعجبها مستواي؟

- ليس كذلك، فالمرأة قالت: «لقد سمع لازاريف صوتي فقط، فأخبرني بالقدر الذي لم يعرفه عني زوجي في عشرين عاماً. وأنا ببساطة أخافه، ولن ألتقي في جلسة معه».

لقد كان الموقف غير معقول لدرجة أنه كان من الواضح أن فكرة عليا ظهرت عن طريقها. فبعد مرور زمن فهمت فيما يكمن الأمر، فلقد كان ممنوعاً علي استلام هذه الأموال التي لا أستحقها، وكان هذا يمكن أن يقتلني كمتبئ وكإنسان. لقد حفظني القدر بعناية من هذه الأموال، ولقد شعرت بالخطر الكبير الذي يتهدد نفسي وحياتي، فخرجت من هذا الموقف لوحدي. إن السعادة التي أستحقها هي السعادة الضامنة للحب والعطاء.

إن السعادة الناتجة عن انطلاق برنامج البخل والارتباط والعصبية والاستهلاكية المغالى بها يمكن أن تميت النفس والجسم. لقد وفقت في حياتي لأني فقدت دائماً أكثر مما أخذت، ولأن قدرتي علمني الحب والتسامح دائماً بشكل يفوق كثيراً القدرة على كسب المال.

إنني أذكر تلك المرأة التي كانت في مجموعتنا عندما سافرت منذ ثلاثين عاماً للتزلج على الرمال في الجبال، فقد كانت تقرأ خطوط الكف ببراعة، وعندما مددت لها يدي أصبت بالصدمة! إذ حدثتني في بضع دقائق عن كل أحداث حياتي بتفاصيلها، وكأنها عاشت إلى جانبي أعواماً كثيرة.

سألتها بفضول: كيف سيكون مستقبلي؟ وكم طفلاً سيكون عندي؟

أجابتنني: لن يكون عندك أطفال، فهم غير موجودين على كفك.

شعرت أنها محقة في شيء ما، وأن هذا يمكن أن يشكل دافعاً أولياً

للتغيرات الوجدانية، أي لتغير المصير.



والآن عندما يحدثني المرضى أن بعد الجلسة وحتى بعد قراءة كتيبي يتغير لديهم خط المصير على اليد، لا أندesh، فالمصير يتغير بالفعل، والأمر الوحيد الذي فهمته أنني لست هنا في شيء، فأنا لا أمتلك الحق في تغيير المصير، لا أملك سوى الحق في مساعدة الإنسان على أن يرتب نفسه في نظام، وكل ما عدا ذلك يقرر من الأعلى.

**كيف تتعامل مع تعميد الأطفال الصغار؟ ألا يمسّ هذا إرادة الإنسان؟ فالأهل يختارون نيابة عن الطفل الذي ما زال غير قادر على الاختيار. يسوع المسيح قد تعمّد في سن الثلاثين.**

إننا عندما نعلم الطفل الأكل والمشى والكلام، نختار نيابة عنه، وهو من دون هذا لن يصبح إنساناً ولن يبقى. وجوهر طقس التعميد هو الحفاظ على الحب الإلهي في لحظة الموت والمرض والانهيال والألم. وكلما تعلم الطفل الحب في سن أبكر كلما كانت نفسه أصح. وإذا كان أهل الطفل لا يتعاملون مع التعميد على أنه طقس شكلي، فإنه سيكون أكثر فائدة للطفل. لقد حاول الناس منذ العصور الغابرة إيجاد آلية للتبادل بين النفس والجسم من أجل إدراك تام للكون، وحتى الآن توجد طقوس في قبائل أفريقية كثيرة عندما يصبح الولد يافعاً، ويرتبط هذا بالتغلب على الخوف والألم والموت المحتمل. إن أي دين لا يشكل قوانين كونية، لكن يتعامل معها ويساعد الناس على إدراكها.

**لدي سرطان في حلمة الثدي. أثناء التشخيص بواسطة الكمبيوتر قال الطبيب إن المعلومات المسجلة في DNA تظهر وجود أمراض زهرية في سلالتي، وهذه إحدى المؤشرات المؤهلة للأورام. ما هي في رأيك العلاقة بين الأمراض الزهرية والأورام؟ وما العمل الآن؟ أتذهب السلالة كلها؟**

تظهر الأمراض الزهرية عند العصبي وكثير الاستياء، والذي لديه تركيز كبير على الجنس وعلى العلاقات الجنسية في الأسرة بشكل يفوق كثيراً الحد الطبيعي. إن الارتباط المبالغ به ينتج إضعافاً للحب، وتترافق مع ذلك عدائية مرتفعة وانخفاض في المناعة. وببساطة إن الإنسان الذي لا يستطيع أن يتغلب على الشدات في المجال الجنسي يميل نحو الأمراض الزهرية والأورام.



لقد وصلت إلى السبب الأساسي على مستوى الحقل: إن النساء المصابات بالأورام اللواتي شاهدتهن، كانت بدايات مرضهن في منطقة الأعضاء التناسلية، ثم انتقل المرض إلى الثدي وبقية الأعضاء. ففي البداية نحن نضغط إحساس الحب، ويحدث هبوط في مستوى القدرة في منطقة القدرة الرئيسة، وكلما تجاوزنا كلما كان المرض أشد. فإذا احتقرت بالكلمات إنساناً محبوباً يمكن أن تصابي بسرطان الشفاه أو اللسان أو اللثة. أما إذا قومت وانتقدت باستمرار فيمكن أن تصابي بالتهاب الكبد أو بسرطان الكبد. وإذا استأثت باستمرار من شخص محبوب ومن نفسك ومن القدر، فقد تصابين بسرطان الثدي. أما إذا فكرت بالأقارب بقسوة وسوء وعدائية، فيمكن أن تصابي بسرطان المعدة، فالعاطفة العدائية تستدعي المرض مهما كان نوعها. وعندما لا يحب الإنسان العالم المحيط به فقد تتضرر رئته. ولقد أوردت في محاضرتي مثلاً: اشترينا نحن شقة جديدة وكانت غرفة النوم أصغر مرتين مما كانت عليه في الشقة السابقة، وهي لم تعجبني، ولم أحبها. كان رفضي لها كبيراً لدرجة أنني كنت إذا مكثت فيها خمس دقائق أسعل سعالاً قوياً جداً وأكاد أختنق. كان الأمر شبيهاً بالربو. فلقد كنت مهزوماً بالسرعة التي جعلت رفض الحالة ينعكس على صحتي. فإذا كان الإنسان لا يتقبل الحالة ولا يحبها لفترة طويلة، ناسياً أنها ليست مصادفة عرضية وأنها معطاة من الرب، فإنه يمكن أن يقع في مرض الرئتين والأزمة الصدرية أو سرطان الرئة. وبالمناسبة إن التدرن الرئوي في السجون، كما أعتقد، يرتبط مباشرة بعدم تقبل الحالة والمصير الذاتي. إن أيّ عدائية عاطفية تنعكس وترتد ضد مصدرها عاجلاً أم آجلاً.

إن برنامج التدمير الذاتي يضرب عادة بالرأس والأمعاء والجلد، أو بمنظومة المجاري البولية والتناسلية إذا كان يسير بشكل سريع ومتفاقم الخطورة، أما إذا كان يسير ببطء ونعومة فإنه يترافق مع هبوط في قدرة الجهاز العضوي وتخریب لمناعته، ويتضرر فيما بعد المكان الأكثر ضعفاً.

لقد ظهرت في الآونة الأخيرة أمراض علاجها أصعب بكثير من علاج السفلس والسيلان كالكلاميديا وداء المشعرات، وهي تترافق إلى درجة ما مع برنامج



التدمير الذاتي، لذا فإنها لا تشفى، وإن تم علاجها فإن مرضاً ما يستبدل بآخر أصعب منه، فبعد الزهري يأتي السرطان.

وقد سمح هذا للأطباء بتقديم الفرضية القائلة: يمكن للكلاميديا وداء المشعرات أن يتحوّلا إلى خلايا سرطانية وبالعكس.

في واقع الحال إن سبب الأورام هو عدم القدرة على قبول حالة الصدمة، أو الإصابة والاحتجاج الداخلي المستمر ضدها، فالاحتجاج الداخلي ضد أي حالة هو احتجاج ضد قدر الإنسان وإرادة الخالق، وهذا لن يقود بالطبع إلى أي شيء جيد. إننا كثيراً ما نستاء من حالة لم نوجدها نحن. سأوضح ذلك:

لقد حاولت بشكل ما مساعدة إحدى المريضات، وقد حدثتني بأن جدها كان مفرطاً في الجنس، وظل كذلك حتى في سنه المتقدم. أما هي فلم تترتب حياتها الشخصية: فمن جهة كان تركيزها قوي على الجنس، ومن جهة أخرى خانها زوجها دائماً حتى إنه نقل إليها أمراضاً زهرية، وفي النهاية انفصلا عن بعضهما. لقد بدأت هذه المشكلات نفسها بالظهور عند ابنها، حيث كان لديه ولع بلعب القمار وانهايار في الحياة الشخصية. ولقد حاولت أن تحول دون هذا الولع القاتل، لكنها لم تجنِ أي فائدة، فلقد غضبت على ابنها وأدانته وشتمته وبحثت عن أساليب جديدة للتأثير فيه، لكن لم يساعدها ذلك في شيء. وفيما بعد مرض الولد. ولما مات أمامه شخص بالتشخيص نفسه، لجأت إلي أمه وتوسلت من أجل إنقاذ الولد. شرحت لها أن عدم القدرة على كبح جماح الرغبات الجنسية يولّد ارتباطاً برغبات أخرى مختلفة. إن الإنسان يحوّل المشكلات في المجال الجنسي إلى الخطة الخارجية، فإما أن ينكب على العمل، أو يفرط بالقمار أو بالشرب، أو يتطور لديه بخل مرضي.

لقد شرحت لهذه المرأة أنه يجب عليها أن تتقبل أيّ إساءة تصدر عن الرجل، وأن تغير علاقتها بالجنس، فالجنس ليس مصدراً للذة، لكنه فقط لإنجاب الأولاد. إن منبع المتعة هو الحب. البخل يربطها بالمال، والغرور يدفعها للإحساس بالتفوق على الآخرين ويجعلها تنشد للجنس. إن الحب هو القوة الكبرى في هذا الكون، لذلك فإنها يجب أن تكون موجهة للرب، وإذا نحن وجهناها باتجاه السعادة



الإنسانية فقط فإنها تتفق كفقاعة الصابون مع الصحة والحياة. عندما نوجه الحب فقط باتجاه شخص محبوب فإنه يتصرف بشكل سيئ لبقى. فإذا استأننا منه، فإننا نحاول القضاء عليه بشكل مضاعف. لذا فإنه يجب عليك التوقف عن الاستياء من الولد، وأفضل مساعدة له هي أن تساعدني نفسك. إن العصبية والاستياء والكآبة التي تعاني منها المرأة، حتى الحامل، تشد الولد للرجبات بشكل قوي، ويصبح عبداً لها. ومهما كان نوع هذه الرجبات شعورية أم جنسية، روحية أم مادية، فإن هذا غير مهم.

إن العتبات لا تحرر من العبودية ولا تجدي نفعاً، وهنا تلزم المساعدة عن طريق الحب الإلهي والتغير الذاتي في الدرجة الأولى.

لقد صدقتني هذه المرأة وأخذت تصلي. وبعد بضعة أيام قال لها الأطباء إن معجزة قد حدثت، فلقد تعافى الولد وخرجوه من المستشفى بعد فترة قصيرة جداً، وكان عليها أن تتابع العمل أكثر من ذلك، لكن العادات كانت أقوى، فلقد عادت ثانية لتستاء من الولد وتعاقبه، وقررت اللجوء إلى الطبيب النفسي وللنوم المغناطيسي لحراسة الطفل من ألعاب القمار. لقد حذرتها من أن هذا يمكن أن ينتهي بشكل سيئ جداً لكنها لم تسمعني.

وترتب المصير على نحو آخر، فلقد بدأ عندها باسور مؤلم، وترافق بامتعاض كبير، وأجريت لها عملية جراحية كانت ناجحة إلى درجة مرضية. لقد انزاحت المشكلات الفيزيائية، لكنهم بعد نصف عام اكتشفوا في الأمعاء خراجاً سرطانياً. أجريت لها كذلك عملية موفقة لدرجة مقبولة، لكن تبين بعد فترة ما أن الخراج انتقل، وبعد عام أجريت لها عملية أخرى، ثم ماتت بعد عامين.

إن استياء ما يمكن أن يسبب سعالاً، ثم إذا استمر التهاباً في الشعب الهوائية، وقد يتحول إلى مرض أكثر صعوبة بكثير. فكلما كان الاستياء أكبر، كانت النتائج أسوأ. وكقاعدة: إن السرطان هو جريمة جدية ضد الحب، والسكري والأمراض القلبية الوعائية هي أيضاً كذلك. لذا فإن القاعدة الأولى للشفاء هي نزع كل أشكال العدائية للحب عن طريق التوبة.



يسألونني دائماً عن نصٍّ محدد للتوبة، لكنَّ هذا غير ممكن. فإن أنتم أسأتم إلى إنسان قريب أو حقرتموه، اقتربوا منه واطلبوا منه المَعذرة، وإذا أنتم فعلتم هذا بغش فإنه لن يصدقكم. وإذا أنتم تخليتُم عن حب الرب وضغظتموه بالاستيئات والاتهامات والكآبة، فما عليكم إلا أن تسألوا الله المغفرة عن هذا. وإذا أنتم أخذتم لمدة ما تفكرون فقط بالإلهي وتمتنعون عن كل ما عدا ذلك مما يشغل شعوركُم ووعيكُم وجسمكُم، فإنه سيكون من الأسهل عليكم عبور أيِّ حالة صدمة. فالقاعدة الأولى للعلاج: تعلموا مهما كانت حالتكم المرضية أن تحافظوا على حب الرب مهما تألم جسمكُم وعانت روحكُم ونفسكُم، وهذه هي الخطوة الابتدائية لتنظيم النفس فيزيائياً.

منذ مدة غير بعيدة كان عندي في الجلسة امرأتان. لدى إحداهن صلع تام، ولم تساعدنا الوصفات المختلفة ولا الأعشاب ولا المتنبئون الشعبيون ولا الأطباء، لكنهم نصحوها بأن تقرأ كتبي، فبدأت تقرأها وأخذت تتغير: نمت لديها الأشعار من جديد، وأتت هي إلى الجلسة بسبب بقاء بقعة في منطقة الصدغ. قلت لها: إن هذا يدل على أنك قمت بالخطوة الأولى، وإن التحسن الذي طرأ على حالتك هو مجرد سلفة (قرض). إنَّ عواطفنا الوجدانية تمتلك قدرة هائلة تكفي لسنوات. لا تتعامل مع الصلاة كما لو كانت وصفة علاجية، لأن انتظار النتيجة يعد ارتباطاً، وهذا الارتباط يولد دائماً استياءً. إن حب الرب يعالج نفوسنا، لكن لديها إيقاعها الخاص ومنطقها العالي الذي يحاول توجيهها على نحو خطر وغير مرغوب. من حيث المبدأ إن الوسيلة الوحيدة التي يوجهنا بها الرب هي شعور الحب، لذلك فإن الإنسان الذي ضل الصواب هو الوحيد الذي يتحكم بالحب ويجعله مرتبطاً بشيء ما.

كلمت المرأة الثانية بالموضوع نفسه، فلقد كانت عندي للمرة الثانية أو

الثالثة.

جاءت هذه المرأة من أجل مشكلات ابنتها، ابنتها التي يقرب وزنها من ١١٠ كغ، ويقول التشخيص إن لديها فصام في الشخصية وسكري، بالإضافة إلى الأمراض الأخرى الصغيرة. لقد خس وزنها الآن بمقدار ٦٠ كغ، ويقول التشخيص إن السكري قد زال، لكن الحالة النفسية السيئة والمشكلات العاطفية ما تزال



موجودة، وهي مستاءة دائماً وقلقة. ضحكت أنا وقلت لها إن هذه مسألة وقت، فالقلق وعدم الصبر يعبران عن الاستخدام غير الصحيح للقدرة. فالقدرة في أي حالة شدة تقسم إلى دفعتين. إن كل القدرة تقريباً تتوجه مباشرة في الحالة المميتة إلى احتياجات الجسم.

إن شعور الخوف يغطي الخطط الدقيقة ويعمل على الإنقاذ، لكن إذا كنا نعاني من الخوف لفترة طويلة تسبق حالة الخطر، فإنه يجلب ضرراً كبيراً لصحتنا، لأنه لا يسمح لنا بالسيطرة على الحالة عن طريق التغيرات الذاتية العميقة. وكما قال أحد المدربين: «الخوف نار إذا لم نسيطر عليها فإنها تشتعل، إذا استسلمنا إليها فإنها تحرقنا، وإذا لم تكن موجودة أبداً فإننا نتجمد».

إن العاطفة المضادة للخوف هي الحلم (القبول)، فهو يسمح بتوجيه القدرة نحو التغيرات العميقة. فبقدر ما نتقبل نحن الحالة مهما كانت بقدر ما نكون سعداء بها، وبقدر ما نغير نحن أنفسنا بقدر ما نغير الحالة.

إن أيّ حالة تمتلك فكرة إلهية، وتنعكس فيها قوانين عليا للكون، لذا فإنها متصلة بنا على المستوى الدقيق بقوة، ونحن بمحاولة قتل الحالة نقتل أنفسنا، وعلى العكس فإننا نغير الحالة بتغيير أنفسنا، لذلك فإن النموذج الأرقى للفن الحربي هو الانتصار على النفس. إن الخطوة الأولى هي الصبر، أي عدم السماح للقدرة على أن تتحول إلى الأشكال الفطرية للسيطرة كالخوف والحسد والاستياء والتأثيرات القاسية.

الخطوة الثانية هي توجيه هذه القدرة لإحداث تغييرات ذاتية، وهذا هو الحلم. إن الكثيرين يساوون خطأ بين الصبر والحلم، وذلك بتحويله إلى عدم تحمل مسؤولية وضغط للرغبات. إن أيّ قدرة يجب أن تتحول في نهاية المطاف إلى قدرة حب، ولا يجوز كبح وتحطيم حتى أكثر رغباتنا وعواطفنا دناءةً، لكن يجب توجيهها نحو شعور الحب، وعند ذلك يصبح الانسجام النفسي فيزيائياً، ويصبح مفهوم المرض عند ذلك في ذاكرتنا كمرحلة تم اجتيازها في تربية نفوسنا.



أنت قلت في إحدى محاضراتك الأخيرة إن التطور الأساسي للعملية التقنية لم يحدث في المناطق شبه الاستوائية، بل في المناطق الشمالية، لأن الشروط القاسية أجبرت الناس على التطور وعلى التفكير الإبداعي والتكيف. لماذا لم يشمل هذا التطور الكبير الشعوب الشمالية كلها، كشعب الأسكيمو وشعوب أخرى؟

إن الشروط المريحة جداً تعيق التطور، ومثلها في ذلك انعدام الراحة، فتحقق جميع الرغبات يقتل التطور كما يفعل ضغطها الدائم. إن الحفاظ على الحالة الداخلية يتطور عند حدوث زيادة في سعة اهتزازات الوسط الخارجي، لكن سعة الاهتزاز الكبيرة جداً يمكن أن تقضي على الحياة. وتلك المناطق على الأرض التي ينفق فيها الإنسان كل قواه من أجل البقاء الفيزيائي، والتي لا يستطيع فيها النأي بنفسه عن الواقع معطياً القدرة للأهداف الاستراتيجية، من الطبيعي أن يبلغ شوطاً كبيراً في التطور. ففي الهند ذلك البلد المعزول جداً والمحمي وذي المناخ الدافئ - توجد جبال الهمالايا ذات المناخ القاسي جداً، لذلك فإن الكثيرين من النساء قد ذهبوا إلى هذه الجبال محاولين الانعتاق من أحضان العالم المريح، ليعرفوا هناك الحقائق العظيمة، ثم عادوا ليخبروا الناس بها.

إن الامتناع المستمر يمكن أن يؤدي إلى الإنهاك، أما الطعام المتنوع الزائد فيؤدي إلى السمنة والأمراض. إن الحياة عبارة عن تغير جيبي وحلقي مغلق، وهذا التتابع يساعد دائماً على التطور.

أنت تؤكد أن العمل قضية «حربية»، أي إنك تمنحه نسر الشجاعة والنبيل، لكن من الواضح تماماً أن العمل مثل الرأسمالية مؤسس على الخصوصية المرضية وعدم الشفقة على المحيطين.

فهل ننتظر زمناً غير محدد حتى يقوم الخالق بتخليص هذا الكوكب من هذه القمامة، أم أنك ضد العدالة الاجتماعية؟

إن العدالة الاجتماعية بمنظور بعض الناس هي أن تقتل من لا يعجبك، وهذا الأسلوب الإرهابي الخالص هو أكثر أشكال السيطرة فطرية وبدائية، فالبحث



عن المذنبين هو أولاً حل سطحي للمشكلة ، وهو صراع مع النتيجة وليس مع السبب - وثانياً هو يضيّع القدرة بالعداء ، فلا يستفاد منها في إحداث تغييرات ذاتية. إن هذه العلاقة بالواقع للإنسان الفرد أو للدولة تنتج انحلالاً وبرنامج تدمير ذاتي. لقد قتلوا عندنا ١٧ مليوناً لما بحثوا عن مذنبين في الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات.

لقد دمر الشيوعيون القيم عندما حولوها إلى مسلمات مادية ، إذ قندوا أنه إذا كانت الروح ثانوية ومرتبطة بالمادة ، فإن هذا يعني أننا عندما نشكل اقتصاداً اشتراكياً ، ستكون لدينا قيمة رائعة جديدة. لم تظهر هذه القيم لسبب ما ، بل انحل الاقتصاد فيما بعد. نعم إن الوعي يرتبط بالجسم ، لكن ليس إلى هذه الدرجة! ويبدو أن البداية الروحية القيمة تساعدنا على الامتناع عن الرغبات ، وعلى التفكير ليس بأنفسنا فقط بل وبالأخرين أيضاً ، ورؤية ليس فقط اليوم الحالي ، بل والمستقبل البعيد ، وهذا لم يكن موجوداً عند القادة السوفييت ، لذا تدهورت البلاد تدريجياً ، وهدرت مخزونها من القيم ، ونضب التفكير الجماعي والإحساس بالوحدة.

أما الآن فإننا نرى هيجان الفعالية الشعبية ، حيث بدأ الكثيرون بالاهتمام بالاقتصاد والسياسة ، وأصبح يتشكل رأي عام لم يكن موجوداً سابقاً. إن العلاقة بالأغنياء ثنائية الجانب دائماً ، فمن جهة لقد أصبح أذكى الناس وأنشطهم وأكثرهم موهبة أغنياء ، إذ إنه من الصعب جداً على الكسالى والمعتوهين أن يصبحوا أغنياء. ومن جهة ثانية إن الكثيرين يبدؤون بالانحطاط في المجال الروحي لكي يتحقق لهم الغنى ، لماذا؟ لكي تصبح غنياً يجب أن تكون موهوباً وذا إرادة ، وأن تحسن العمل من ١٥-١٨ ساعة في اليوم ، وهذا ممكن للإنسان المنسجم والطيب داخلياً ، لكن عندما تتكدر الأموال عند هؤلاء الناس المميزين ويضمنون جميع احتياجاتهم يصبحون غير محتاجين لبذل مجهود ويتحولون من العطاء إلى الأخذ والاستهلاك. لقد أصبح الكثيرون في روسيا أغنياء من دون جهود مميزة لذلك أقبل التفسخ الأخلاقي للروس الجدد بخطى متسارعة. لكي تحافظ على النفس يجب أن تحافظ على الحب وإعطاء القدرة. إن القيم والإيمان



بالله هي التي تساعد على الحفاظ على الحب، لكن قيم الدولة كقاعدة لم تضمن ذلك.

إن كره الأغنياء والبحث عن العدالة هو تجلُّ لنفسية الآخذ المستهلك، فيجب الحفاظ على الأغنياء والدفاع عنهم من جهة، ومن جهة أخرى يجب تحديدهم وتصحيحهم ومساعدتهم على الحفاظ على مصالح الدولة في الدرجة الأولى.

إن تقسيم العالم كله إلى فقراء جيدين وأغنياء سيئين عمل غبي وغير نبيل. فلا داعي لجعل المشكلة شخصية، فالمجرم يلده الوسط، وهذا يعني أن يجب تغيير الوسط أكثر مما يجب معاقبة المجرم، ولكي نغير الوسط يجب أن نتعلم التفكير، ولكي نفكر بشكل صحيح يجب علينا أن نضع وعينا وروحنا في نظام، وهذا يعني أننا إذا كنا لا نستطيع ولا نريد أن نغير أنفسنا فإننا سنكون محكومين طوال حياتنا بالبحث عن مذنبين نكرههم، مدمرين بذلك أنفسنا ومصيرنا.

لقد تكلمت الدولة السوفييتية دائماً عن السياسة القومية وعن الدفاع عن المصالح القومية، والآن يتكلم السياسيون دائماً عن الشيء نفسه كاسبين لأنفسهم نقاطاً إضافية. إنني واثق من أنه في واقع الحال لا توجد أيّ مصالح قومية، فهي تنشأ فقط عندما يتم ضغط أو انتقاص أحد ما بعلامة قومية. فالقوميات كلها يجب أن تكون متساوية في الدولة العاملة بشكل طبيعي، إذ إن كل إنسان يريد أن يمتلك أطفالاً، يريدون أن يكونوا أصحاباً ومتعلمين، وهو يستعمل اللسان نفسه أي اللغة، ويذهب إلى المدرسة نفسها ويرتدي الثياب نفسها، وبناءً على ذلك فهو سيختار مكان الإقامة، واللغة، والمنشأة التعليمية، وكلما كان مستوى الاقتصاد والعلم والثقافة أعلى في الدولة، كان مستوى وحدة مواطنيها أعلى في ظل غياب التمايز في المصالح القومية.

إن مثال روسيا عبارة عن استعراض جلي لما يحدث لكل الحضارة الإنسانية عندما يحدث فيها تدمير للبداية الإلهية، وهذا يعني أن إنقاذ روسيا لا يكمن في البحث عن مصدر الشر العالمي، لكن في إحلال النظام في الجسم الذاتي، أي في الاقتصاد والروح الذاتية، في القوانين والسياسة. لكن الأفق الرئيس الأهم لصحة



الفرد المستقل والبلاد بتمامها هو في الدرجة الأولى حالة النفس، أي حب الرب والقيم والثقافة والاهتمام بالجيل الصاعد.

تمتلك روسيا قدرة متميزة تتمتع بخصوصية، فهنا يحدث تسريع لكل العمليات على حساب متناقضين اثنين هما التفكير الغربي والتفكير الشرقي. فالتطور يسير بسرعة كبيرة، ويحدث الانقراض بالسرعة نفسها، لذلك فإننا نرى التجليات العالية للروحانية والموهبة، ونشاهد مستويات مبيعات غير متوقعة، وبخلاً وحماسة. كلما كان الإنسان روحياً أكثر كلما أصبح أكثر قساوة إذا هو فقد القيمة الأخلاقية ولا يصل الناس الأذكاء ذوو الأخلاق إلى السلطة إلا في فترات الكوارث أو الأخطار المميتة، وهذه الحالة موجودة الآن تحديداً.

يتراءى لنا أن هذا سياسة أو اقتصاداً، ونحن كذلك سمينا الشيوعية سياسة. في واقع الحال إن هذا كله علم نفس. إن فكرة المجتمع المنسجم والموفق والخير والسعيد لا تنتمي للشيوعيين، فهم حاولوا فقط إيجاد شروط لتحقيق هذه الأحلام: الملكية العامة، التعليم المادي الذي حوّل الإنسان إلى آلة نافياً مفهوم النفس، التقسيم المتساوي لكل الخيرات.. إلخ. لقد سقطت الشيوعية ليس بسبب الحسابات السياسية والاقتصادية. إن الإنسان غير الناضج وغير المتطور وغير المكتمل يمكن أن يحصل على الخيرات نفسها التي يحصل عليها الموهوب، بشرط أن يتطور باستمرار ويتغير في الاتجاه الأفضل، بحيث يصبح حاملاً لقيمة، ذكياً وموهوباً، وعند ذلك يصبح التمتع بالخيرات والحصول عليها عبارة عن عامل دفع.

إن أي طفل يحصل على لطف الأم وحنانها وحليبها وعنايتها بغض النظر عن مقدراته ومؤهلاته. في العالم الحيواني تمتع الأنثى عن تغذية المولود غير القابل للحياة. أما في العالم البشري فالطفل يحظى بالدعم والحماية حتى يتغلب على مشكلاته ويصبح قوياً، وبهذا يختلف الإنسان عن الحيوان.

إن محاولة تقليد الحيوانات بالقضاء على الضعفاء لا تعطي تحسناً في الأساس الجيني للإنسان. لذلك فإنهم لا في إسبرطة القديمة حيث خنقوا المواليد الجدد، ولا ألمانيا الفاشية خدموا ازدهار الحضارة.



وهكذا فإن المساواة بين الذكي الأخرق وبين الضعيف والقوي ممكنة إذا توفر وعي رفيع المستوى.

لقد أراد الشيوعيون تحقيق الوصول إلى هذا الوعي بوضع محفزات مادية ونفسية لکنهم فشلوا ، فلقد أضنت وأضرت الملكية العامة و «التوزيع العادل للخيرات» الأذكياء والنشيطين ، وأعطت الحياة المريحة للأغبياء والكسالى ، ودخلت أساليب العنف والإكراه والخوف في العمل. لكن الوعي الشيوعي رغم هذا لم يظهر ، ولم يكن بإمكانه الظهور. فمن أجل الاستكمال الذاتي المستمر لا بد من قدرة كبيرة وهذه القدرة يعطيها الحب ، ومن دون حب الرب تتضب مخازن الحب الإنساني. وتوجد هنا خصوصية صغيرة ، فلقد قبر غياب الوعي الشيوعي المنظمة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي.

أما في الصين فمنذ العصور القديمة كانت تؤصل منذ الطفولة صفة الاعتیاد على العمل. فهل يمكن أن تتصور صينياً كسولاً أو خمولاً وكئيماً؟ إنه أمر غير ممكن.

لقد قرأت منذ فترة قريبة سؤالاً: «أتوجد علاقة بين الكآبة والكسل؟» نعم توجد علاقة قوية ، فإذا كان الإنسان لا يعطي قدرة فإن الحب يذهب من نفسه فيكتئب. لكن الكسل نوعان: كسل ظاهري ، ككسل إنسان لا يريد أن يكون حصاناً ، لذلك يخترع الدواليب ليمضي بسرعة الحصان. إن هذا النوع من الكسل يحول القدرة الفيزيائية المنخفضة إلى قدرة عالية روحية. ويمكن أن ندعو الناس كسولاً لأنه لا يتعب فيزيائياً من أجل الخير العام. أما النوع الثاني من الكسل فهو أم جميع العيوب: وهو عدم الرغبة في بذل قدرة ، وعند ذلك يتوقف الإنسان عن أن يكون متبرعاً ، ويتحول إلى مستهلك يبدأ انحطاطه مباشرة ، ويزداد تعلقه بالوسط ، وتنخفض قدرته ، ويزداد استيائه ، وتزداد عدائيته وكآبته. لذلك فإن الاشتراكية والاقتصاد المخطط وأولوية الأهداف الاستراتيجية للدولة ، حيث إن التطور الروحي لم ينهار لمصلحة المادي ، قد حافظت على نفسها وبقيت في الصين. إن التفكير الجماعي في جمهورية الصين الشعبية يظهر ويستعرض تفوقها الواضح مقارنة بالعالم الغربي.



إن عدم المقدرة على ضمان التطور الروحي ليست مصيبة الشيوعية الرئيسة، فلم يكن أكيداً أن هدف الشيوعية هو جعل كل إنسان سعيداً. فماذا تعني السعادة للإنسان؟ سؤال صغير يطرح نفسه. لقد أعطى الشيوعيون جواباً بسيطاً وواضحاً «السعادة في المنفعة المادية المقسمة بالتساوي بين الجميع». لكن حتى هذه السعادة المشوهة لم تتحقق، لذا تغير الحلم وأصبح على الشكل التالي: «لا ينبغي أن تكون السعادة المادية خاصة بالإنسان. فلإنسان يجب أن يكون حراً، أما السعادة المادية فيجب أن تكون مخبأة في البنية الحكومية».

إن إلغاء التوجه للتملك الخاص المادي عنى تغييراً في توجه الإنسان بشكل محوري. فإذا لم تكن القدرة موجهة إلى المادية فإنها ستكون موجهة إلى الروحية. ويجب الاعتراف أن الوعي والروحية على الرغم من ذلك تطورا. لقد كانت الشيوعية محاولة لإيجاد وسطية بين الإلهي والإنساني، فهي سعت لفصل الإنسان عن اهتماماته المادية لكنها لم تحسن الوصول به إلى الاهتمامات الإلهية. أما الغرب فلقد حول السعادة كلها باتجاه الأفق المادي، والشرق حولها باتجاه الأفق الروحي، فلقد ابتعد الغرب عن الروحي وابتعد الشرق عن المادي. وحاولت الشيوعية توحيد أسلوب التفكير هذين مشكلة نموذجاً منتقاصاً من البداية المادية، عاملاً على الروحية في سعيه للتطور وتشكيل إنسان جديد. لقد كانت الشيوعية قانونية وضرورية. فالمجتمع الذي يفهم أن سعادة أي إنسان ليست فقط بالحياة المادية المشبعة بالخيرات، وليست فقط بالحياة المنفصلة عن الروحية، يمكن أن يكون مجتمعاً سعيداً. لكن السعادة ليست ممكنة من دون غنى النفس الملهبة بالحب والقدرة على الحب تتحقق عن طريق حب الرب.

لقد حاول الشيوعيون بتصوراتهم المشوهة للسعادة الإنسانية تطوير الوعي والرؤية الشيوعية التي لم تتحقق، فأخذوا يقاتلون غير المفيد أو غير الصالح من وجهة نظرهم.

إن المخيمات التي أبدعها دزيرجينسكي وتروتسكي لإعادة تربية «غير الواعين»، والجوع المنظم بشكل مفتعل، هي أساليب استخدمت في الدرجة الأولى من قبل لينين، قللت عدد هؤلاء «غير الواعين» أكثر من ٧٠ مليون إنسان.



لقد كانت الاشتراكية القومية أي الفاشية أكثر إصراراً على تشكيل المستقبل المضيء، فمستقبل البشرية يتألف من مستقبل أناس مستقلين، وكما سيكون الفرد سيكون المجتمع. لقد رفض الفاشيون فكرة تغير وتطور الإنسان، وقالوا إن المادة ليست رئيسة والروحانية ليست أقل أهمية. إن أعلى نموذج لتجلي الروحانية هو الهند القديمة، حيث تم أخذ الرمزية منها، ومن هنا كان الصليب المعقوف. ولقد أخذت من الهند القديمة صورة ذلك المجتمع الذي يمتلك فيه صفوة من الناس، الحق في كل الخيرات، أما الآخرون فلا يسمح لهم إلا بخدمة أولئك.

لقد كتبوا على البوخينفالد الثانية: «لكل ما يخصه». وفق هذه المقولة رفض الفاشيون فكرة تغير الإنسان، وحلوا المشكلة بطريقة محورية، فيجب تدمير كل من لا يطابق مثال إنسانهم المستقبلي. ولجعل كل الناس سعداء، يجب ببساطة سحق التعساء.

ولقد حلت الشيوعية هذه المسألة بشكل مختلف بعض الشيء: لكي يحس كل التعساء أنفسهم سعداء يجب تدمير السعداء، ولكي يحس الفقراء أنفسهم أغنياء يجب تدمير الأغنياء، وقد تركت الفكرة الشيوعية على الرغم من هذا مجالاً لإعادة التربية والتغير والوعي المتنامي للناس، لذلك عاشت الاشتراكية مدة أطول، لكنها على أي حال كانت محكومة بالانتهاء، لأن نبضة الانطلاق كانت غير مكتملة أو ناضجة.

رافقت الحرب العالمية هزات في الاقتصاد العالمي، وسقوط ملايين القتلى، هذا كله كان بسبب الحل غير الصحيح لمشكلة نفسية صغيرة: كيف نجعل الإنسان سعيداً، وكيف نحوله بحيث يصبح منسجماً ومعطياً أكثر منه مستهلكاً؟

كدست شعوب البلدان الغربية المؤسسة تقليدياً على الفهم المسيحي للعالم، قدرة داخلية، وتعلمت تعميمها في العمل والنظام، وتشكيل المنافع المادية. أما في الشرق فلقد انتقلت القدرة العالية إلى المنجزات الروحية. وروسيا المرتبطة بالشرق جربت على نفسها هذا التأثير القوي، لكنها لم تصبح بلداً شرقياً. وانفتحت على الغرب عن طريق إصلاحات بطرس، لكنها لم تصبح بلداً غربياً، فلقد تواجد



أسلوبا التفكير بشكل ما ، واتصلا في وعي روسيا ، فدمرا بعضهما البعض أحيانا ، وأعطيا إنجازات عليا أحيانا أخرى في المجالات الروحية والمادية.

منذ مدة وجيزة عرضوا في التلفاز نقاشات عن مسألة الدعارة. هل يجب تشريعها أم لا؟ أكد ممثل إحدى الكتل البرلمانية المعروفة أن هذا الأمر ضروري، فهو يعطي مردوداً اقتصادياً، وتذهب الأموال للدولة، وليس للمافيا. كيف تنظر إلى هذه القضية؟

نرى في الغرب أمثلة كافية مفادها أن المال والنمو الاقتصادي يعتبران أثمن شيء بالنسبة للسياسي، حتى ولو كان ذلك على حساب القيم. ومن الواضح أن عواقب هذا المدخل ستكون كارثية عاجلاً أم آجلاً، فالحب والقيم الأخلاقية هي جذورنا، فإذا كان إنسان ما يسقي ساق الشجرة دون أن يسمح للرتوبة بالنفاذ إلى الجذور، أو حاول قطع الجذور بغية تحسين نمو الساق، فإن مدة إشرافه على البستان لن تطول.

إن علاقة الإنسان الاستهلاكية بالعالم تؤدي إلى هبوط القدرة في نفسه، وعندما يكون رصيد القدرة قليلاً لديه، فإن مستوى القدرة المتوفرة لديه لا يمكنه من أن يتغير أو يتحول، فيهبط مقدار تكيفه مع العالم بحدّة، ولا يستطيع التغلب على الشدّات، ويبدأ الانقراض بشكل بطيء. عندما أبدأ محاضرتي، فإنني أشخص حالة القاعة حسب برامتين:

الاستعداد لإعطاء قدرة، والاستعداد لاستهلاكها، فإذا كان الاستهلاك أعلى بكثير، فإن الإنسان مريض. وهنا يطرح سؤال: ماذا بخصوص الأولاد الصغار؟ فهم مستهلكون فقط؟ الجواب بسيط: إن تطور الطفل ونموه عبارة عن اندفاع هائل للقدرة. فالأنشطة المختلفة ضرورية، كالمسرح والفن، ويجب أن تحصل على مساعدة الدولة ودعمها، فمن دون دعم الدولة لا يمكن أن تتطور العلوم الأساسية، وهنا يجب الفهم: إن المساعدة المادية من قبل الدولة ضرورية في هذه المجالات حيث يسير التطور والتحول بشكل مستمر.

ومما لا شك فيه أن المردود والعطاء قد يفوق فيما بعد ما تم دفعه سلفاً بعشرات المرات. إن الدولة تحاول الحدّ من الاستهلاك بإعادة كل شيء إلى الأساس



التجاري، وهذا يماثل إجبار الطفل بعد عدة ساعات من الولادة على الجري، وبعد بضعة أيام على أن يتناول الغذاء ذاتياً. عندما يفكر القديس أو يصلي فإنه يعطي كمية قدرة هائلة على المستوى الدقيق، وهو يحصل على الدعم والعناية والإمداد بالطعام ممن اعتاد على العمل الفيزيائي، وفي النتيجة فإن العطاء سواءً كان على المستويات السطحية أو العميقة يجب أن يكون أكبر من الاستهلاك. وتعتبر المقدرة على العمل إحدى مؤشرات تطور الإنسان، حتى عندما تكون المتطلبات المادية والروحية ملبأة من حيث المبدأ، فالإنسان على خلاف الحيوان يعمل ويتابع في بذل قدرته تلبيةً وإرضاءً لكل رغباته، وهذا هو التطور، أما الحيوان إذا شبع فلا يعمل، والشرط الرئيس لبذله قدرة هو الخوف، العطش، الجوع، أو الشعور الجنسي.

لقد اطلعت في الجريدة على دراسة إحصائية مثيرة للفضول، إذ تم إجراء استطلاع رأي رجال أعمال وأناس عاديين يتقاضون رواتب شهرية: هل ستعملون فيما إذا حصلتم على خمسة ملايين دولار؟ كانت النتيجة أن ٨٠٪ من بين الناس العاديين قد يتركون العمل، أي إن الانقراض ينتظرهم في حال تأمينهم بشكل مؤكد، وكان هذا المؤشر أخفض عند رجال الأعمال، لكنه فاق الـ ٥٠٪. ماذا يعني هذا؟ النتيجة محزنة! ففي مجتمعنا حتى أولئك الذين اعتادوا على العمل كثيراً، وعلى الكدح يبقون في جوهرهم مستهلكين، وهذا يعني أن كمية القدرة عندهم قليلة، وغير كافية لتجاوز الشدائد، وهنا يمكن الكلام عن أمراض ومشكلات ليس عند هؤلاء الناس فقط، بل في المجتمع كله بشكل عام.

ما هي الدعارة؟ في الأساس هي الرغبة في جني أموال كبيرة بطرائق سهلة. وإنه لمن الصعب الامتناع عن غواية الحصول في ليلة واحدة على دخل شهر كامل، إذا لم يكن الحب والقيم الأخلاقية ساكنان في النفس. فالإنسان غير المتحلي بالقيم لا يفكر عادة، كما إن حساسية نفسه تكون منخفضة، وكقاعدة: كل شيء بالنسبة للعاهر نهايته مبكية. فإذا كانت هذه «الممارسة» تقدم لها متعة، فإن تركيزها على الجنس، أي على الحياة واستمراريتها، تقوي عدة أضعاف انشدادها وتعلقها هي وذريتها بالسعادة البشرية، فيأتي أطفالها تقريباً غير مؤهلين للحياة. وإذا كانت هذه الممارسة لا تقدم لها متعة، وتستدعي عاطفة سلبية لديها، فإنها تظهر



عداءً نحو الزبائن، وتبدأ لديها الأمراض، ويأخذ مصيرها بالتدهور، وتقل قابليتها للحياة، وتمتلئ نفوس الأطفال بالعدائية.

إن القدرة الجنسية عند أي إنسان يجب أن تتحول إلى مشاعر حب عليا، وتحول القدرة الجنسية إلى روحية يحدث عند الإنسان بشكل مستمر، وكلما كان السعي للرب أكبر، كان هذا التطور أقل، وأصبح الإنسان أكثر روحانية، وأصبحت نفسه أكثر غنى وطيبة وموهبة. وكلما كان الإنسان أكثر استعداد للعطاء، كان من الأسهل عليه أن يشعر بالحب، وأن تعمل قدرته الجنسية على تطوره. إن الاستهلاكية تشد إلى المستوى الحيواني، لذا فإن المستمعين الذين يعيشون في الأديرة ويرغبون في أن يصبحوا كهنة عليهم أن يحسوا الحب للرب، ويكبحوا سعي الجسد والروح والنفوس، ويمتنعوا عن تكديس الأموال، لأن ذلك يكبح وظائف الجسم. إن الاستماع يسكن وظائف الروح، أما الحكمة فتسكن الشهوة، وتكبح وظائف النفس الشعورية.

إن التحكم بالولع والشهوة صعب جداً فيما إذا كانت لدى الإنسان آلية لتحويل القدرة الجنسية الحيوانية إلى روحية، من دون تطوير الإنسانية، فعند الامتناع الطويل يبدأ الجنون، وعندما يخرج هذا الإنسان من المعبد، فإنه سيعاني من صعوبات كثيرة في علاقته مع النساء في حياته العادية، لأنه سيسعى فقط إلى الجنس وإرضاء رغبته الجنسية، وإنسان كهذا سيلجأ إلى العاهرات.

إن تطور المجتمع يعني أن المجتمع المنسجم يجب أن يساعد الإنسان على التغلب على المرضية الروحية، وأن يجعل وجوده مريحاً عن طريق الإيمان بالله، والتوجه نحو المشاعر العليا والطيبة والغيرية، والامتناع الدوري عن الجنس والطعام، فكل هذه المؤشرات تساعد على إصلاح المرضية. وإذا كان المجتمع الذي يسمي نفسه إنسانياً، يستهتر بمرض النفس، فإن الإنسان الصحيح يبدأ بتقليد المريض ويكرس قدرة أقل وأقل لحب الخالق وللمشاعر العليا النيرة، ويزداد تواتر تسويق الدعارة، فالصلاة غير واجبة، والاهتمام والاعتناء غير مطلوبين، والحصول على المتعة ممكن بشكل سريع ولا بأس به، والقدرة المصروفة في حدها الأدنى، وإشباع الرغبة يبلغ حده الأقصى.



نستطيع القول بلغة بسيطة: إن اللجوء المنتظم لخدمات الدعارة هو مرض للروح والنفس، وفيما بعد للجسم وكلما كان عدد الرجال المستعدين للدفع من أجل الدعارة أكبر، كثرت أعداد النساء اللواتي سيسلكن هذا الطريق مدمرات بذلك المجتمع.

لقد لاحظت إحدى النساء بدقة وهي عضو برلمان، أن التفكير بالفائدة المادية فقط قد يقود إلى تشريع المخدرات والنزعات المرضية الأخرى في المجتمع. وبمناسبة الحديث عن المخدرات، فإن عدم كفاية الحب في النفس، والقدرة المحطمة للمشاعر النيرة، والعلاقة الاستهلاكية بالحياة لا تقود فقط إلى تلك النتائج، كازدياد الدعارة، وتعاظم أعداد الرجال المشجعين لها كزبائن، أي الرجال الذين لديهم ميول مرضية في نفوسهم، بل كذلك إلى غياب القدرة، وعدم تحمل الشدائد، مما يؤدي إلى تعاطي المخدرات واللواط. ففي بلدان أوروبا الغربية على سبيل المثال، يكوون الناحية المرضية عند المرضى النفسيين بدلاً من مساعدتهم، وذلك بإطلاق العنان لها. إن الإنسان الممتع عن الحب لا يحمل ألماً نفسياً. وكثيراً ما ينهي هؤلاء الناس حياتهم بالانتحار أو بالبحث باطنياً عن الموت. والمساعدة الرئيسة لهم هي أولاً تعليمهم الحب، وثانياً كبح السعي المرضي للانتحار. أما في هولندا فلقد تم حل كل شيء ببساطة أكثر، فباستخدام مفاهيم الحرية والديمقراطية والإنسانية، أصدروا قانوناً يسمح (بالانتحار الطوعي) وقتل الذات إرادياً، وشرعوا تعاطي المخدرات. وفي فرنسا فتحو حديثاً قناة تلفزيونية خاصة باللواط، فشرعوا الجنس على شاشة التلفاز، وروجوا فعلياً لممارسة اللواط. ولقد حضر في حفل افتتاح هذه القناة وزير الثقافة الفرنسي. إن الكلمات المرددة كثيراً في الغرب «كالإنسانية» و «الحرية» و «الديمقراطية» ما هي إلا محض هراء، فأى إنسانية هذه إذا كانت تنمي في الإنسان أسوأ النزعات والميول المرضية؟! ما هذه الديمقراطية التي تسمح بتخريب نفوس الأطفال؟ ما هذه الحرية التي تسمح بتحويل الناس إلى مجرد حيوانات بشكل مخطط وتدرجي؟ إن الجواب بسيط: ففي الشرق الإنسان روح ونفس، أما الجسم فلا يعطى اهتماماً خاصاً. وفي الغرب الإنسان جسم فقط، والديمقراطية والإنسانية كلها موجهة لتأمين راحة هذا الجسم مادياً



وفيزيائياً ، ولا يهم أن تموت النفس عند ذلك. فالشذوذ والمخدرات واللواط والعقم كلها بمجملها من عواقب المادية التي تتبناها الحضارة الغربية. إن تبني نصف الحقيقة أكثر خطورة من الكذب بكثير، فالحقائق الظاهرية أخطر بكثير من أيّ أمور كاذبة، وفي الرؤية المادية للعالم يوجد فكر صائب شكّل الحضارة الغربية كلها، لكن هذا الفكر عبارة عن نصف حقيقة فقط. ومن نتائج هذا النصف أن نصف نساء فرنسا لا تستطيع الإنجاب، وأن المجتمع الغربي ينحط ويتلاشى في حين أن المجتمعات العربية والإسلامية آخذة بالتكاثر. عندما بدأت أبحاثي فكرت أن الحقل البيولوجي هو مجموعة الحقول الفيزيائية المحيطة بجسم الإنسان، وافترضت أن تغير الجسم يترافق بتغير في تركيبه أو بنية الحقل، فيمرض الجسم وتتشوه البنية الحقلية. إن الحقل البيولوجي ثانوي بالنسبة للجهاز العضوي، كما حقل الجاذبية يتشكل بالكوكب، والحقل المغناطيسي بالمغناطيس. وإن هدي من تشخيص الحقول الفيزيائية الثانوية هو التحديد المبكر لأمراض الجهاز العضوي.

وأذكر تجارب تصوراتي على أرض الواقع، فلقد شخصت حالة امرأة بناءً على طلبها، وحددت أمراض أجهزتها:

ذهبت هذه المرأة إلى الطبيب فأجرى لها أبحاثاً وتحاليل، لكن لم يتأكد شيء، وأظهرت التحاليل أنها سليمة تماماً، وبعد عام ظهرت عندها بعض المشكلات، وعند ذلك فقط أعطت الأبحاث الطبية وصفاً لحالتها يطابق وصفي لها قبل عام. فعن طريق دراستي للحقل رأيت المرض المهدد لعضويتها السليمة، وكان هذا بالنسبة لي يشكل تناقضاً واضحاً، فالحقل البيولوجي أولي بالعلاقة بالعضو، وفي الوقت نفسه ثانوي، لكن يبدو أنه يستثنى ما عداه!

فيما بعد استطعت أن أفهم أنه توجد طبقات أو رقائق مختلفة للحقول. توجد طبقات عميقة تشكل الجسم وتحدد حالته، وتوجد طبقات سطحية تتعلق بالجسم وتتشكل به، ويصب واحد في الآخر، فالروح تصبح مادة، والمادة تصبح روحاً. ولقد لاحظت أن البنية الحقلية الأكثر أهمية ترتبط بعواطفنا وتظهر في الجوهر طريقها، فالعاطفة ترتبط بالجسد. ولقد فهمت أن المثالية والمادية تتلامسان في نقطة هي



الحب، كأجزاء للكلّي التام. وإن دورة التطور في كائن حي تبدأ من القدرة والحب الإلهي الذي يتحول إلى بداية روحية، وفيما بعد إلى بنية مادية. والقدرة الإلهية التي تأتي من المنهجيات الدقيقة تلد الدين، والدين يلد الثقافة، والثقافة تلد الحضارة، وإذا كانت الحضارة لا ترجع إلى الخالق والدين فإنها ستتقرض.

إن أحد المؤشرات الحقيقية لغروب الحضارة هو الازدياد الحاد لأعداد اللواط، والاستهتار، والتمادي في رغبات الجسد في انتقاص للنفس وعلى حسابها، فكلما حاولت أوروبا اليوم مساعدة الجسد الآيل حتماً إلى الفناء، كلما تعمقت مشكلات الحضارة. فعندما حاولت أمريكا إنقاذ الحضارة، تفاقمت المشكلات على هذا الكوكب. وهذا مثال واقعي لمنظومة من دون رابطة عكسية، وأي إنسان في هذا الكوكب يعرف أنه حتى في ذلك البلد الذي لا تغيب عنه الشمس يمكن أن تظهر مشكلات كثيرة.

لقد انقرضت الديناميكيات لأن القدرة الأساسية عندها اتجهت إلى القوة الفيزيائية والدفاعية، أما الكائنات الضعيفة غير المحمية، قليلة التغذية، فلقد حوّلت القدرة من الشكل إلى المضمون، فالتطور العاطفي كما اتضح يحمي أي كائن ضعيف، ويجعله أكثر حمايةً من أي كائن هائل القوة. فأعلى حماية هي شعور الحب للخالق الذي أوجدنا، والمتواجد بشكل غير مرئي في كل جزئية في هذا الكون.



## القسم الثالث







هل يجب إلغاء حكم الإعدام أم لا ؟ إنه لم يلغ في أمريكا في كثير من الولايات.  
أرى أنه لا يمكن أن نعطي جواباً صحيحاً لهذا السؤال، فيما إذا تم طرحه بهذه الطريقة. فلنأخذ أوروبا على سبيل المثال، إنها في الحقيقة تفخر بمستواها الثقافي والحضاري الراقى. والثقافة ليست فقط مسرحاً نظيفاً أو رقصة بالية زاهية، إنها مساواة للناس أمام القانون، نزاهة أكبر للموظفين، غياب للحسد والتعالي والوقاحة، أي حب واحترام الإنسان للإنسان. لذا فإن الاستنتاج المنطقي يقول إنه في هكذا مجتمع لا يجوز قتل إنسان حتى ولو كان مجرماً، ويتوافق هذا مع الأخلاق المسيحية.

ويحتل الإسلام في هذه المسألة موقعاً آخر مغايراً، فهو ينطلق من التمسك بنصوص القرآن الكريم دون أن يزيح البتة، إذ إنه على الرغم من مضي أكثر من ألف وخمسمئة عام على نشوء هذا الدين، فإنك إن سرقت يجب أن تقطع يدك، وإن قتلت يجب أن تحكم بالموت. لقد تركت أوروبا المتحضرة تنفيذ ما نص عليه العهد القديم فيما يخص قتل المنجمين والعرافين، لكن أعداد المجرمين ما تزال آخذة بالتزايد.

كنت منذ بعضة أعوام في الإمارات العربية وتعاملت مع شخص أمضى هنالك

عدة سنين، فكان لي حديث معه:

- قل لي، أ توجد جريمة هنا؟



- لا.

- كيف هذا؟

- هكذا، دبي مثلاً أكثر مدن العالم أماناً.

- جيد! وسابقاً هل كانت الجريمة موجودة؟

هزّ بكتفيه:

- طبعاً، كانت موجودة، لقد سرقوا وقتلوا ونهبوا.

- لكن أين اختفت الجريمة؟

- قال الأميرُ في يوم رائع:

«إنّ عنف الجريمة يقلق الكثيرين. وأرى أنه يجب ألا يبقى للجريمة وجود بعد

الآن» وفي غضون ثلاثة أيام لم تعد هناك جريمة.

- ممتع. من الصعب أن يحصل هذا في أوروبا.

- في أوروبا لا يوجد دين، وهم فقط يتسترون بالمسيحية. أما هنا فالناس أقرب

للإيمان.

- وماذا عن مستوى الحياة؟

- ليس سيئاً فالراتب الوسطي قرابة ٢٠٠٠ دولار، وكل مواطن محلي يحصل

على إضافة بتوجيه خاص من الأمير، بحيث يصبح دخله الشهري ٢٠٠٠٠ دولار.

- إذاً هذه شيوعية.

هزّ محدثي كتفيه.

- على أي حال إنّ قيادة البلاد تهتم بالشعب، والقيم الأخلاقية بالنسبة لهم

ليست كلمات فارغة.

وفيما بعد فكرت في كيفية حل هذه المشكلة. في أوروبا أجروا دراسة

إحصائية وفهموا أنّ اعتماد حكم الإعدام لن يقلل من الجريمة. إذاً ما الفائدة من

قتل إنسان؟

في الإمارات العربية لم يهتموا بالدراسة الإحصائية، فإذا كان الدين يقول إنّ

القتل والسرقة والنهب إثم، فإنّ هذا يعني أنها أشياء يجب أن تكون غير موجودة،

وفي حال وجودها فإنّ العقوبة مبررة مهما كان نوعها، لذلك اختفت الجريمة.



أما في روسيا فلقد استبدل هذا الحكم بالسجن مدى الحياة للذين يملكون نقوداً قليلة، أما أولئك الذين لديهم مالا كافياً، فيشترون أنفسهم بسرعة، ويخرجون من السجن، ليقدموا على القيام بجرائم أخرى أكبر، وهم على ثقة من أنه يمكنهم فعل أي شيء في هذه البلاد المعروضة للبيع ما دام المال متوفراً لديهم. منذ عدة أعوام سافرت في القطار مع أحد العسكريين العائدين من الشيشان.

في الجيش فوضى عارمة، ولكي يتسنى فرض النظام في الشيشان، لا بد من إحلاله في الجيش أولاً، لكن القادة الكبار يخونون ضباطهم، والضباط يخونون جنودهم. فالوضع في الشيشان يدفع إلى هذا، إذ إن اللص الخائن يحصل على المكافآت والأموال، أما الشرفاء فيقتلون ويجردون من رتبهم. فنحن نعتقل الشيشانيين ونضعهم في الأسر، مضحين بأرواحنا، وبعد أسبوعين نرى المقاتلين أنفسهم في المعركة وقد اشتروا أنفسهم وعادوا لمتابعة القتال بهدوء. فالمقاتل الشيشاني المسلح يعبر أي نقطة تفتيش بهدوء وسهولة، إذ إنه يدفع ٢٠٠ دولار ويمضي في حال سبيله، أما المدنيون فيتعذبون ويقفون طويلاً في الدور، لذلك لم نعد نمسك بالمقاتلين لأخذهم أسرى.

مضى أكثر من عام بعد هذا الحديث، والآن يتم تحديث الجيش، وأنا أرى أن الموقف تغير، لكن ليس عندنا قوانين، ولا رأي عام يسمح بردع المجرم المبتدئ. لقد كنت واثقاً أنه من الضروري إدخال حكم الإعدام إلى روسيا. وفيما بعد استلمت رسالة من السجن كتبها إلي أحد القتلة يقول فيها:

- لقد نظمت وارتكبت جريمة قتل، وحكمت بالسجن المؤبد. قرأت كتبك وأصبحت إنساناً آخر. والآن من المستحيل أن أكرر ما فعلته سابقاً.

وعند ذلك وجدت المشكلة التي كانت تعذبني الحل من تلقاء نفسها. ما الفكرة من حكم الإعدام؟ إيقاف الإنسان عن جرائمه، وبلغة دينية: عدم السماح له بارتكاب الذنوب لاحقاً. فمع كل جريمة جديدة يجعل الإنسان نفسه أكثر سواداً، وعندما يقتل هو إنساناً آخر بسبب الجشع، فإنه في الوقت نفسه يقتل الحب في نفسه هو ذاته. فالنفس السوداء تسمم الأجواء حولها، وتدفع الآخرين إلى عصيان ومخالفة الرب، يعني أن موت إنسان كهذا مفيد.



وهذا يدعو للتساؤل: لماذا لا يعاقب الرب هذا الإنسان؟ الجواب بسيط: إن مبدأ حتمية العقوبة الإلهية يعمل ١٠٠٪ على خلاف ما هو عليه في المحكمة البشرية ولا سيما الروسية. فإذا كان الإنسان يرتكب مخالفات صغيرة، فإنها حتماً ستتمو إلى كبيرة، وتتوغل عميقاً في الوعي الباطني (الوجدان)، وتصبح قناعات شخصية، وهنا يبدأ الانحطاط والمرض، ويهجم الموت. يسألونني كثيراً: إذا أين العدالة؟ لماذا يجاوب عن ذنوب البعض أناس آخرون؟

أقول أنا: إذا سافرت أنت على متن طائرة، فإنك تأتمن الطيار على حياتك، وستدفع أنت ثمن ذنوبه، أما هو فسيحاسب على موتك بسببه، فيما إذا بقي هو حياً، وأهم عقوبة يتعرض لها هي هلاك وانحطاط ذريته. وهكذا يبدو أن القوانين البشرية جنائية، إدارية، أخلاقية تسرع سير عملية العقوبة، منقذة المجرم من الانحطاط المستقبلي والموت. يعمل قانون القيم بسرعة أكبر، بعد ذلك الإداري، وفي الدور الأخير الجنائي. وجميعها يجب أن تعمل لإنقاذ نفس الإنسان، أي إن الحكم بالموت هو اعتراف باستحالة تغيير نفس الإنسان الذي يعتبر وجوده على الأرض قتل دائم للحب في نفسه. ويمكن للموت فقط أن يساعده على تنقية نفسه دون أن يسمح بتلوث أعماق الوعي الباطني لديه.

إن إلغاء حكم الموت ملائم عندما يكون المجرم مستعداً للتغيير وقادراً عليه، لكن هذا عملياً غير ممكن دون إيمان بالرب.

في الاتحاد السوفييتي سميت السجون بدوائر العمل الإصلاحية، وهي كانت دوائر عمل فقط. أما الآن يشكل التوقيف في السجن عقوبة، ولم يعد يتكلم أحد عن الإصلاح، فلقد فهم الكل أن هذا لا معنى له، وأن فهمهم كان خاطئاً، لأن الإنسان يستطيع أن يتغير نحو الأفضل ويجب عليه ذلك. وعندما يفكر المشرعون بإدخال أو تغيير الحكم بالإعدام، فإن هذا يشهد على عدم مقدرتهم على التفكير. ولا يمكن أبداً للتفكير السطحي أن يحل المشكلة، فإذا لم يتم العمل على تنقية المجرم وإنقاذ نفسه، فإن إلغاء حكم الإعدام أو اعتماده سيؤديان إلى حالة أسوأ. فالطريقة الأوروبية هي الرفق بالمجرم، وفي الوقت نفسه تتزايد الجرائم. والطريقة الشرقية هي القضاء (تدمير) على المجرم أياً كان، والقضاء على الجريمة عموماً.



ولكن إلى أي نتيجة تؤدي هذه الطريقة، هذا واضح من نموذج ألمانيا الفاشية. في الستينيات من القرن العشرين عاش في البرازيل رجل عجوز، أحبه الأطفال كثيراً لأنه كان يهديهم قطع الحلوى (السكاكر) بشكل دائم. فيما بعد، عندما اعتقلوه، عرف الناس، أنه كان سفاحاً فاشياً شهيراً، قام بقتل آلاف الأطفال من أجل تجاربه. لقد كان يعتبر أن أي ولد من قومية أخرى مجرماً لا يملك الحق في الوجود. أي إن الطريقة الغربية والشرقية تؤديان إلى الانقراض. ويمكن لهما أن تتحدان فقط عندما تأخذ نفس كل إنسان بالتغير في الاتجاه الخير.

لنتكلم عن نفسية المجرم: منذ مدة قريبة عندما كنت أختار بعض الرسائل لفتت انتباهي رسالة كتبها امرأة وقالت فيها:

- لدي ابيضاض دم، وعندنا قرأت كتبك شفيت. والآن أنا صحيحة الجسم وسعيدة، وقد تزوجت من أبي!!

نظرت حقلها بواسطة خطها، وفهمت أن المشكلة محلولة على المستوى السطحي، التعافي من المرض، أما أسبابه فباقية. ماذا يعني سفاح القربى؟ ماذا يحدث عنده على المستوى (المنهج) الدقيق؟ في جميع الأديان هذا إثم مميت. في الشرق، تعتبر القدرة الجنسية أهم شيء عند الإنسان، ويجب تبديدها دون إفراط، وهذا يعتبر شرطاً للصحة. وأنا وصلت إلى نتائج مماثلة، لكنها مختلفة بعض الشيء: القدرة الرئيسة في الإنسان نقية (صافية) ولا تحمل أي لون (صبغة)، لكنها تتحول في الدرجة الأولى إلى قدرة جنسية لاستمرار الحياة، وفيما بعد إلى قدرة الروح، أي الوعي، وقدرة الجسم.

إن الكون (هولوغراف في Holography التكوين) في الزمن والفراغ، أي إن المعلومات عن الكون كله في الماضي والحاضر والمستقبل تدور تتوضع في أي غرض على المستوى الدقيق. لنتكلم بلغة دينية: إن الرب موجود في كل الكون، إلا أننا لا نراه يعني أن الكون كله في كل جزء من أجزاء الثانية يولد فينا، ويزدهر، ويشيخ، ويموت. وجوهر هذا التطور هو التالي:

يخلق الحب الإلهي الزمن، والزمن يخلق الفراغ، والفراغ يخلق المادة، والمادة بانتظامها، تصبح أكثر روحية، وبازدياد كمية الروابط تتحول الروحية إلى مشاعر



عليا مرتبطة بالزمن، أمّا المشاعر العليا فتتحول إلى حب للرب. إن هذه الدورة تتم فينا في كل جزء من الثانية. وكل شيء يجد الحل في اللحظة الأولى، عندما تأتي الطاقة الإلهية إلى الإنسان. وبما أنها تتحول كاملةً إلى طاقة جنسية، فإن جزءاً منها حتماً يجب أن يعود. إذا كانت الطاقة بكاملها تتحول إلى جنسية، أي متحولة بالتتابع من المستوى الشعوري الزمني إلى المستوى الفراغي الروحي، وفيما بعد إلى المستوى المادي، فإنها تتجمد في نقطة حدية، ومن ثم يأتي (يقبل) الانحلال، ولن تكون هنالك عودة. في جوهر القضية، هذه هي آلية تدمير الكون. والإنسان الذي تعمل في نفسه آلية هلاك الكون يخضع للهلاك، وكذلك ذريته، كحملة لنزعة خطيرة. وهكذا، فإن قسماً مهماً، إن لم يكن الأكبر من القدرة الجنسية عند الكائن الحي، يجب أن يعود إلى الخالق. كيف يمكن أن يحدث هذا؟ يجب أن تكبح الرغبة الجنسية التي تخفق فينا في كل جزء من الثانية، وأن يتم الامتناع عنها لبعض الوقت.

يجب فصل شعور الحب عن الميل الجنسي. وتحديدًا هكذا يؤثر الحب الأبوي.

لقد نظرت إلى يحدث مع الإنسان الذي يعاني من عواطف إيجابية، وكنت مذهولاً! يبدو أن كل ما يعجبنا، حتى في الطبيعة الصامتة، يولد لدينا شعوراً جنسياً، وأننا نحمل في ما وراء وعينا ميلاً جنسياً نحو أي شخص يعجبنا. لكن في الواقع، على السطح، هو يتجلى بالنسبة للجنس الآخر في فترات محددة. إن الميل الجنسي للوالدين، حتى للوالد من الجنس المغاير، يكبح بأقوى ما يمكن، لذلك فإن الحب الباطني للوالدين اللذين أعطيانا الحياة. إن علم الحب هذا سمح للكائن الحي بالبقاء، وهو مدعم بالتماثلية الجينية، فيتم الانقراض الفيزيائي عند خرق هذا القانون، لكن الانقراض المتعلق بالنفس فإنه يفوق الحد الخطر بكثير. إن كبح الرغبة الجنسية تجاه الوالدين والأقرباء هو في جوهر الحال وقاية من الجريمة. إن القوانين الجنائية والمدنية لا تؤثر في هذا الحقل. والقضاة والشرطة لا يستطيعون النفوذ في أعماق نفس الإنسان. هنا يؤثر فقط القانون الأخلاقي الذي نعرفه نحن جميعاً بالحدس، وفي الألفيات الأخيرة دعم بالأديان. إذا كان الإنسان لا يستطيع



كبح رغبته الجنسية فإنه إلى حد بعيد لن يستطيع كبح بقية الرغبات، وهذا هو الطريق المباشر للإجرام.

قرأت مصادفة في إحدى القصص البوليسية عن منظومة اختيار المخبرين في المخابرات. إحدى القراءات كانت:

إذا كان الإنسان يأكل بلؤم وسرعة، ينظر بحسد إلى صحن جاره، فإن هذا الإنسان يبيع دائماً ويخون، لذلك فإنه يفصل فوراً. تذكرت إحدى أوائل الاختبارات النفسية المذكورة في تاريخ البشرية. أنا قد أوردته سابقاً، وأورده مرة أخرى. لكي يتم اختيار أفضل المقاتلين، ساروا بالقوات عبر الصحراء، بعد ذلك أتوا بهم إلى النهر ونظروا كيف يشرب الجنود؛ أما الذي هجم على الماء وشرب بلؤم كالحيوان مرتعياً على ركبتيه فذاك جندي سيئ. وينتصر دائماً الجندي الذي يكبح رغباته، محافظاً على كرامته الإنسانية.

عندما تتحول كل القدرة إلى رغبات، يصبح الإنسان عبداً لهذه الرغبات، حيث لا توجد عنده نقطة ارتكاز أخرى. إن الرغبات مرتبطة بالحياة، وعبء الرغبات هو عبء للحياة الذاتية. وذلك الذي يخاف دائماً على حياته هو جبان، وهو دائماً يخسر في المعركة ويخون.

لقد حاولت لسنين طويلة أن أفهم لماذا تكون حالتنا جيدة عندما نتكلم عن شخص آخر بسوء أو نحط من قدره. فهمت منذ مدة قصيرة. فبقدر قوة خضوعك للحياة والرغبات، بقدر ما يصعب عليك الانتقاص منها. وعند ذلك تنشأ إدانة وكره لذلك الذي سبب لك إزعاجاً أو إهانة. وعندما تهين وتقتل حياة أخرى، يندلع السرور: «ها أنا حي، وهم لا يهينونني!» فكما يرتجف اللئيم سروراً من حفنة نقود زائدة، كذلك الشخص المتعلق بالحياة، يبتهج عندما يسرقون شخصاً آخر، ويحسد ذلك الذي حياته أفضل، ويشعر باللذة من كونه حياً عندما يموت الآخرون. إن عدم الرغبة وعدم المقدرة في كبح الرغبات الذاتية، والتركيز على الحياة، والكراهية لأولئك الذين يأتي عن طريقهم المرض، التنقية، الكآبة، عدم الرغبة في الحياة عند فقدان (انهيار) السعادة، كل هذا يشكل المجرمين المستقبليين. إن النفس الفاقدة للحب إجرامية، وهي التي ستحدد شكل الجريمة.



يعرف الجميع كم كانت كبيرة أعداد الناس الذين قضت عليهم الشيوعية. عشرات الملايين! لماذا؟ لأنه لم يرتد أي شيء من القدرة العليا راجعاً إلى الرب. لقد نفت المنظومة الإيديولوجية مفهوم القيمة الأخلاقية والحب كبداية أولية. وذهبت القدرة كلها إلى المستقبل المشرق، وتنظيم الحاضر، وتزويده بكل أسباب الراحة. إن جوهر الشيوعية يكمن في الخضوع للحياة وللرغبات البشرية، ولو العليا منها، لذلك قضت على الآخرين، ولذلك كانت هي نفسها محكومة بالسقوط. سأحدثكم بقصة قصيرة: منذ مدة قريبة كنت مسافراً. مكثت في شقة لدى زوجين مسنين طيبين وشهمين. أتى كذلك ضيوف آخرون، وأخذت ربة البيت بإعداد طاولة الطعام. كان حفيدهما الصغير يركض في الغرفة، يطلب شيئاً ما، ولم يعط له. وفجأة صرخ الولد: «أنا سأقتلك»، وأشار إلى الجد. هم لم يعيروا اهتماماً لهذا: إنه مجرد طفل يلعب (يعبث). وقررت المرأة الجالسة جانباً تصحيح سلوك هذا الطفل الشقي ذي السنوات الثلاث.

- عزيزي، لا يجوز أن تقول هذا، إنه أمر غير جيد.

- أنا سأقتلك أيضاً. سأخذ بندقية وأقتلك أولاً.

اقتربت المرأة وصفعته. بكى الطفل. دخل أبوه ونظر بقسوة إلى والديه:

- تضربان طفلي؟

أخذ العجوزان يبرران. عند ذلك تدخلت وحاولت شرح الموقف:

- من غير المقبول ترك تصرف كهذا من دون عقاب، لأنه ينتهي فيما بعد

على نحو سيئ جداً، فإذا لم يصفع الأب طفله العدوانى، فإن القدر سيفعل هذا، وعلى نحو أقسى بكثير.

بدا لي أن الأب لم يفهمني، ولم يكن باستطاعتي فعل أي شيء.

وبالمناسبة، فهمت أن العقوبة لن تغير هذا الطفل. يجب أن تكبحه نعم هذا

ضروري، فهو قد أصبح مجرماً، على الرغم من أنه لا يفهم هذا. كان الموقف

غير عادي إلى درجة كبيرة. وقررت تشخيص حالة الطفل. كان الحقل ثنائياً:

من جهة نقياً، مستوياً، ساطعاً تقريباً. ومن جهة أخرى وسخاً عدائياً مشوهاً.

إن الحكم على ميوله يفضي إلى أن المشوه سيسبب اتساخ النقي. وإذا كان



هذا الطفل سيقدم على ارتكاب جريمة مستقبلاً ، فإنها ستفقد من يديه ما دام داخله نقياً .

عندما حاولت النظر في السبب ، اتضح أن الأم سبب لكل شيء تقريباً ، فهي في فترة الحمل أثارت عصبية الزوج ، واستاءت منه دائماً . أنا لم أسأل والد الطفل عن علاقته المتبادلة مع زوجته في فترة الحمل . لقد كان هذا مرئياً على المستوى الدقيق بشكل جيد لدرجة كافية . كان على الأم أن تخضع قبل فترة الحمل وأثناءها إلى تنقية معيارية ، فإذا لم يكن هنالك سعي طوعي للحب والرب ، ومن أجل هذا إحجام وكبح للحياة والرغبات ، فإن آلية التنقية القسرية تأخذ بالعمل ، فبدلاً من قبول الألم والمعاناة كمؤشر للمتاعب الداخلية أخذت المرأة تتنقى بالامتعاض والإدانة ، وبدلاً من أن تزيد كمية الحب في نفسها ، قللتها . أما الأطفال فتتضاعف عندهم عواطف الأهل مرات عديدة .

إن التعاسة التي نقلتها الأم لطفلها ، كان يمكن لها أن تخرب جسده . وكان من الممكن أن يولد مصاباً بمرض ثقيل ، أو أن يعاني ويتعذب فيما بعد . ويمكن لهذه التعاسة أن تنتقل إلى روحه ، وأن تكبح مواهبه ووعيه . لكن الضربة أتت في النقطة الأكثر خطورة : لقد بدا انهيار النفس والمصير . في عشرات السنين الأخيرة كثرت هذه الأحداث ، حيث يمكن الكلام عن نزعة محددة : إن الناس يعطون كل قواهم لصحة الجسد والعقل ، ناسين النفس .

أفتح صحيفة وأرى فيها ملاحظة مثيرة للفضول : اتخذت محكمة فرنسية قراراً تعسفياً بتهجير رجل دين مسلم يعيش في فرنسا . لقد كمن السبب في نداءاته . فإذا خانت المرأة ، فإنه لا يجوز ضربها على رأسها ووجهها ، بل يمكن ضربها أسفل الخصر . رأى القاضي أن هذا يعتبر تبريراً لاستخدام العنف ضد شخص آخر ، وحكم بالتوقيف . أما استهتار المرأة وخلاعتها الجنسية ، وما سينتج عنهما من قتل لنفوس أطفالها فأمر لم يهتم له القاضي . إن مفهوم حماية النفس والقيمة الأخلاقية غائب في المحكمة الغربية ، فالقيمة تفهم تماماً بشكل سطحي على أنها عدم المساس بالحياة والرغبات . فالقيمة ، وبالتالي الحب ، ينطلقان من مفهوم الحياة والرغبات ، وبالتالي يتعلقان بهما .



أنا حاولت أن أفهم كيف تتشكل نفس المجرم، في كل جزء من الثانية تتشكل في وعينا الباطني مواقف مختلفة، ولما كان الأهم في وعينا الباطني الحفاظ على الحياة والاستمرار بها، فإن أكثر الحالات تمتلك اتجاهين اثنين: تقوية الحياة، وتخريبها. عمليات التخريب ضرورية كعمليات التشكيل. يتحول التخريب إلى بناء عندما يتم تحت سيطرة الحب. إذا كان الحب قليلاً، فإن فكرة البناء تصبح مشوهة، وتتحول إلى فكرة الحفاظ على الحياة والخضوع لها وعدم المساس بها. وفكرة التخريب تتحول إلى فكرة تحطيم الحياة. تنتج العدائية في الوعي الباطني ناتجة عن الخضوع في الوعي الباطني. إذا كنا نكبح أنفسنا في السعادة والمسرات، فإن هذا يؤهل لزيادة الحب في النفس إذا كنا نكبح أنفسنا في عدائيتها، فإن هذا يؤهل كذلك لزيادة الحب في النفس. والقدرة التي تصب في النفس، تتكشف في عواطفنا، وتولد المواقف، فإذا تخيلنا أنني سرقت، نهبت، استخدمت العنف ولم أقم أقوم تصرفاتي من ناحية القيمة الأخلاقية، ولم أمسك نفسي، فإن الحالة تتقوى في الوعي الباطني، وفيما بعد تتراكم هذه الحالات وتزداد قدرتها، وعندما تبلغ نهاية محددة يصبح مستحيلاً الكفاح ضد ذلك البرنامج الذي أصبح يشكل سلوك العاطفة. فالإنسان لا يريد أن يكون مجرمًا، لكن العواطف المضغوطة في داخله تدفعه للنهب أو القتل. حدثني أحد معارفي عن مشهد ممتع:

- حدثت عندي سرقة في الشركة، لكن قبل ذلك حدث موقف آخر: أرسلت مبلغاً كبيراً من النقود مع مرافقة القطار. عندما أتوا لاستلام الطرد في المدينة الأخرى، قالت إن النقود قد سُلمت، ووصفت بدقة الرجلين الذين استلما منها. تصرفت هي تماماً بشكل طبيعي وكان من المستحيل الشك فيها. ذهب صاحب المال إلى متبئة، فقالت إن المرافقة هي التي سرقت النقود. في اللحظة الأخيرة هي أعطتها لشخص من خاصتها، تركت المرافقة العمل، لكنها لم تعد النقود. قال الرجل لي، أنت قلت لي عند ذلك، إن السبب فيّ أنا. لقد أصابني عدم توفيق أخذ بالانتشار عن طريق المواقف الخارجية. حاولت أنا العمل لأجل نفسي، لكن، بالتأكيد لم أنجح، وبعد مدة قصيرة فقدت مبلغاً كبيراً من المال عندي في



المكتب. كان يمكن لمجموعة أشخاص أن يقوموا بالسرقة. شككت بامرأة واحدة. قررت التأكد من توقعاتي، وذهبت ثانية إلى المتبئة، فقالت لي: - إن الذي سرق النقود رجل. ووصفته.

أنا فهمت فوراً عمن يدور الحديث. وتابعت:

- أما تلك المرأة التي تفكر بها لم تسرق. على الرغم من وجود مشكلات كثيرة عندها، هي لم تسرق شيئاً. - هكذا إذاً.

يتابع محدثي: عندما عدت، استدعيت ذلك الرجل، تكلمت معه وجهاً لوجه، واعترف هو بكل شيء. بالمناسبة، كان هو الملحد الوحيد في ورشتي. الأصح، غير المؤمن.

- نعم - أنا وافقت - السرقة أصعب على المؤمنين بكثير.

- بالمناسبة، قالت لي المتبئة: «على أي حال سيسرقون نقودك، لكن لا تعد إلي بهذه المشكلات ثانية. السبب كله فيك أنت». أنا سامحت هذا الإنسان وتركته في ورشتي. مر نصف عام، وسرق ثانية. كان المبلغ المسروق غير كبير، لكن السرقة كانت واضحة. فاستدعيت، وتحدثنا ثانية، سألته: «لقد أعذرتك، وثقت بك، أعطيتك فرصة لتصطليح. لماذا إذاً خدعتني». بالمناسبة، عندما حدثت السرقة، لم أستطع مجرد التفكير به، إنه ذكي جداً، إنسان روحاني حقيقة، غير مؤمن. أما المرأة فقالت مباشرة إنه السارق كأقوى احتمال. وهل تعرف ماذا أجابني؟ «أنا أفهم أنه لا وجوب للسرقة، وأنها كالقنبلة التي تضعها تحتك، لكنني أحس أنني لا أستطيع الامتناع»!.

أنا سامحته على الطريقة المسيحية، أما هو فخدعني ثانية. والآن لا أعرف ماذا أفعل.

هزرت أنا كتفي. تابع:

- بالتأكيد، يجب صرفه من العمل.

- إن الحب لا يستبعد الحزم والعقوبة. ألم تفكر في أنه سرق لكي يتم

فصله؟



- فكرة ممتعة! استغرق محدثي في التفكير.

- أنت أعطيتة فرصة للتغير في خارجه، وهذا صعب جداً ما لم يكن هنالك تغير داخلي. وعملياً لا يتحقق التغير الداخلي من دون حب الرب. في الحقيقة، إذا انتقصت من رغباتك في حيوة كثيرة، في وظائف حياتية مهمة، إذا حافظت على طيبة النفس في لحظة الألم، الموت والخسارة، فإنه حدسياً يمكن إخراج نقطة الارتكاز إلى خارج مجالات الحياة والرغبات. ويمكن التغير بحيث يمكن ألا تغدو مجرماً. لكن جعل النفس نقية تماماً غير ممكن. لذلك فإن الإنسان غير المؤمن يعالج نفسه ليس بالحب والامتناع، بل بالألم والخسارة. وعندما يشعر مثل هذا الإنسان باقتراب نفسه من الموت، يقوم هو بالجريمة، رغباً في وعيه الباطني أن يكون معاقباً، وهذا الألم يعالج نفسه.

إن المذرة تتطلب تغيرات عميقة. إذا أنت سامحت دون طلب تغيرات، وتركت الجريمة بلا عقاب، فإنك تضر نفس الإنسان، وهو سينتقم منك، سيعاقبك والرب على ذلك. فالأطفال مثلاً كثيراً ما يتقصدون نيل العقوبة، إذ يشاغب الطفل لكي يضربه والده. وهذا الألم على خلفية الحب، يربي ويهذب النفس.

توجهت لمحدثتي:

- أنا أدعو لضرب الأطفال، وعندما يتعلم وإذا تعلم الطفل كيف يحب ويضبط نفسه، فإن الضرب يصبح غير ضروري.

- أنت وضحت فكرة مهمة عندما ضربني والدي في طفولتي، كنت أحس بعد ذلك أن شيئاً مريحاً وجميلاً يحل في نفسي، ذلك عندما كنت أعرف أنهم يضربوني لسبب، مثلاً عندما كنت على وشك حرق المدرسة. أما عندما كنت أشعر أنهم يضربوني ظلماً، فكنت استاء.

ولكن مفهوم العدالة نسبي، وكثيراً ما يكون العدل بالنسبة للإنسان هو ما يلائم رغباته. كانت عند أحد معارفي في طفولته مشكلة جدية، أوشكت أن تؤدي به إلى الموت، فإذا عاكس أحد ما رغباته، كان يأخذ بالصراخ والنحيب حتى يكاد يغيب ويزرق، ثم يتوقف عن التنفس. عندما حدث ذلك مرتين أوشك فيهما على الموت، أخذ الأهل يركضون من طبيب إلى آخر: التنويم المغناطيسي،



الوصفات الطبية، المغاطس... إلخ، كلها أشياء لم تساعد. عند ذلك نصحوهم باللجوء إلى طبيب عجوز وحكيم. اقترح الطبيب وصفة بسيطة: عندما يبدأ يغيب ويزرق مرة أخرى، خذ سوطاً واجلده جيداً من دون غضب، لكن لا ترحمه. وعند تنفيذ الوصفة (جلد الولد)، انتهى كل شيء، ولم يكرر ذلك مرة أخرى. في العالم المعاصر يؤمن الناس بالرب شكلياً، إذ تحول الدين كله إلى تنفيذ طقوس غير مفهومة.

منذ مدة قريبة كنت في أوروبا، ودخلت إلى معبد كاثوليكي. اقتربت من ذلك المكان، حيث تنتصب الشموع. يجب إدخال قطعة نقود، وعند ذلك تشتعل بعض الشمعات الكهربائية لمدة دقيقتين. لقد فقد جوهر الطقوس، وكل ما تبقى: ادفع نقوداً، والرب سيخلع عنك كل الذنوب. فيما تكمن فكرة مراسم إشعال الشمعة التي نضعها نحن أمام الأيقونة؟ كلما كان الإلهي في تمنياتنا أكبر، أي كلما كان الحب أكبر وكلما كانت المنافع أقل، كلما كانت فرص تحقيق أكبر. إذا كنا لا نريد أن نتغير، ومع ذلك نتجه للرب لتقوية حياتنا وتحقيق رغباتنا، فإن هذا يصبح سحراً. وإذا كانت هذه الرغبات تتجه لضرر الآخرين، فإن هذا سحر أسود. لكن عندما تنتصر المنفعة على الحب، فإن هذا مرض مستقبلي. النار هي رمز لخراب الحياة والرغبات. وعندما نضع نحن الشمعة المشتعلة، فإننا في وعينا الباطني نمتنع عن المنفعة، ومن الأسهل بالنسبة لنا التكيف مع الحب كأهم فائدة يمكن أن نحصل عليها من عند الرب. نعم وجوهر الأيقونة يعتبر انتصار للحب الإلهي على الحياة والرغبات. أما ما رأيته في المعبد الكاثوليكي، فإنه يمثل انتصار النقود.

هكذا إذاً، إن الضياع الكبير للحب الإلهي في العالم المعاصر يولد الجريمة. ننظر مشكلة المخدرات التي - من جهة أولى - تكثر عدد الضحايا من الناس الذين لا يستطيعون تجاوز حالة الشدة بسبب قلة الحب في نفوسهم، ومن جهة أخرى، من القتل المزدودين لهم بالمخدرات. لكن محاولة مكافحة المخدرات بالقوة فقط محكومة بالفشل. إذ لا يسحب بهذه الطريقة سوى ١٠٪ من المخدرات في العالم. هذا لا يعني أنه يجب الامتناع عن العقوبة والوقاية من الجريمة، لكن الوقاية



فقط على مستوى الجسد لن تكون أبداً فعالة. يجب أن نبدأ من وقاية النفس. إن المجتمع الدولي في هذه الأيام متمثل بشكل خاص بالبلدان الغربية، مقتنع أن الجريمة هي تأثير فيزيائي مهدد للحياة والصحة وممتلكات الإنسان. إن التشريع الحقوقي المعاصر ينطلق من الحقوق الرومانية. نعم، لقد كانت موضوعة بشكل جيد إلى درجة كافية، لكن على الرغم من هذا وقعت الإمبراطورية الرومانية في الفسق، ومن ثم هلكت، ولم تقم أيّ قوانين بحمايتها من هذا. في ذلك العالم الوثني كان مفهوم حماية وإنقاذ النفس متأخراً جداً عن مفهوم حماية الجسد. لهذا السبب، فإنه في البلدان الغربية، كلما فرض النظام بقسوة أكبر، كلما انزاحت القوة المدمرة عن المستوى الفيزيائي الخارجي، وسعت في الداخل مخربة ومفسدة وعي ونفس الناس، وهذا ما نراه الآن.

اللواط، الانحرافات المختلفة، الأعداد المتزايدة من الأطفال غير الأصحاء نفسياً، العقم عند النساء، كل هذا يمكن أن يكون نتيجة لحماية الجسد المبالغ بها على حساب الوعي والنفس. أما الطب الحديث العامل بكل سبل تقوية الجسد، فإنه يؤهب لهذا الانحلال. لهذا السبب فإنه من غير المجدي حل المشكلة بتشديد عقوبة المجرم أو بتخفيضها وإلغائها. في الدرجة الأولى يجب مساعدة المجرم على التغير؛ والإجراءات الصارمة العادلة هي الخطوة الأولى باتجاه التغير. في البداية يأتي الألم والامتناع، وفيما بعد الحب والتحديد الطوعي. لكن إذا سرقنا أحد، يجب علينا أن نفهم أن سبب ما حدث موجود في الدرجة الأولى في نفسنا نحن، وهذا يعني أن المساعدة الأولى للمجرم تتمثل في قدرتنا على الحب، وفي حبنا للخالق وعنايتنا المستمرة بأنفسنا، وتطويرها في الاتجاه الصحيح.

**هل من الممكن انبعاث الفاشية في روسيا؟**

- أنا أفكر أنه من الأصح لو طرح السؤال على الشكل التالي:

ما الذي يؤهل لنشوء الفاشية في روسيا؟ وفي أيّ ظروف يمكن لها أن تتطور

على نطاق كبير؟

بالمناسبة تساءلت في نفسي اليوم ليلاً، ٢٨ كانون الأول، أأجيب على هذه الرسالة أم لا. وكان من الطرافة أن أرى في الصباح على الأبواب صليباً فاشياً



معقوفاً مرسوماً بشكل استعراضي، كان قد رسمه ليلاً شخص بالجوار. إذاً الجواب واضح: إن انبعاث الفاشية أمر ممكن، وعلى ما يبدو لا توجد مصادقات، فظهور الفاشيين الجدد حليقي الرؤوس هذه الأيام في مدن روسية كثيرة يعتبر مؤشراً كافياً لما يتهدد المجتمع.

لقد أخذ الناس الذين يفكرون بصورة صحيحة، يتوصلون إلى نتائج صحيحة، وتتردد أفكارهم على التلفاز وفي المنشورات. فسبب الفاشية هو ضعف السلطة وعدم تأثيرها، فهي تستهتر بالإجرام العرقي بشكل مباشر أو غير مباشر. وإذا كانت السلطة لا تستطيع حماية الشعب فإنه سيلجأ بالضرورة إلى محاولة حماية نفسه بنفسه. طبيعي أن صيغة الحماية فطرية لدرجة كافية، لكن هذه الفطرية التي قد تم التعبير عنها بغيظ أعمى قد تصبح مع مرور الزمن خطرة جداً. في الأوقات الأخيرة كثيراً ما نشاهد في التلفاز موضوعات تستعرض قيام الفاشيين بقتل الناس الذين ينتمون إلى قوميات غير القومية الروسية، ثم تلي هذا العرض جملة معتادة: أقيمت دعوى جنائية، وينظر في مدة التوقيف. ماذا يعني هذا؟ إنه عجز السلطة. فلكي تتم مكافحة ظاهرة كهذه، لا بد من إعطائها التقويم الصحيح. إن محاولة النظر في حركة الفاشيين الجدد من منطلق جنائي فقط يعتبر تقويماً ناقصاً وغير صحيح لهذه الظاهرة. لقد عاملت روسيا القيصرية الإرهابيين وأعضاء حزب حرية الشعب من وجهة نظر جنائية فقط، وواجهتهم بكل ما لدى الجهاز الحكومي من قوة وبأس، وكان التفوق في هذا المجال لصالحها بشكل غير قابل للجدال، مما هدأ من روع السلطة، لكن هذه الحركة كانت سياسية. وفي هذا المجال كان تفوق البلشفيك غير مشكوك فيه، ولم يكن باستطاعة النظام القيصري المحافظ والمتحجر أن يقف في وجه البلشفيك. لذلك انهارت القيصرية.

إن المجرم يعمل من أجل أهدافه الخاصة، أما السياسي فمن أجل أهداف مجموعة كبيرة من الناس، وهنا موضوع قوته. يجب على السياسي أن يستعرض برنامجاً ويستجمع طاقة الشعب ويوجهها باتجاه أهداف محددة، وصولاً إلى استلام مقاليد الحكم لتحقيق أفكاره على أرض الواقع، وكلما كان استياء الشعب



كله، أو مجموعة منه من حالة ما، أكبر، كلما ظهرت ونشطت الأحزاب السياسية أكثر.

في بداية القرن خسرت ألمانيا الحرب العالمية. إن أيّ شدة وخسارة تؤدي إلى اندفاع قدرة هائلة. والسؤال يكمن في أنه كيف يجب أن تستخدم هذه القدرة؟ وإلى أين توجيهها. إن أكثر الأساليب نظرية، وفي الوقت نفسه أكثرها تأثيراً هو إيجاد المذنبين، وصب جام الغضب عليهم. وفي كثير من الأحيان لكي لا تترك السلطة نفسها فريسة لغضب الشعب، تحاول أن توجه عدائته في مجرى آخر. وكلما كانت السلطة أضعف وأقل نجاحاً، كلما نشطت أكثر عملية البحث عن مذنبين في المجتمع. إن أي استياء، أو اهتياج للشعب هو إعداد لمحاولة تغيير الحالة ذاتياً، لا سيما إذا كانت السلطة نفسها لا تحسن التصرف فيها، ولا تستطيع أن تجد مخرجاً واقعياً، وهذا يدعى تشكيل العلاقة العكسية. مرة أخرى أكرر: إن الاقتصاد والسياسة هما علم نفس فقط. إن أي كائن حي لا يبقى من دون آلية علاقة عكسية.

والعلاقة العكسية هي ردة فعل الجسم على الوسط المحيط. ولكي يتم التوجه، يجب نمذجة الحالة وتقييمها. وكلما كان نموذج الوسط المحيط أضعف، كلما كانت ردة الفعل فطرية أكثر. يجب على الإنسان أن يواجه الحالة (المرضية) المؤلمة (للمجتمع) بتصرف ما، وإذ لم يكن لديه أي برنامج، أي سلسلة تأثيرات تؤدي إلى نتيجة، فإن العدائية تبحث عن مخرج، منسكبة على المحيط القريب أو على الذات.

كيف استحوذ البلشفيك على طاقة الشعب؟ لقد عثروا على المذنبين الذين أصبحوا أغنياء على حسابهم، فكان متوجباً على طائفة الفقراء الكثيرة العدد التي يمثلونها أن تنتصر على الأغنياء الذين يشكلون قلة عددية.

إن أيّ دولة عبارة عن اتحاد بين بطون أو عشائر. وبقدر ما تكون الدولة مؤهلة للدفاع عن أي مواطن من مواطنيها وأن تهتم به، بقدر ما تضعف الحاجة إلى التفكير العشائري. إن المثل العليا عند الشيوعيين كانت تتمثل في إلغاء الدولة كجهاز إجبار. في الجوهر، كان هذا رجوعاً إلى النفسية العشائرية. إن مفهوم



«الزعيم» خاص فقط بالقبيلة أو العشيرة. لقد عاد الشيوعيون عن الدين الواحد، عن فكرة الإله الواحد، إلى الوثنية؛ أصبحوا يخضعون لـ كارل ماركس، للحزب الشيوعي، للينين الذي دفنوه وفق طقوس وثنية.

ترافقت هذه التبعية الوثنية للزعماء الحزبيين بسحق الديانات التقليدية. سعت الوثنية العنيفة بالدرجة الأولى إلى سحق ممثلي الديانات الأخرى. لقد قتلوا ليس فقط الكهنة الأرثوذكس، بل كذلك تم تدمير المسلمين والكاثوليك بالحجم نفسه.

عملياً، بتحطيم ذوي الآراء المغايرة، فإن الاتحاد السوفييتي أصبح ينظر إلى نفسه كقبيلة ضخمة قادرة على أن تخضع لنفسها، وأن تخنق وتدمر الآخرين. استخدم الفاشيون فكرة تقوية القبيلة الخاصة على الناس الآخرين، وهكذا نشأت الاشتراكية القومية. ما هي الاستنتاجات؟

لا شك في أن الوعي العشائري في العصر الحديث الاقتصادي، السياسي، أو الديني، سيسير بالبشرية إلى الهلاك. وجوهر الوعي العشائري ليس في التوحيد، بل في الضغط وتدمير الجماعة الأخرى من العشيرة المخالفة. وإذا كانت الدولة لا تستطيع أن تقدم أفكاراً وسياسة فعالة، وعناية (اهتماماً)، وأن تدافع عن كل شخص، فإن هذه الدولة في البداية تتحل إلى عشائر، وفيما بعد إلى بلدان منفصلة، أو إن عشيرة واحدة أو قومية واحدة تسحق أو تهين لانقراض أو اختفاء الجماعات الأخرى.

عندما انهارت الدولة الروسية، اصطدم الشيوعيون بتلك الفوضى التي لم يستطيعوا حتى مجرد توقعها، فلقد اختفى وعي الشعب وتوجب استيعاب كل شيء من جديد. وكانت الفكرة والبرنامج الموحد للجميع أساسية. كان تصور حماية الشعب السوفييتي من الأعداء الخارجيين، على الرغم من كونه تصوراً ناقصاً، يعكس اهتماماً بمواطنيه. فكانت توجد دور حضانة ورياض أطفال، وتعليم مجاني، وطب مجاني، لذا تمكنت الدولة من البقاء والتوحد. لكن السياسة الاقتصادية الجديدة قضت على فكرة الوحدة، واختفت الأهداف المشتركة، وأصبح كل واحد يعتمد فقط على نفسه، وبدأ تشكيل فعال للعشائر الاقتصادية والسياسية، ونشأ خطر انحلال الدولة.



في عام ١٩٢٩ تم إيقاف هذه العملية. ماذا حدث بعد هذا؟ نحن نعرف. أن الأفكار الشيوعية لم تدعم بالمصادقية، وأن الإيمان بمستقبل مضيء بدا يضعف، وكان توحيد العشائر المتخاصمة، التي أصبحت تتكاثر بسرعة لا تصدق، ممكناً فقط في ظل الخطر المهدد للجميع، والنظام الحديدي الساحق لزعماء أيّ جماعة. لقد أوجد الاتحاد السوفييتي، دائماً، طوال مدة وجوده، أعداءً جدداً، وتوحد داخلياً للصراع معهم، وعندما بدأ غورباتشوف بالاتصال بريغن، وشاهد الجميع أنه في واقع الحال لا وجود لأعداء خارجيين، فإن النزعة لانحلال المجتمع على خلفية غياب أهداف مشتركة قويت. لقد حاول غورباتشوف إنقاذ الموقف بالتواصل مع كل جماعة مستقلة حتى عام ٢٠٠٠. وكان إدخال القانون المضاد للمشروبات الكحولية، وقانون الإصلاح المدمر، محاولة للتوحيد الروحي للبلاد، لكن هذا لم يعط شيئاً، إذ إن السلطة أخفقت ولم تستطع الاعتناء بمواطنيها، ولم تتمكن من حماية تطلعاتهم.

لقد كان الألمان مصعوقين عندما وافق غورباتشوف على إخراج القوات من ألمانيا الشرقية، دون أن يطلب شيئاً مقابل ذلك، على الرغم من أنه كان يستطيع أن يحصل على عشرات ملايين الدولارات لقاء انسحابه، وأن يستخدمها لتطوير بلاده والاهتمام بالمواطنين. علاوة على ذلك فإن القوة العسكرية الهائلة للاتحاد السوفييتي قد تعرضت للنهب والسرقة.

لقد شكل رئيس الدولة مافيا بإقراره قانون منع المشروبات الكحولية، على الرغم من أنه كان يعرف أن مافيا كهذه قد وجدت في أمريكا في بداية الثلاثينيات. لقد قوى رئيس الدولة بمتاجرته بثروات البلاد الهائلة مجموعات المافيا والعشائر الإجرامية. السبب بسيط: إنه لم يعرف ماذا يفعل، لم تكن عنده أهداف، ولا مهمات ولا برنامج محدد. تهالكت الدولة، ولإنقاذها كان لا بد من إصلاحات لم يعرف كيف يجب أن يكون جوهرها، لذا بقي مخرج واحد: أن يقلد الغرب. لكن الظروف السوفييتية لم تنتج آلية للعلاقة العكسية. إن القدرة على التفاعل (الاستجابة) لم تكن مسلوبة فقط من عند الشعب، فلقد فقد القادة السياسيون السوفييت القدرة على إجراء تقويم واقعي للحالة، وفقدوا المقدرة على التفاعل معها على نحو مماثل.



أذكر كيف حدثني في بداية الثمانينيات أحد الاقتصاديين: «أخيراً منذ مدة قريبة، قررت قيادة المكتب السياسي أن تهتم بما يحدث للبلاد. أجروا لنا استجواباً بخصوص حالة الاقتصاد. لكننا لم نفهم أنه هناك يجلس مسنون قلوبهم ضعيفة، لذلك قمنا، حسبما استطعنا، بتجميل الحالة، وأرسلنا لهم التقرير. هم صمتوا ثلاثة أيام، وبعد ذلك اتصلوا بنا وسألونا: «أمن المعقول أن تكون في البلاد هذه الحالة الكارثية؟»

بقي أن نطرح سؤالاً: لماذا فقدت قيادة البلاد المقدرة على القيادة؟ لماذا فهمت أيّ حالة بشكل مشوه ووحيد الجانب؟ الجواب بسيط: إن آلية التقويم الصحيح للحالة متعددة المنهجيات يجب أن تكون دينية فلسفية سياسية اقتصادية. لقد كانت المستويات الثلاث العليا لتقدير الحالة مقطوعة مهمشة في العقيدة الشيوعية، وهذا يعني أن تقدير الموقف بشكل دقيق وصحيح كان مستحيلاً من حيث المبدأ. لقد أخذ الشلل في الفهم والقيادة يتطور مع مرور الزمن لدى قادة البلاد. وبإعادة إصلاح الدولة، قام القائد نفسه بالقضاء عليها.

ماذا امتلك خلفه الديمقراطي؟ هل كانت لديه أهداف، مهمات وبرامج؟ نعم كانت، لكنها لم تكن توحيد الشعب، ولا الاهتمام به، ولا حمايته. كان الهدف واحداً: إسقاط النظام السابق، الاستيلاء على الحكم. ولقد أودى حل مسائل البقاء والتطور الرئيسة إلى وصفة (صيغة) واحدة: تقليد الغرب واقتباس الأساليب الاقتصادية والسياسية، فانقسمت عند ذلك البلاد إلى عشائر. نظر الشيوعي السابق ثانية إلى لامركزية السلطة على أنها منفعة. نعم، لقد أخذ الاقتصاد في ظل المدخل الخاص الشعائري يتنفس، أما السياسة والأيدولوجيا فأخذا بالتداعي (والهلاك)، وانهارت البلاد على مرأى الأعين.

لكن الدولة لم تستطع أن تعود إلى النظام العسكري الشيوعي. ولم يعد الشعب يؤمن بالشيوعية، ولم يعد بالإمكان فرض النظام القاسي الموحد للمجتمع، وتنامت النزعة لتقويض الجيش والشرطة ومكاتب إدارة الأمن، وعاد الكل إلى دورات (حلقات) التطور البدائية، حيث أخذت قبائل منفردة وتجمعات وعشائر تحتل مساحات ومناطق التأثير الاقتصادي. ومن الطبيعي أن تتجمع أقوى العشائر حول



السلطة الرسمية المدعومة من بقايا الهياكل الحكومية وأن تبدو عشيرة الرئيس هي الأقوى. لكن ثمة مشكلة مزعجة نشأت هنا ، فلقد بدا أنه من المستحيل تقريباً على خلفية الحريات الديمقراطية السخية الموعودة ، وفي ظل غياب الأهداف الموحدة للشعب ، والبنى الحكومية المنهارة ، أن يتم الحفاظ على الدولة ، والإمساك بالنظام ، فاستخف الجميع بالرئيس وديمقراطيته.

في بداية التسعينيات ، عندما استحوذ الديمقراطيون على السلطة ووعدوا الجميع بالحرية ، بدأ تدمير وخنق منظم ومخطط للروس في جمهوريات كثيرة. لقد غابت ببساطة آلية الحماية الفلسفية والسياسية والحكومية لمجموعات كبيرة من الناس من الدمار. لقد اهتم الديمقراطيون بتفكيرهم الوثني بالاقتصاد فقط ، وبثرائهم الشخصي. ولم تتأثر الديمقراطية الغربية بقتل وتصفية الشعب الروسي عرقياً. لقد صدحت بفعالية جملة «حماية الديمقراطية» فقط من أجل إضعاف الحكم الذي حاول إحلال النظام في البلاد. إن الإنسان الذي لا يحمل في صدره إيماناً بالله ، والذي تغيب عنده الأهداف السامية ، ويفتقر للوعي الجماعي ، يغدو جباناً ولئيماً. ولقد أظهرت الأحداث اللاحقة في الشيشان هذه الصفات وتحديداً عند الساسة الروس.

إن الطرف الذي سيكون النصر حليفه من بين كل العشائر المتنازعة ، هو ذلك الطرف الأقوى وحدةً ، ويمهد لهذا النصر الدين الواحد والقومية والعيش الإقليمي المشترك والوعي العشائري الذاتي المتطور. وقد توفرت كل هذه المقومات عند ممثلي الشعوب القوقازية. لقد أدى ضعف الدولة إلى انفصال الجمهوريات السوفييتية السابقة ، وكان من المفترض أن تضعف الدولة سيؤدي حكماً وبشكل مباشر إلى انحلال وسقوط روسيا نفسها ، وكان من الطبيعي أن يتوجب على المناطق الغنية أن تتفصل أولاً ، فقد يرفع هذا من قدرتها على الدفاع عن نفسها ويزيد من فرصة بقائها. فالشيشان تنعم بالنفط ، وهو أفضل نفط في العالم من حيث النوعية ، وذو مردود مضاعف. من المذنب في أن السلطة ضعيفة ، وفي أن القوميين القوقازي ظهرُوا على أنهم الأقوى من بين كل العشائر الأخرى؟ مرة أخرى أريد أن أكرر: إنني تماماً هاوٍ سطحي في السياسة ، وأنا أحاول ببساطة أن أنظر في



الأمور من وجهة نظر علم النفس ، وأبني رأيي على ما كنت قرأت في الصحف وشاهدت في التلفاز ، وأحاول الإدلاء بفهمي لما يحدث.

إن تجاوز حدود الشيشان على منطقة إقليم ستافروبل والاعتداء على السكان الروس ليس هو السبب الذي استدعى بداية حرب الشيشان ، بل السبب هو انحلال وتداعي البلاد ، فقد قررت الشيشان التي ليس لها حدود خارجية محددة أن تتفصل عن الدولة المنحلة والآيلة للسقوط. لكنني أفكر في وجود سبب آخر ، فلقد هددت العشائر الشيشانية حياة عشيرة الرئيس ، وبقي عليهم أن يقضوا على الرئيس ، وينصبّوا بدلاً عنه ممثل عشيرتهم ، لكن لم يكن لدى السلطة نموذجاً سياسياً يسمح بالصراع مع العشائر المعتدية ، وكان من الممكن (لخدمة الأمن الخاص) أن يكون أداة فعالة في هذه الحالة ، لكن الرئيس نفسه كان قد قضى عليها. إنه على خلاف رجل التحري ، فالشرطي يرى نصب عينية دائماً أسرته وأطفاله ، لذلك فإن الشرطة لم تفلح ولن تفلح في محاربة الجريمة بشكل حقيقي. ومحاولة تحويل كل الجرائم إلى قضايا جنائية محاولة محكومة بالفشل؛ والأموال التي تصرف على الشرطة قليلة جداً؛ والقوام العدي لأجهزة حفظ القانون في حده الأدنى إذا بقيت وسيلة وحيدة لإنقاذ البلاد: الجيش ، المنهار تقريباً بسبب السرقات التي تعرض لها بسبب فقدان الروح الأخلاقية ، وباستخدام الجيش خسرت جميع العشائر الرسمية وغير الرسمية.

الآن لنتحول بعض الشيء عن الموضوع مرة أنا استرحت في الكريم وتحدثت مع أحد معارفي.

- لدى صديق لي عنده مشكلات صحية. أيمن مساعده؟

- وماذا يعمل هو؟

- رجل أعمال ، ولديه أكشاك. سابقاً كان لديه ٢-٣ أكشاك وبائعين. لقد

أسس كل شيء بنفسه ، حتى أصبح عنده الآن خمسين كشكاً ، وهو يعمل بالنظام نفسه ، لكن ترتبت عليه حمولات عنيفة وهو لا يستطيع تغيير الموقف.

- هكذا لا يستطيع أحد أن يساعده! كيف يمكن للأطباء أو للعرافين أن

يساعدوه إذا كان يقتل نفسه بوضعها في حالة مستمرة من الإجهاد الزائد. إنها



لحالة مميتة! لإنقاذ هذا «المخبول» المالك، يبدأ الجسم نفسه بتشكيل أمراض ويقاوم شفاءها. وإذا لم يقم هذا المالك بتغيير مسار سلوكه، فإن جسمه سيخترع ذلك المرض الذي سيعطله عن العمل. والمرض غير القابل للشفاء سيكون إنقاذاً لحياته.

- حسناً، من المستحيل علاجه. وماذا عليه أن يفعل؟

- تغيير تصوراتها.

- كيف يمكن فهم هذا؟

- التصور هو نمط التفكير، تقدير الحياة المحيطة وردة الفعل عليها. إن رجل الأعمال الصغير يعيش في إطار تصور واحد، ويجب أن يكون لدى رجل الأعمال الكبير تصور آخر. إن هذا مشابه لمبدأ عمل علبة السرعة في السيارة. الانتقال من المكان يستوجب استخدام السرعة الأولى فقط. لكن إذا أردنا أن نزيد السرعة، يجب أن نتحول إلى سرعة أعلى. ينطبق الشيء نفسه على الأعمال: إن المقدرة على التحول إلى سرعة أعلى هي المقدرة على الحفاظ على الصحة والبقاء. إن تفكير رجل الأعمال الكبير ليس كتفكير العامل البسيط، بل علم نفس وسياسة. فيجب أن يجد لنفسه نائباً فهِماً وأن يقوده بذكاء. لذلك فإن رجل الأعمال إذا كان يريد أن يتطور اقتصادياً، عليه أن يتطور روحياً، أو أن يكون قد امتلك هذا الرصيد الروحي سابقاً.

الأموال الصغيرة هي نقود، الأموال الكبيرة هي اقتصاد، الأموال الكبيرة جداً هي سياسة.

في التسعينيات حاول كل قاطع طريق ذكي أن يصبح رجل أعمال، وكل رجل أعمال سعى للسياسة، وكان على كل سياسي بعيد النظر أن يتعرف على علم النفس والفلسفة. وفي كل الأزمنة فهِم أفضل الفلاسفة أنه لا يمكن فهم العالم فقط في أطر المنطق البشري والاحتياجات البشرية، لذلك انشدوا للتصوف الديني. وكانت العملية العكسية موجودة دائماً: فلقد أوجد الدين الفلسفة، وقام الفلاسفة بتربية السياسيين، واختار الساسة رجال أعمال مأمولين، وقام رجل الأعمال الكبير بتعليم الصغار كيفية العمل. إن هذا التطور يفترض تدفق قدرة أحدهما في مواجهة الآخر.



لنعد الآن إلى الحالة السياسية الراهنة. تطور العلاقة العكسية عند أي كائن حي هو حساسيته التي تحتل حجماً كبيراً من الزمن والفراغ. كلما تصورنا على نحو أفضل وأكبر الخطر المحيط بنا، كلما كانت فرصنا في التحكم به والسيطرة عليه، وبالتالي في البقاء، أكبر. تخيل أنك علقت بالوعاء الموضوع على الرف، ووقع الوعاء وسقط على قدمك. إذا كنا نتوجه فقط على مستوى الجسم، فإننا نأخذ بالسباب، ونرمي الوعاء برجلنا، أي إن الانعكاس الفطري هو إزالة منبع الألم. المستوى الأرفع للعلاقة العكسية يعني ردة الفعل التالية: يرفع الوعاء عن الأرض من دون ضربه بغضب، ويوضع بحيث لا يقع ثانية. ويوجد مستوى أعلى لردة الفعل: نقل الرف إلى مكان آخر أو شراء خزانة جديدة، بحيث يكون الأذى عن طريقها مستبعداً. أي إن مستوى الحماية العالي يتطلب مستوى إدارة عالٍ في التسعينيات أصبح الناس الذين يحملون شهادات في الرياضيات أو الفيزياء صيارفة، أي إن القدرة على التفكير التجريدي، والرصيد الروحي العالي وسّعت من إمكانيات الإدارة المالية، والاقتصادية والسياسية.

أتذكر حديثاً شيقاً مع أحد الكوادر الإحصائية، حيث نشأت مشكلات في أحد المصارف، وأرسلوا إلي بإحصائي لأخذ استشارة. كانت الحالة حرجة، وقد تصل إلى التوقف عن العمل، وتوقيف عدد من الموظفين. أنا شرحت لهم فيما يكمن الأمر: يجري صراع سياسي؛ تحتاج الأحزاب إلى أموال. سابقاً حصل البلشفيك على المال عن طريق سرقة المصارف. لم ينقرض مبدأ دعم الأحزاب هذا. عليكم إعطاء الأموال. حملوا المسؤولية لشخص واحد، ولنفرض أنه رحل عن المدينة لمدة عام، سيأخذ الأموال، وستهمل القضية. سيعود فيما بعد وسيتابع عمله. لكن كانت لدى هؤلاء الصيارفة صعوبات واضحة في التفكير التحليلي، هم لم يفهموا ما الذي اقترحته عليهم. إذاً كيف انتهت القضية؟ صادروا أموالاً، وأوقفوا عدداً من الأبرياء. إن المقدرة على التفكير التجريدي والرؤية البعيدة ضرورية لرجل الأعمال الكبير ولا سيما السياسي.



ما الذي نراه على الساحة السياسية الراهنة في روسيا؟

في اللحظة الحالية لا يوجد حزب سياسي واحد ببرنامج عقلاني، كبير أو صغير. إن التفكير الاستراتيجي المثمر، كان على مر الأزمان عن طريق التربية الدينية والفلسفية. وليس مصادفة أن يكون أرسطو مرشداً ومعلماً للإسكندر المقدوني. فإذا نشأت لدينا حالة مرضية، فإننا لكي نبقى ونتكيف، علينا أن نستجيب ليس فقط على مستوى الجسم، بل على مستوى الروح والنفوس، وعلى مستوى البنَى (العناصر) الخارجة عن حدود حياتنا ورغباتنا، وعند ذلك نستطيع النفوذ برؤيتنا إلى الفكرة العميقة للموقف، ونستطيع أن نستجيب ليس للنتيجة، بل للأسباب، وبالتالي أن نؤثر فيها.

لقد تم إسكات الزعماء الدينيين والفلاسفة والسياسيين في روسيا، والقضاء عليهم على مدى عشرات السنين. وثمة غياب للتفكير الاستراتيجي في الوقت الحاضر. يستكشف السياسيون ما هو سيئ في بعضهم البعض، وينبشون الأوساخ إلى السطح، لكنهم لا يستطيعون الإجابة عن سؤال أساسي: كيف تضمن وحدة الدولة؟ فالوحدة ليست فقط اقتصادية وسياسية، لكنها في الدرجة الأولى روحية. ما هي القيم التي يجب التوحد حولها؟ ما هي القيم التي يجب حمايتها؟ في أي شيء يجب الاهتمام بالدرجة الأولى؟ حتى في ظل الغياب الكامل للإدراك الذهني المتراكم على أساس التقبل الديني الفلسفي للعالم، فإن البلاد تخرج ببطء من الحالة الكارثية، لكن العفوية لا تعطي أي ضمانات للمستقبل. فأي إنجازات في الاقتصاد والسياسة والثقافة يمكن أن تكون مشطوبة في فترة قصيرة، إذا لم تتعلم السلطة أن تفكر، أي أن تستجيب في الوقت المناسب. إن حركة الفاشيين الجدد هي واحدة من أشكال عدم الرضا غير المعلن عن الحالة التي تنمو باستمرار. وإذا كانت هذه الطاقة تتزايد، والسلطة غير جاهزة لحل هذه المشكلة بالأساليب السياسية، فإن الحالة يمكن أن تخرج عن نطاق السيطرة.

لنأخذ الحالة الراهنة: الآن في التلفاز والصحافة تناقش الخصخصة التي اعتمدت على النهب في التسعينيات. فالملكية الحكومية هي ملكية عامة، وإذا سرقها أحد ما، فإنه يكون قد سرقها من الشعب، فهذه إذاً قضية



جنائية. والشعب يفهم أنهم سرقوه، فيتنامى الهيجان غير المعلن، وتنشأ مشكلة عصية على الحل. فإذا لم تتم إعادة النظر في نتائج الخصخصة، فإن الشعب المخدوع سيراكم طاقة الكراهية، ويصبها في أكثر الصيغ تدميراً. وإذا تمت محاولة إعادة النظر في الخصخصة، فإنه في الدرجة الأولى سيتضرر أولئك الذين أهلوا للنهب وما زالوا حتى الآن في الحكم، كما أشارت إحدى الصحف. وعند عدم القدرة على التفكير، فإن الحالة لا مخرج منها. لكن يوجد عندنا أناس يستطيعون التفكير. وقد تم اقتراح احتمالات ممكنة:

- ١- في ذلك الوقت سرق الجميع، لذلك لا يحاكم الموظفون، لا تثار قضايا جنائية، بل تعاد المشاريع المشتراة بأثمان بخسة إلى الحكومة.
- ٢- يترك للطغمة المالية كل ما نهبته، لكن تلزم بدفع القيمة الحقيقية للثروات التي أخذتها، وتجدول هذه الأموال كقرض لمدة عدة أعوام.
- ٣- يستطيع الشيوعيون الارتداد عن ماضيهم الدامي، ذلك بإعداد الصحافة المستقلة، والاعتراف بالإيمان بالرب، وبالحق في الملكية الخاصة، أن يجعلوا الثروات الرئيسة حكومية. ويصب الغليان (الهيجان) الشعبي في تصويت عام للشيوعيين. أو ببساطة إن الشبيبة مقوية مزاج الأهل المخدوعين، تبدأ بقتل وتدمير كل شيء حولها، كما يفعل البلشفيك القوميون أو الفاشيون الجدد الشباب.

إن فشل السلطة في توحيد البلاد على جميع المستويات، وعدم الرغبة بالاهتمام بمواطنيها، وبلاستجابة في الوقت المناسب فلسفياً وسياسياً للأحداث، يمكن أن تؤدي إلى انفجار النزعات الفاشية. لكن هذا عبارة عن بداية فقط. إن رقعة روسيا هي حقل للأحداث العالمية المقبلة. وإذا لم توجد البشرية قوة في ذاتها للوحدة في أهداف مشتركة، فإن الوعي القبلي المتصاعد سيدمر العالم الهش ويقضي على الحضارة. لكن هذه مشكلة الغد المقبل، أما اليوم فيجب على روسيا أن تتعلم التفكير، وتتوحد في الروح والقيمة لإنقاذ نفسها والبشرية عموماً.



يقول البعض إن كل شيء محدد ومكتوب وفق الإرادة الإلهية. يقول آخرون إنه يمكن تغيير كل شيء، وإن التأثير ممكن حتى في المستقبل، ويقول غيرهم إن عالمنا شبيه بلعبة في حاسوب ما، لكنها معقدة جداً. أيمن لك أن توضح لنا قليلاً ماذا يحدث لنا وحوالنا؟.

إذا وضعت صرصوراً في غرفة فارغة، فإنه من الصعب توقع حركته، وإذا كانت الغرفة لا تحتوي ثقوباً، فإنه من المؤكد أن حركته ستكون محددة بفراغ الغرفة. أما إذا وضعت هناك صحناً فيه ماء، فإن حركات الصرصور تصبح متوقعة، فالعطش سيقوده إلى الصحن. إن القول بأن الناس يقادون، يعني أن التوجيه يأتي من الخارج، أي أن قوة تمارس عليهم، والرغبات البشرية معقدة. لكن التوجيه يمكن أن يكون من الداخل أيضاً، عن طريق الرغبات نفسها. وإذا عرفنا جوهر رغبات الإنسان، فإنه يمكن توقع سلوكه والابتداء بالتحكم به. «ابحث الفائدة لمن»: هذه إحدى الأساليب الأساسية لافتتاح المشاريع، لذلك فإنه عندما يقول البعض اليوم إنه ليس لديهم حرية إرادة واقعياً، ويقول آخرون إنهم يفعلون ما يريدون، فإن هؤلاء وأولئك على حق. فالحقيقة لكل حالة تبدو بشكل خاص. في المنهج السطحي، نستطيع أن نتكلم عن المصادفات، وعن حرية الإرادة. أما في المنهج الدقيق فكل الأحداث قد حدثت. وكلما كانت المنهجيات أدق، أي كلما كانت أقرب للسبب الأول، كلما حدثت أكثر عن أحداث المستقبل. وفي النقطة المقاربة للسبب الأول، فإن كل الكون قد أنهى دورته وعاد رجوعاً. في المنهج الخارجي السطحي يوجد مفهوم المصادفة، حرية الإرادة. وهذا يعني أن النزاع ممكن بين الرغبات البشرية والإرادة الإلهية. يظهر هذا النزاع على الشكل التالي: يوجهنا الرب عن طريق الحب، فإذا كنا نسير وراء هذا الشعور دون أن نسيطر عليه، ودون أن نكبحه أو نمتنع عنه، فإنه عند ذلك ليس فقط وعينا الباطني، بل إدراكنا وإرادتنا يقتربان من الإلهي ويفهمان قوانين الكون. في الحب الإلهي توجد كل المعلومات عن الكون وقوانينه.

إن رغباتنا السطحية مرتبطة بجسمنا ومكان إقامتنا، فهي تتعلق بالوسط، وعندما تجعلها مطلقة، فإننا نصف القسم الوضيع والطفيف بأكثر من الكامل،



وبقدر ما تكون عواطفنا في المنهج الدقيق مرتبطة بالفراغ والزمن، وتنتشر على الكون كله، فإن انغلاقها في العواطف السطحية يخترق (يخالف) مبدأ وحدة الكون. تبدأ بالعمل آلية الحماية والتصحيح. وسيمرض عندنا من هو مرتبط باختراق خاص.

لما كنا نحن نتوجه بالنفس أولاً، ثم بالإدراك، فيما بعد بالجسد، فإن النفس الفاقدة الحب تمرض أولاً، وهذا أخطر شيء، لكن لا تتم ملاحظته تقريباً. ثم يمرض العقل والجسم، إذ تظهر معاناة الجسد والنفس، لذا فإنه في المنهج الدقيق يبدو الإنسان العاجز والذي ينعم بالصحة مختلفين تماماً. لماذا عندما يموت الإنسان، تمر حياته كلها أمام عينيه؟ لماذا دائماً يصبح الذين يموتون أطيب؟ لماذا تتفتح قدرات خارقة بعد الموت السريري عند بعض الناس؟ لأن الموت يقفل الطبقات السطحية للإدراك والعواطف؛ «الأنا» الداخلية للإنسان تتزاح إلى المنهجيات الدقيقة، حيث الزمن مضغوط، وحيث يمكن في ثانية واحدة رؤية ما نراه في الحياة العادية في سنوات. فالجسم المقوي لأنانيتنا، ولؤمنا، وحسدنا، ومصيبتنا يخرج إلى المنهج الثاني، ويصبح الشعور بالحب أسهل علينا. لماذا يعترف الإنسان ويودع الجميع قبل الموت؟ لماذا من الصعب على الإنسان الذي يموت، ولديه استياء أن ينفذ في المنهجيات الدقيقة؟ إن نفسه المرتبطة بالحياة الفيزيائية بواسطة الاستياءات والكآبة، قد لا يُسمح لها بالدخول إلى المنهجيات الدقيقة.

لقد نظرت فيما يحدث للنفس بعد الموت: في البداية هي تقع في عالم ما بعد الموت، حيث تعبر عملية تحضيرية، وهذا يحدث في الأيام الأربعين الأولى بعد الموت. أما نفوس المنتحرين والناس الآخرين المرتكبين لجرائم ضد الحب، لا يمكنها أن تقع حتى في عالم ما بعد الموت. فهي لم تعد على الأرض، لكنها أيضاً لا تستطيع الولوج إلى المنهجيات الدقيقة. إذا حبلت امرأة بهذه النفس، فإن ولداً كهذا لا يمكنه أن يولد. عندما تسقط هذه النفس في عالم ما بعد الموت، يحدث فصل لاحق للعواطف المرتبطة بالحياة السابقة. كلما كان الحب في نفس الميت أكبر، والسعي للخالق أكبر، كلما حدثت عملية الانتقال بهدوء وبسرعة أكبر. وفي هذا الوقت يستطيع الإنسان رؤية كل شيء، ويستطيع إدراكه وخياله غير المسوسين



أن يرسم له صوراً مختلفة. فالنفوس في عالم ما بعد الموت ترى مستقبل أقاربها والقريبين منها ، وأحياناً تحاول مساعدتهم وتحذيرهم من الأخطار عن طريق الظهور في الأحلام. وبعد المكوث لوقت ما في عالم ما بعد الموت، فإن الأرواح الطاهرة تنتقل إلى عوالم أخرى. وكلما كان الحب في النفس أكبر وكانت النفس أنقى، كلما كان عدد العوالم التي تعبرها أكبر. وعندما تتجسد هذه الروح مجدداً على الأرض أو على كواكب أخرى، فإنه يولد إنسان موهوب أو عبقرى، مستبصر رفيع المستوى، على الرغم من أنه يمكن ألا يعرف ذلك. عندما شخصت حالات السحرة والمنجمين، رأيت عندهم اتصالاً بعالم ما بعد الموت، أما صلة القديسين فكانت بعوالم أخرى، وبالتالي فإن المعلومات التي يحصلون عليها أنقى، وأكبر مقياساً وأدق. من حيث المبدأ، إن الإنسان مخير في الذهاب خلف الحب أو الامتناع عنه، واختياره هذا تحدده بدرجة كبيرة عواطف أبوية، والعواطف المتشكلة في الحياة الماضية، وكذلك تربيته الحالية، ونمط حياته وسلوكه. وإذا أخذ كل هذا بالحسبان فإن الإنسان لم يعد لديه تقريباً أي خيار، فبيئة حياته الماضية والحالية تحدد عملياً وبشكل تام عواطفه وقراره المتخذ. لكن عن طريق الحب للخالق يستطيع الإنسان أن ينفلت من سيطرة حكم القدر، وعند ذلك تحدث أعجوبة: فالتربية، نمط الحياة الجينات، التي تشكل العواطف والتي أدت إلى الأمراض الثقيلة، التي لم تترك له فرصاً للبقاء كل هذه الأشياء تفقد السطوة عليه، ويتغير داخلياً على نحو غير مفسر، وتذهب الأمراض وتختفي. في أكثر الأحيان يؤدي هذا الانتقال القوي إلى الموت، لكنه بوجود شرارة حب قوية، يؤدي إلى الخلاص والنقاء. وسيصبح ذلك الذي يستطيع أن يحب صحيحاً، وسيسمح له بتحقيق كل رغباته. وبالنسبة لهؤلاء تتاح حرية الإرادة.

**من عامٍ إلى آخر تتكرر عندي الحالة نفسها: لا يوجد رجل - يوجد مال، يوجد رجل - لا يوجد مال. ساعدني من فضلك على الفهم.**

- إن المال تحقيق للرغبات، والعلاقة مع رجل أيضاً تحقيق للرغبات. تستجر الرغبة الطاقة من عندنا، وإذا كان الحب شحيحاً في النفس يتوجب الاختيار. في بداية نشاطي عملت في إرشاد الرياضيين، ولاحظت شيئاً مثيراً للفضول: ما إن ينعم



الرياضي في النجاحات الرياضية، حتى يبدأ لديه تراجع في حياته الخاصة. يمر زمن هو يصلي، يتخلص من استيائه من النساء، تسوَّى حياته الخاصة، لكن تبدأ سلسلة من الإخفاقات الكبيرة في الرياضة. عند ذلك فهمت أن العصبية والتكبر مرتبطين بشكل ما. وإذا كان هناك تشابك وتشبث عميق، فإن المشكلة ستنتقل من العصبية إلى التكبر، وسيلحق الضرر إما بالأسرة أو بالعمل والمصير. بعد ذلك توصلت إلى النتيجة التالية: إن الشيء الذي سميته سابقاً تشبثاً، يمكن أن أسميه بشكل آخر: عدم كفاية الحب والطاقة.

قلت سابقاً للجميع: «يجب الحفاظ على الحب في النفس»، وهذا يعني أنه للحفاظ على الحب يجب ألا يضغط بالكرهية، الاستياءات، المخاوف، الكآبة، الأسف. لقد تم قطع المرحلة الأولى على ما يبدو، والآن أنا أقول: «إذا تعلمت أن تحفظ الحب، فتعلم أن تعطي الحب. فكلما أعطينا حباً أكثر، كلما أقبل الحب أكثر». في هذا النظام يفقد مفهوم التشبث معناه. والذي يتشبث هو الإنسان المرتبط، أما الإنسان المحب بنزاهة (من دون مصلحة) فلا يتعلق بأي شيء.

قلت سابقاً إنَّ التعلق بالرجال يتضاعف مرتين عندما يقبل المال، حيث تنمو العدائية، ويتوجب فقدان شيء ما. والآن أنا أقول: «إن عدم القدرة على الحب يحول الحب إلى تعلق، والتعلق يجبرنا على أن ننسى الرب. يعني يجب ألا يكون التعلق كبيراً». إن مقدرتنا على أن نحب تتطور عن طريق وعينا الديني الذي يساعدنا على الشعور بالحب نحو الخالق، والمحدد الرئيس لتحقيق السعادة هو علاقتنا بالرب؛ فكلما كانت صلواتنا مغرصة، وكلما طلبنا المال والصحة والتوفيق وتحقيق الرغبات، كلما توضع هذا بشكل أقوى في أعماق وعينا وعندما نتعامل مع الناس، يشكل هذا عواطف سطحية، أما عندما نتجه نحو الرب، فإن أعماق وعينا الخفية التي سوف تشكل نفوسنا ونفوس ذريتنا، ستفتح. أي عندما نتجه إلى الرب. نشكل نحن مستقبلنا، وكلما كان حبنا المتجرد عن الأغراض للرب قليلاً، كلما كان الحب والطاقة عند ذريتنا أقل. وينتج أن الصلاة المغرصة تقتل نفوسنا، وتجعل أخلافنا غير سعداء. فإذا كانت الصلاة مغرصة، فيفضل عدمها. البارحة أعطيت استشارة هاتفية لإحدى النساء.



- لدي مشكلة مع ابنتي ، فهي منغلقة على نفسها ، ولا تريد التواصل معي.

- المشكلات الجدية عندك أنت في الدرجة الأولى.

قاطعتني قائلة:

- وهل ستتكلم مع ابنتي؟

- نعم ، سوف أتكلم. لكن أريد أولاً أن نتحدث قليلاً عن مشكلاتك أنت.

قاطعتني ثانية:

- نعم ، نعم ، أنا أسمعك!

- لديك شخصياً حتى الآن تقبل ضعيف جداً للحالات المؤلمة.

قاطعتني من جديد:

- وماذا لدى ابنتي؟

- أسوأ مما لديك.

أثناء حديثنا المقتضب قاطعتني خمس عشرة مرة. فقلت لها:

- اسمعي! أنت تضغطين علي من دون توقف ، ولا تستطيعين لجم رغبتك حتى

الآن. فكيف يمكن لك أن تساعد ابنتك إذا كنت في عبودية تامة لجسدك ورغباتك؟

كان الكلام صعباً عليها ، لكنها حاولت إمساك نفسها. وبدأت أتكلم مع الابنة. كانت روحها متمثلة بعد الرضا.

- في البداية يجب التخلص من عدم الرضا عن النفس والمصير عن طريق

التوبة ، اتجهي إلى الله وتخلصي من الاحتجاج.

- أنا لا أؤمن بالرب ، الأصح أنني آمنت سابقاً عندما قرأت كتبك ، لكن

صلاتي من أجل نفسي لم تعط شيئاً.

- أنت تريد أن تكوني سعيدة؟

- نعم.

- يتوضع في أساس أيّ سعادة شعور الحب. إذا أردت أن تكوني سعيدة ، ألقي

كل شيء يعيقك عن الحب: الاستياء من نفسك ، الاتهام لأمك. لا يوجد حب من



دون ألم. إذا أردت الهرب من الألم ، فأنت تهربين من الحب أيضاً. وفي كل يوم اقنعي نفسك أنه يجب أن تحبي ، تسامحي ، وتهتمي.

- لكني لا أنجح في ذلك.

- أ يوجد لديك شيء آخر؟

صمتت. قلت لها :

- جميعنا مفطورون على هذا الشكل ، فنحن لا نريد أن نعمل لكننا نطلب راتباً. وفي النهاية ، نريد أن نحصل على الراتب أولاً ، ثم نعمل بعد ذلك. لكن الحياة مصممة بطريقة أخرى. نعرف نحن الله عن طريق الحب ، ولكي نتحسس الحب يجب أن نعطي طويلاً وكثيراً ، ودون انتظار مكافآت.

يدعى هذا في الفلسفة الهندية عدم الارتباط بالنتيجة ، فعندما نصلي فقط من أجل أن نصح ، فإننا في أحسن الأحوال لن نحصل على أي نتائج ، لأننا لا نشعر بالحب.

أفكر بدراساتي. لقد بدأتها فقط كعالم ، والعلم أمر استهلاكي تماماً ، فهو موجه لتنفيذ رغباتنا ، لذا فإن العلم من دون دين يخرب الإنسان ، ويجبره بشكل غير ملحوظ على أن يخضع الحب للرغبات. وكثيرون عندما قرأوا كتيبي الأولى ، رأوا فيها الشفاء السريع والسهل اعتماداً على الصلاة التي تسمح بتوفير ثمن الوصفات الطبية.

كلما كنت أمضي متقدماً في دراساتي ، كلما كنت أفهم أكثر مدى خطورة العلاقة الغائبة بالرب. ورأيت كم هو صعب الاتحاد بين العلم والدين. فبشكل غير ملحوظ ، شيئاً فشيئاً تأخذ البداية الإنسانية الاستهلاكية بالتفوق على الإلهية. يبدأ العلم بافتراس الدين ، ولكي لا يحدث هذا ، يجب شن حرب مستمرة ضد الطمع ، وتطهير النفس دائماً ، ومتابعة السير إلى الحب والرب دون توقف. يعطينا حبنا للرب حياة ، وسعادة شعورية ، وصحة ، ومالاً ، وتوفيقاً. لكن عندما نتوجه للرب ، يجب علينا أن ننسى فوائد جسدنا وروحنا ونفسنا. يجب أن نهتم فقط بالحب ، ولكي ندعم هذه النزاهة ، يجب أن نمسك برغبات جسمنا وروحنا ونفسنا لفترة ما. لذلك فإن كثيرين تحولوا إلى ناسكين ، وذهبوا إلى المعابد. وإذا



كان الإنسان لا يستطيع أن يتجه إلى الرب متنزهاً عن المصالح والأغراض، فإنه من الأفضل له أن يتعلم كبح رغباته مبتدئاً من الجسم: يصوم، ويجوع، ولا يأكل حتى التخمة. ثم يكبح مساعي الروح: فلا يعمل فوق طاقته، ولا يشاهد تلفاز، ويخلو لنفسه، ويوقف وعيه، ولا يضجر ولا يدين. ثم يسكن رغبات النفس: فيكبح الولع الجنسي، ويتغلب على الخوف والأسف، ولا يتعجل.

تقول التوراة: «الإيمان من دون العمل عقيم». فإذا كان الإنسان يفرط في الطعام ويهتم ويتهور، وإذا كان يتصرف بلؤم ويضجر ويعصب، فإن صلاته ستكون في مهب الريح. وإذا بدأ يصلي بإخلاص ساعياً للحب والرب، فإنه يمكن أن يمرض ويموت. إن الانقطاع عن الارتباطات التي حمل نفسه بها، يمكن أن يكون ثقيلاً جداً، وقد لا يكون في متناول أي إنسان الوصول إلى تحقيق الصلاة المخلصة النقية. وقد يكون من المحتمل أن يكون هذا هو سبب قول السيد المسيح لتلاميذه إنهم يستطيعون فقط تحسس الحب للرب، فالقيم الروحية يمكن أن تسد طريق الحب على نحو أشد بكثير من القيم المادية. إن إدراك الحب للرب عملية مديدة ومعقدة، وهي تتم وتتطور بصعوبة، ويتطلب اكتساب القدرة على الحب سنوات، وعشرات السنوات، بل الحياة كلها. تكلم يسوع عن ذلك في حكايته عن العذراء والشموع. فيجب الإعداد مسبقاً من أجل اختبار القدرة على الحب. عندما يقبل الحب الإلهي ستكون التوبة متأخرة، إذ يقول الإنسان: «يا ربي، أنا ارتكبت الذنوب، اغفر لي!». كلما نحن تغلبنا على علاقتنا برغبات الجسد والروح والنفس، كلما كانت صلاتنا ومناجاتنا للرب ذات تأثير نافع لنا ولذريتنا.

اليوم ٣٠ كانون الأول. هذا الصباح لم تظهر أي صلبان معقوفة على الأبواب. بشكل عام تشهد هذه الإشارات على عدم توفيق في الدولة. عندما تضعف البلاد روحياً، يبدأ الكثيرون يكرهون بعضهم بعضاً، وبالتالي يبحثون عن أي طريقة لإظهار عدم الرضى. مع قدوم الرئيس الجديد، أخذت أوضاع روسيا تتعدل، ليس اقتصادياً فقط. وكما يبدو فقد مر المأزق الروحي القاسي جداً، وظهرت في روسيا آفاق للبقاء. هل لدى البشرية جمعاء مثل هذه الآفاق؟ يبدو أنه يحدث في العالم الشيء نفسه الذي حدث في روسيا منذ مدة غير بعيدة: أخلاق عشائرية، عقيدة



المال، نزعة لتدمير الثقافة والقيم، وثنية العالم، تحول الدين لدى الأكثرية الساحقة إلى شكلية فارغة وطقوس جميلة نادراً ما يتذكرونها.

انتهى عصر الشيوعية. تنفس الشعب بحرية. انتهى القتل والاعتقالات، لا يوجد موقوفون سياسيون. انتهى خنق حرية الكلمة. بدأت مرحلة أخرى. الشعب مهتم بالاستقرار والنظام. الآن روسيا آخذة بالتطور كبلد غربي عادي. ما السيئ في هذا الأمر؟ وما الخطب في استبدال الثقافة الروسية بالغربية؟ لماذا تحس البلاد نفسها ضعيفة هكذا؟

أيمكن أن يكون فعلياً لروسيا مصيرها الخاص؟ لماذا عندما رضخت روسيا للطريقة الشرقية ازدهرت الحضارة والقيم؟ لماذا عندما حاولت أن تعيش على الطريقة الغربية فقط، أخذت تموت وتتهار على الأعين؟ أعتقد أن البحث عن التوضيح يجب أن يتم في الدرجة الأولى في الفلسفة وعلم النفس.

التطور هو طاقة. الطاقة تعني فرق كمون. منبع الطاقة الرئيس هو الزمن. فرق الكمون الرئيس هو الماضي والحاضر، الأسباب والنتائج. لقد كان تطور كل ما هو حي على الأرض مستحيلاً من دون التأثير المتبادل لتدفقين زمنيين، ومن دون صراع البداية الذكرية والأنثوية. تتمثل البداية الذكرية بالعالم الخفي المتعلق بالمستقبل. تتمثل البداية الأنثوية بالعالم المادي المتعلق بالحاضر والماضي. البداية الذكرية عدائية بالنسبة للجسد، لكنها تهتم بالنفس. أما البداية الأنثوية فتهتم بالجسد وتسلك سلوكاً عدائياً تجاه الروح. تكبح البداية الذكرية تطور الجسد والمادة والحضارة. توجد عند البداية الأنثوية طاقة، لكنها بتحويلها إلى قيم مادية تخرب القيم الروحية. فالحضارة تولد وتتطور كبداية ذكرية، وتزدهر وتموت كأنتوية.

العالم كله مقسوم إلى غرب وشرق، وهما نمطان من التفكير غير قابلين للاتحاد خارجياً: في التفكير الشرقي يتفتح التام الموحد أي البداية الروحية إلى أقسام جزئية مستقلة متحولة إلى مادية، في التفكير الغربي تتشكل البنية الروحية العامة من وحدات مادية محددة. الغرب ديمقراطي، الشرق استبدادي. في الشرق القيادة العليا من الأعلى، في الغرب من الأسفل. في واقع الحال كان الشرق والغرب



دائماً متحدين، وليس هذا لأن الشعوب والثقافات تبادلت التأثير فيما بينها. إن أرواح أولئك الذين عاشوا في الشرق تجسدت في أجساد أولئك الذين عاشوا فيما بعد في الغرب، وبالعكس، لذا فإن الحضارة الغربية امتلكت دائماً رصيذاً روحياً مستتراً، وهو مدعم بالمسيحية. فالحضارة المادية غير ممكنة من دون وجود أساس مادي سابق لها. ولقد سمح التأثير المتبادل لتدفقي القدرة الغربي والشرقي على نصفي هذا الكوكب، بالتطور للبشرية جمعاء. لقد تسرعت عملية الانتقال من شكل إلى آخر في النقاط الحدودية.

لقد تجاوزت الحضارات المتوسطة بقية الحضارات في تطورها: حضارة بابل القديمة، الآشورية، المصرية، الإغريقية القديمة الرومانية، كل هذه كانت أمكنة لتلاقي وتماس التدفقيين.

لقد تم هناك تحول أكثر عنفاً للروحي إلى مادي وبالعكس، إذ اتصل الشرق المتكشف المنصرف عن الجسد، بالغرب المستمتع بالحياة الفاقد للقيم الأخلاقية والروحية ولامست الوصايا الأخلاقية الحياة اليومية، مؤثرة في حالة الدولة بشكل عام. لا يخضع الناس الفرادي فقط للقوانين الإلهية المعروضة على شكل إرشادات أخلاقية، بل كل الشعوب تخضع لها. فهم الأقدمون هذا. فالإنسان الذي لا يحمل قيماً أخلاقيةً يمرض، ويموت. وإذا كان لا يهتم بروحه فإن جسده محكوم بالعذاب. عن هذا الشيء تكلم دائماً صوفيو وفلاسفة الهند القديمة والشرق الأوسط. بالطبع ضروري أن يهتم الإنسان بجسده، لكن إذا لم يهتم بنفسه، فإنه لن ينقذ جسده مهما كان بيته متيناً، ومهما احتوى هذا البيت من طعام. تحمل الأديان السماوية المعرفة التي تقول إنه يجب في الدرجة الأولى على الإنسان أن يعتني بنفسه. لقد تأصل نموذج السلوك هذا في فهم ووعي الناس الداخلي، الشيء الذي أعطى نبضة قوية للتطوير وتحقيق الانسجام. في الألفي عام الأخيرتين مر تطور البشرية بوتائر غير مسبقة، ومر تبادل التدفقيين الزمنيين على الأرض بالسرعة نفسها، لذلك نتج انقطاع خارجي بين الثقافتين الغربية والشرقية، ولم ينجح الغرب الذي أخذ ينمو بشكل جامح في القرون الأخيرة في استلهام روحانية وقيم الشرق، مما هدد البشرية جمعاء. وبإجراء محاكمة عقلية يتبين



تحديداً أن ذلك هو السبب الذي أعطى الدفع الرئيس لظهور الشيوعية، ذلك النظام الاجتماعي، حيث كانت البداية القيمية الروحية أهم من المادية، وكان إخضاع الجسد للروح أحد الاندفاعات الرئيسة للشيوعية. من هنا أتى الاقتصاد المخطط، والتفكير الاستراتيجي، والقانون الأخلاقي لباني الشيوعية، وضعفت المسيحية، ولم تنجح في مهماتها في تربية القيم وتخليص الروح. وانفلت السعي الجامح لمعظم الشعب باتجاه الاستهلاك. وفي أوروبا ظهرت أفكار الشيوعية وأخذت تتقوى، وتجلت نبضة الوعي الباطني في التنفيذ الأوروبي لفكرة المساواة بين الجميع، والأخوة والسعادة.

في نهاية القرن العشرين انهارت الاشتراكية، وبدأت البشرية ثانية على حافة الهلاك. عند ذلك أخذ الإسلام مكانه، حيث أخذ ينتشر بفعالية، ليس في البلاد العربية فحسب، بل وضمن حدود أوروبا، وعلى أراضيتها. في الوقت الحاضر يمثل الإسلام الشرق غير المستسلم، الراض بقساوة للنفسية الغربية. أما الولايات المتحدة فتمثل الغرب اللا مسالم. ولا توجد بينهما نقاط تماس.

وإذا ناقشنا من وجهة نظر الاقتصاد والسياسة، فإنه من المنطقي أن نتوقع أن أمريكا بضخامة اقتصادها، تستطيع في وقت قصير أن تخضع وتتنصر على الإسلام والبلدان العربية. قد يقول الاقتصادي والسياسي إن هذا سيكون ضماناً للاستقرار، وغياب الإرهاب، وازدهار البشرية بأجمعها، أما بالنسبة للفيلسوف، فإن انتصار أمريكا الكامل هو هلاك للحضارة، فليس لدى العالم وحيد القطب طاقة للتطور.

الآن تعتبر الصين الخصم الرئيس لأمريكا، وهذا عادل من الناحية الاقتصادية، فهذه بلاد تتطور بعنف، وتلحق بأمريكا، وتتجاوزها. في الظاهر يوجد عداً اقتصادي بينهما، أما في الواقع، فلا وجود للتناقضات السياسية فيما بينهما. فالصين بلد شرقي يحلم أن يصبح غربياً. الشبيبة الصينية تفكر بالطرائق الغربية، والنساء الصينيات يطالبن بتحرر المرأة. في المظهر الخارجي ما يزال الصين والهند بلدان شرقيان، أما في الداخل فإنهما يتحولان إلى غربيين على نحو سريع. وهذا يعني أنه، لبقاء البشرية، يجب أن يدعم انتشار الإسلام من الأعلى. وممتع كيف



يحدث هذا على المستوى الخارجي. يمكن للولايات المتحدة أن تغير على أيّ دولة عربية، وفي الوقت نفسه، من حيث المبدأ، يمكن أن تحقق ذلك بأساليب الإخضاع الاقتصادي والسياسي.

أما الإغارة على فرنسا وألمانيا فهي إشكالية. ففي الوقت الحاضر نصف تلاميذ فرنسا في الصف الأول يعتقدون الإسلام. إن المناهضة للفكر الغربي تنمو على أراضى البلدان الغربية نفسها. وهكذا، إذا انتصر الفكر الغربي فإن العالم سيهلك، وإذا انتصر الفكر الشرقي فإن العالم سيموت أيضاً. وتشهد على ذلك سياسة الإسلاميين بشكل جلي.

والآن لننتحدث قليلاً عن النفس الروسية المحيرة: إن البلاد الوحيدة على سطح هذا الكوكب، التي تعد شرقية وغربية في الوقت نفسه، هي روسيا. نعم، في الصين تجمع الاشتراكية بين النموذجين الغربي والشرقي. لكن أولاً، هذه الظاهرة عفوية، أي مؤقتة. تتحول الصين إلى غربية أكثر وأكثر، وتحس نفسها بحالة رائعة. أما روسيا فلقد حاولت تقليد الغرب في كل شيء، لكنها لسبب ما تعثرت، وطرح الموضوع التالي: «أنقذوا نفوسنا». فلقد بدا الطريق الشرقي غير صالح لروسيا، إذ سقطت الاشتراكية. وبدا الطريق الغربي أكثر سوءاً. والأمر يشبه كما لو أن روسيا هي البلد الوحيد الذي يتوجب عليه الجمع بين المثالية والمادية، الدين والعلم، النظرتين الغربية والشرقية للعالم، وإلا فإن البشرية ستعرض للفناء.

لقد مر أكثر من مئتي عام على وجود تلك الدولة التي تدعو نفسها دولة الحرية، إنها الولايات المتحدة الأمريكية، بلد الديمقراطية والحرية الذي يجسد التفكير الغربي. على بعد ٩٠ كم فقط عن الحدود تقع جزيرة الحرية برئاسة قائدها ف. كاسترو: البلد الوحيد في العالم الذي لا وجود فيه للملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، والذي حافظ على أولية القيم الأخلاقية. إن جزيرة كوبا حصن للحضارة الشرقية. كتبت أن سقوط الاشتراكية أضر بأمريكا أولاً، والآن أخذ الكثيرون يلاحظون هذا. لقد ربحت أمريكا اقتصادياً وسياسياً، لكنها خسرت روحياً وطاقياً.



بالنسبة لقوة مخبراتية ضخمة ، كالمخابرات المركزية الأمريكية ، من أبسط ما يمكن فعله بالنسبة لها القضاء على أي إنسان على سطح المعمورة. فإذا لم تنجح محاولة ما ، تدبر الثانية ، الثالثة. ولقتل فيدل كاسترو نفذ ٦٣٧ اعتداء ، وهو ما زال حياً. وقد قال لإحدى صديقاته : «قتلي مستحيل». تريد أمريكا قتل كاسترو عن إدراك ، أما في ما وراء وعيها ، فهي تتمنى له الحياة المديدة والصحة المتينة. فكوبا الصغيرة جداً بمساحتها ، الفقيرة مادياً ، تمتلك طاقة هائلة ومعنىً عظيماً. وليس من المصادفة أن تكون الأكثر تقدماً على مستوى العالم في مجالات طبية مختلفة. كم من الوقت سيبقى هذا التوازن الهش متماسكاً؟ غير معروف ، لكنه ما يزال يعمل على إنقاذ الحضارة برمتها.

وهكذا ، فإن الجزء البالغ الصغر يمكن أن يفوق في طاقته ما هو أضخم منه بكثير ، لا سيما إذا كان الأخير ضعيف الروح. منذ مدة قصيرة سئل أحد العلماء في التلفاز : «هل تعتقد بنهاية العالم؟ هل يمكن أن تؤدي أعمال البشرية إلى هلاك هذا الكوكب؟» أجاب العالم ببساطة :

- أنتم تعرفون أن من جنون العظمة أن ننسب للبشرية مثل هذه الإمكانيات ، فهي صغيرة لدرجة أنها لا تقارن بكتلة واتساع كوكبنا.

وهو تماماً على حق إذا كان يتكلم عن القوانين الفيزيائية والمادية ، لكن لنحاول أن ننظر إلى هذه المشكلة من وجهة نظر أخرى: فالإنسان الذي يلتقط عدوى ما ، كالطاعون مثلاً أو الكوليرا ، فإن كتلة الجراثيم لا تقارن لصغرها بكتلة الإنسان ، لكنه يموت. لماذا؟ لأن المكروبات تهاجم ليس الكتلة ، بل الوظائف الرئيسة للجسم المتعلقة بطاقة المنهجات الدقيقة. وإذا ضعفت طاقة الإنسان ، فإن مناعته تقل ، وعند ذلك تنشط الجراثيم الكامنة لديه ، أو يصاب بعدوى تأتيه من الخارج.

أذاعوا البارحة نبأ عن أعداد الهالكين في جنوب شرق آسيا نتيجة للهزة الأرضية. منذ بضعة أيام كان الرقم ١٢ ألفاً وخمسمئة إنسان. البارحة دققوا الرقم: أكثر من ١٢٥ ألفاً. ومع كل هذا ، هل يستطيع الإنسان التأثير في



حالة هذا الكوكب؟ تقول الديانات العالمية إن هذا ممكن. منذ مدة قصيرة التقيت بامرأة مؤمنة قالت لي: إذا لم يصلّ الناس فإن العالم قد يتعرض للكوارث في مناطق مختلفة منه. والممتع في الأمر أنني توصلت كذلك إلى النتيجة نفسها.

لنبدأ من تجارب بسيطة: لقد نزع علماء فرنسيون الأصداف عن الرخويات، ووضعوها في ماء مقطر، ذلك الوسط الخالي تماماً من الكلّس، لكن غطاءً ظهر من جديد، يمكن أن يكون الاستنتاج وحيداً: في الجسم الحي يحدث تركيب ذري حراري. على المستوى الخارجي الفيزيائي، يترافق بانبعاث طاقة هائلة. أما على مستويات الطاقة الدقيقة، فهو يحدث بشكل غير ملحوظ وطبيعي. ما الاستنتاج؟ إنه بسيط جداً: إن طاقة الكون الرئيسة متوضعة في مستويات الطاقة الدقيقة. وتحديداً عن طريقها يحدث تنظيم العمليات في الكون، والأهم أن أي كائن حي لديه القدرة على الوصول إلى هذه المستويات، وهذا يعني أنه يستطيع أن يؤثر فيها، لكن هذه التأثيرات العفوية ضعيفة، وبالتالي ليست خطيرة. والأمر يكمن في أن نبضات الطاقة عند البشرية لم تعد فوضوية. ففي الفترة الأخيرة أصبح الناس يلاحظون أن الهزات الأرضية وتجلي الكراهية البشرية بمقاييس كبيرة تتطابق بشكل غريب، وليس هذا التطابق بسبب العدائية وقتل الناس تحديداً، بل بسبب العواطف العدائية.

إن التأثير الفيزيائي، حتى ولو كان انفجاراً ذرياً، لا يشكل خطراً على الأرض، لأنه صغير جداً بالنسبة لها. فوظائف هذا الكوكب السماوي الذي نعيش عليه تتعلق بتدفقات الطاقة داخله وخارجه. وطاقة الإنسان السلبية عندما تتحد في تدفق واحد، يمكن أن تشكل خطراً جسيماً بالنسبة لكوكبنا. لكن الكراهية لا تنفذ عميقاً جداً في طاقة هذا الكوكب.

أيوجد شيء ما أكثر خطورة من الكراهية؟ نعم يوجد، إنه الكآبة، برنامج التدمير الذاتي. فعلى الرغم من كون الكتلة البشرية صغيرة جداً، فإن برنامج التدمير الذاتي إذا ذهب إلى ما وراء الحد المسموح به، فإنه يمكن أن يفجر هذا الكوكب. كيف يمكن حدوث هذا؟ إذا فاق برنامج التدمير الذاتي



الحد الخطير لدى إنسان ما بمفرده، فإنه يحدث تخريباً لتدفقات الطاقة وللوظائف الفيزيائية، ويهلك الجسم. ووجود الكون مبني على مبدأ الوحدة. ولقد وصفت سابقاً تلك الحالة: عندما يقوم إنسان ما بارتكاب جريمة ضد الحب، فينقرض نوعه بكامله. فالأقارب يتحدون على المستوى الدقيق. وإذا نحن تعمقنا في المستوى الدقيق، فإننا نرى أن الإنسانية واحدة. وكل إنسان بيننا مسؤول عن الإنسانية كلها إلى درجة ما. وفي المستوى الأكثر دقة نرى وحدة كل ما هو حي، وفي المستوى الأكثر عمقاً يتلاشى الفرق بين المادة الحية وغير الحية، حيث ذلك العمق السحيق للغاية. وكيف لا يكون محزناً أن يمتلك الإنسان الوصول إلى هذا العمق؟ ويشهد على هذا ظاهرة التخاطر وتجسيد المواد. أي إن الإنسان يستطيع أن يؤثر في تدفقات الطاقة المحددة لحالة وسلامة كوكبنا. إن برنامج التدمير الذاتي، والكراهية للذات، تعبر إلى أعماق أعمق النفس. وسأوضح ما يستدعي هذا الشيء:

لقد قرأت في إحدى المجلات الروسية مقالة تتحدث عن أحداث مرت منذ آلاف الأعوام خلت، إذ إن أحد الأنبياء قال لقيصر: «إذا بقيت ترتكب الشناعة والجرائم ضد النفس، فإن الله سيعاقبك، وسيأتي زلزال مدمر لك ولنوعك، ولقصرك ومدينتك». وبالفعل اكتشف العلماء آثاراً لزلزال مدمر، وبقايا قصر مدمر. تؤكد الديانة البوذية في تعاليمها عن الكارما أن تاريخ العالم محفوظ بكامله، ولا يمحي أي تصرف للإنسان مع مرور الزمن، فهو مكتوب. والإنسان يحصل على نتيجة كل عمل من أعماله فإما أن يكافأ أو يعاقب. فالإنسان في الدرجة الأولى نفس، وليس جسداً. والأعمال الموجهة إلى نفع النفس واتصالها بالخالق تحسن الكارما. أما الأعمال التي تتم فقط لمصلحة الجسد، والضارة بالنفس، فإنها تتحول إلى جنح وجرائم، والعقوبة حتمية ولا مفر منها. والعلاقة بين سلوك الإنسان وصحته ومصيره مذكورة في جميع أديان العالم.

قال السيد المسيح لتلاميذه: «لا تكثرثوا للغد، فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان»، وقد عني هذا القول شيئاً واحداً، وهو أن إحجام الإنسان عن العناية



بنفسه، وفقدانه للحب والقيم الأخلاقية، خطر على صحته ومصيره، ليس فقط بالنسبة له كفرد، بل بالنسبة للكوكب برمته. وكان هذا أمراً ملحاً منذ قرابة ٢٠٠٠ عام، حيث أخذت البشرية بإزاحة اهتماماتها باتجاه إنقاذ وتقوية الجسد.

غداً ٣١ كانون الأول. وسنودع العام الماضي والعالم الماضي. سنستقبل عاماً جديداً وعالمًا جديداً. فهل سنتمكن من أن نتغير ونبقى في العالم الجديد؟ من يدري؟!



## القسم الرابع







مرت عدة أيام بعد بداية العام الجديد. وبينما أنا أقلب البريد المستلم، قرأت رسالة مرسلة بالفاكس، محتوية على تهنئة بالعام الجديد، واقترح بتشكيل ندوة على الموقع الإلكتروني. لقد كتبوا لي: «في ليلة العام الجديد، سنجتمع مع الأصدقاء والقريبين على طاولة العيد، وسنتذكر أكثر أحداث العام المنصرم سطوعاً، والتي تتعلق بالنسبة للكثيرين منا بفهم الذات، وفهم العالم والمصير، واكتساب نقطة ارتكاز في الحياة. نحن - المشاركون في الندوة - : أرثوذكس، بوذيون، كاثوليك، بروتستانت، ملحدون، مسلمون، أتباع مدرسة، فلاسفة، ممارسو اليوغا، موسيقيون، طلبة، آباء، أمهات، عزاب، روس، أمريكيان، قفقازيون، يهود، أوزبيك، ... نريد أن نهديك للعام الجديد ندوة جديدة تلبي جميع المتطلبات العصرية.

ونحن نسعى بكل حب ومن دون عدااء لاستقبال الأشقياء في ندوتنا، متفهمين أن في وجودهم كشف لحالة نفوسنا، مما يتيح لنا العمل على أنفسنا، على الرغم من أن الشقاوة قد تضيف على نقاشاتنا بعض الشوائم، وتقلل من مستوى رسمية ندواتنا. إن رأيك في هذه المسألة ثمين جداً، لأن هذا يعني العمل على الذات من جهة، ومن جهة أخرى إيجاد ظرف يتيح النقاش الحقيقي بمسائل جدية». أنا أعتقد أن هذه هدية لهم بالدرجة الأولى وليست لي. فأنا لا أشارك في الندوات على الرغم من أنها ضرورية، إذ إن الكتاب لا يحقق العلاقة العكسية.



لقد تركت الإجابة في الموقع إلكتروني عن الأسئلة على الموقع الإلكتروني، وذلك لسبب بسيط هو أن الناس أخذوا يهتمون أكثر برقم هاتف المكتب، وإمكانية استقبالي لهم، أو الحصول على شريط فيديو وهم تقريباً لا يزورون الأقسام الرئيسية للموقع الإلكتروني.

ولأنهم لا يقرؤون أجوبتي، يطرحون الأسئلة نفسها مراراً وتكراراً، فلا يحدث تبادل بيني وبينهم، فالأكثرية تحب أن تأخذ فقط، وقليل من يريد أن يعطي. وهذه هي ميزة تفكيرنا، فنحن نريد أن نحصل على المساعدة، لكن لا نريد أن نتعلم مساعدة الآخرين، وإذا كان عطاء القدرة مغلق داخلياً لدى الإنسان، فإنه من المستحيل مساعدته. ولقد أوردت مثلاً في أحد كتبي عن الشاة التي تعاني من سكرات الموت، فلقد أعطوها خروفاً رضيعاً أخذوه من شاة أخرى، وعندما ابتدأت بالعتاية به مبددة قدرة كبيرة، وعناية وحباً، تغلبت على وعكة الموت. لذا فإنني أردت التوجه لقراء هذا الموقع الإلكتروني بهذا النداء: تريدون أن تكونوا أصحاء وأن تحلوا مشكلاتكم؟ إذاً لا تنتظروا المساعدة، بل ابدؤوا أنتم بمساعدة الآخرين. وكلما كان تفكيركم بأنفسكم في هذه اللحظة أقل، كلما كنتم أوفر صحةً. ويحضرنى هنا موقف حدث معي: شُخصٌ عندي انتقال سرطانى، أى لا فرص لي للبقاء. عدت من سوتشي إلى بطرسبرغ، وأُحِلت إلى مركز معالجة الأورام، وفي هذه اللحظة اتصلت بي إحدى المريضات اللواتى يزرن عيادتي، قالت لاهثة:

- لدي مشكلة فظيعة، وأنت الوحيد الذي يستطيع مساعدتي، دعنا نلتقي في محطة القطار، وسأحدثك بكل شيء.

ذهبت، وأمضيت ساعة أستمع لقصتها:

- لدي واقع مرير: حياتي من دون معنى، ولا أريد العيش.

نظرت إليها كما لو كنت أنظر من بعيد:

- تعالى وقولي لي تحديداً ما الذي حدث، ولكن بالترتيب.

- رئيسي لا يقدرني أبداً، ويتمسك بالقشور. حالتي لا مخرج لها.

لمعت في ذهني فكرة: «آه لو تبادلت معك المشكلات»، وهنا تابعت الحديث

معها:



- اسمعي، سيمر وقت، وستضحكين على هذه المشكلة. فعندما تأتينا المشكلة من المستقبل، تبدو هائلة، وعندما ننظر إليها وقد أصبحت في الماضي، فتبدو لنا صغيرة للغاية. ثقي بي، حالتك ليست أتعس حالة.

نظرت هي إلي وضحكت بسرور:

- أنت تعرف أنك تؤثر في تأثيراً إيجابياً، فلقد أصبحت حالتي أفضل على الفور.

قالت بعض الجمل بسرعة، واختفت في وسط جمع الناس، أما أنا ففكرت، كم هو جميل أن أستطيع تقديم مساعدة وأنا في هذه الحالة. ومن يدري، قد تكون مساعدتي للآخرين أهم عندي من حالتي المأساوية، قد ساعدت على تحويل الكارثة بكل بساطة إلى حالة غير مرغوبة، يمكن ويجب أن تكافح.

لقد نفذت بالحدس أربع قواعد تساعد على الشعور بالإلهي، وتؤهل للشفاء. أولاً: أنا ألقيت جانباً كل ما يعيق الحب، وبالدرجة الأولى الخوف على الحياة. ولم أعد أعقد الأمل على الطب، ولا على أي شيء آخر، لكنني تابعت الكفاح بنشاط، وأصبحت النفس موضوع خلاصي وليس الجسد. فلقد قرأت الكتاب المقدس، وعثرت هناك على كلمة «الحب»، وبحدسي سرت على أثرها. ثانياً: لم تعد الآلام والمشكلات الجسدية تخيفني مهما كان نوعها، وأصبحت هذه المشكلات سخيفة ومضحكة.

ثالثاً: أنا حددت وأوقفت كل رغباتي وأهدايفي، وحصل عندي إحجام طبيعي عن كل شيء.

رابعاً: أصبحت أبحث عن سبل مساعدة أسرتي التي ستصبح من دون معيل بعد موتي، ولم أمتنع عن مساعدة الآخرين، وهذا ما خفف تعلقي بالحياة والصحة.

في العهد القديم مقولة: «لا تأخذ هدايا، فقد تجعل الهدايا المبصرين عمياناً». إن الإنسان الذي اعتاد دائماً على أن يأخذ، يضعف، وفي الدرجة الأولى تضعف نفسه. ومن الصعب علينا أن نصدق أن هذه المواقف في إحساسنا تحدد صحتنا، وهلاك أو بقاء حضارتنا.



إذا كانت سعادة الإنسان العليا هي الأخذ، فإنه مريض، ومرضه مختبئ في جسمه وعقله، أو في نفسه، وسيكون هذا المرض مستعصياً.

ولقد توقفت عن الإجابة عن الأسئلة في (الموقع الإلكتروني)، لكي لا أدم هذا الميل، وتم حذف فصل «تبادل التجربة». فلقد ساعدني بعض الناس بمعلومات جديدة كنت أحتاجها، لكن قرابة عشرة آلاف إنسان أرادوا أن أساعدهم شخصياً. جيد أن وجهة نظري بخصوص هذه المسألة قد تغيرت. سابقاً كنت أقول: «الرجل المريض مستهلك، فعلى المستوى الفيزيائي هذا بخل، وعلى الروحي هذا حسد واتهام، أما على مستوى النفس فهذه عصبية»، ولما كان مستهلكاً، فلماذا التعامل معه؟

أما الآن فأني أنظر إلى هذه المسألة على الشكل التالي: المريض، أي الاستهلاك هو عدم المقدرة على التفكير الصحيح، وهذا يعني أنه يجب تقديم المساعدة للمريض من أجل إحداث تغيير مفيد، ويجب البحث عن أساليب جديدة تساعد على أن يحب وأن يقوم بالعطاء.

إن التعامل يعني التربية، فإذا لم يعجبك شيء ما في أحد الناس، ساعده على أن يتغير، وإذا لم يعجبك شيء ما في الوسط المحيط، ساعد على تغيير هذا الوسط. إن الاستياء والاتهام والبحث عن مذنبين هي أمور توقف طاقة الحب، وهذا يعني استحالة التغير. علينا أن نرد على أي مشكلة، وعلى أي ألم بشعلة طاقة خلاقة، ولما كانت هذه الطاقة نابعة من الحب الإلهي، فإننا سنرد على أي خسارة أو استياء بشعلة حب. وعند ذلك فإن التصور عن الإنسان الناقص والشرير يختفي، وسننظر للذي أمامنا على أنه إنسان غير قادر على التغير ومقصر في تنظيم وترتيب نفسه، وهذه هي المقدرة على التفكير بشكل صحيح. أذكر سؤالاً طرحته علي امرأة:

- كيف أكون مع الإنسان الذي خانني؟

- بدلي كلمة «خان» بكلمة «عالج» وستختفي مشكلتك المستعصية على الحل. أنت خضعت للإنساني، فأنتك التقية من الأعلى. إن المقدرة على التفكير تتحدد بدرجة قدرتنا على التغير. وللتغير لا بد من قدرة، ونحن نحصل على هذه



القدرة عن طريق حب الخالق، وكلما كان الحب في نفوسنا أكبر، كلما تغيرنا بقوة أكبر، وكلما غيرنا العالم المحيط بنا عن طريق تغيرنا نحن.

يعني أن القاعدة الأولى: لا تعيق الحب الإلهي، أي لا تكبحه بالاستياء والاتهام والخوف والتأسفات. والقاعدة الثانية: ساعدي الحب بكبح جماح بداياتك الحيوانية، وإظهار العليا؛ حتى إن العمل الفيزيائي الطبيعي والرياضة يساعدان في ذلك. وأنا لم أتكلم بعد عن النشاط الفعال لوعينا ومشاعرنا.

منذ مدة قصيرة أخبرتني إحدى معارفي عن مشهد مثير: تعاملت في الندوة مع شخص جديد، وقد عبر عن نفسه بشكل فاحش. قالت لي:

- أنا لم أجب شيئاً، أخذت أصلي فقط في تلك اللحظة. وفجأة اختفى هذا الشخص ولم يظهر في الندوة ثانية.

عندما يركز الإنسان على الحب، فإن إظهار العداء نحوه خطير جداً. وهذا ما يشعر به كل كائن حي.

وإهانة الأم هي إهانة للمشاعر العليا. فإذا بادر أحد بجانبك فجأة بشتيم أمك، فإن هذا يعني أنك مذنّب في ذلك إلى درجة ما، أي إن المبادئ والمثاليات خرجت عندك إلى المستوى الأول، وأصبحت نفسك تتسى الحب. وعندما يكون الإنسان في حالة كارثية، فإنه في لحظة الخطر المميت لا يختلف عن الحيوان في شيء، والانعكاس الأول هو الدفاع عن النفس أو الهرب، أو منع مصدر الخطر من الحركة. وعندما لا يكون هنالك خطر يهدد الحياة بشكل مباشر، فإن الإنسان يستطيع ويجب عليه أن يتصرف بطريقة أخرى. وكلما أبدى عدائية أقل، كلما كان سلوكه أكثر حكمة، وأنا أفكر أنه من الأنسب تنظيم استراحة دورية في الندوة من هؤلاء الناس بذيئي الألسنة.

في إحدى محاضراتي طرحت علي امرأة سؤالاً: كيف لها أن تصلي إذا كان الوضع بمجمله في البيت لا يسمح بذلك؟ فالزوج عدواني، والعمل في المنزل كثير، والأطفال يعيقون ذلك. لماذا نشأ سؤال هكذا؟ السبب أنها لم تفهم لماذا الصلاة ضرورية. فبالنسبة لها هي طقس سطحي يستلزم الوحدة والهدوء والراحة النفسية. ومن ثم ترديد بعض الألفاظ بإيقاع ما. لكن فكرة الصلاة تتمثل في الشعور



بالحب، وإذا كان الإنسان يحتاج في البداية من أجل الصلاة إلى الوحدة والصمت، فإنه فيما بعد سيتمكن من الصلاة في أي وضع كان. فإذا كنت تتابع في محبة الإنسان الذي أساء إليك، وإذا كنت ما تزال محافظاً على طيبة روحك أثناء العمل الشاق، فإنك بهذا تصلي. وكلما كان شعور الحب لديك وطيبة نفسك وعطاؤك أقل علاقة بالألم والخسارة أو الإساءة، كلما كانت صلاتك أنقى.

كيف يجب أن ننظر إلى الإنسان البذيء؟ وإلى الإنسان الذي يكون الحب في نفسه غير كاف؟ إنه يشعر بخطر الخضوع للمشاعر العليا السامية، ويحاول أن يتخلص من ذلك بطريقة بدائية، وهذا يعني أنه في أيّ فظاظة وبذاءة توجد فكرة. فأني وقح وبذيء يحتاج إلى مساعدتنا أسوة بالإنسان المريض.

إن العلاقة الصحيحة بأيّ حالة تغيرها داخلياً، ومن ثم خارجياً. وهنا أضع أنا الرسائل جانباً، وأستغرق في التفكير:

ماذا تعني النظرة الصحيحة للعالم في لحظتنا الراهنة؟ في العالم سيوجد دائماً نمطاً تفكير متناقضان. إن وعينا يتطور، وهذا يعني ضرورة اختلاف الرأي والتناقض. فالغرب ملحد، والشرق متصوف. لقد أعطى الجمع بينهما تطوراً في التفكير، وتقبلاً دينياً وعلمياً للعالم. ففي العلم، الإنسان هو المركز، أما في الدين فهو طرف. وهما كانا غير متصلين، والأمر سواء إذا توحدنا، سواء كان النصر لأحدهما أم دمرنا بعضهما بعضاً. هناك مقولة في الهند: «لا يوجد ناس، توجد أفكار».

سابقاً عاش إنسان بالمال والسعادة المادية فقط، وشعر بأنه متفوق. وفي الوقت نفسه امتنع إنسان آخر عن أي شيء وأكد أنه سعيد بصدق. وهما لم يعرقل أحدهما الآخر، بل على العكس، كملاً بعضهما بعضاً وخلقاً انسجاماً.

لكن لكي نعي مصداقية الاثنين، يجب أن نخرج إلى ذلك المستوى، حيث يظهر منطق الجسم المقترن بالخضوع للمال، ومنطق الروح المقترن بالخضوع للفكرة، في وحدة كاملة. هذا هو المستوى، حيث يبدو فيه الجسم والروح والنفس جوهرًا واحدًا. ولكي نصل إلى هذا المستوى الإلهي، يجب أن نمتلك مقدرة أعلى بكثير على الحب. فعن طريق حب الخالق يمكن رؤية وحدة النقائص على



اختلافها. وإذا كان الحب لا يكفي، فإن أسلوب التفكير كليهما يسعيان لتدمير بعضهما.

طور نمط التفكير الغربي الحضارة. فإذا كان الباعث الرئيس لبناء مصنع لإنتاج سلعة وترويجها، وبناء المخازن، وتأسيس المواد الخدمية، هو الحصول على أرباح، فإن هذا يعطي أثراً عظيماً، وقدرة هائلة، وورشاً متنوعة. ولقد أظهرت الاشتراكية أنه لا يمكن بناء اقتصاد في ظل غياب البواعث المادية. فالأموال، والمكافأة المادية، والفائدة الاقتصادية، أشياء لا يمكن للحضارة أن تتطور من دونها. وعندما ننقل هذا المبدأ من المجال المادي إلى الروحي، فإننا نلاحظ تبدلات كارثية، فبدلاً من أن تزدهر الحضارة، فإن الروحانية والثقافة يأخذان بالانقراض بشكل حثيث. لماذا؟ لأن الروحانية، هي مفهوم استراتيجي، والدخول إليها من أجل منفعة لحظية يعني قتل الثقافة والروحانية، وتحدث هذه العملية حالياً مع الثقافة الروسية، حيث يقترحون تحويل المسارح إلى الحساب الخاص. أي يجب على المسرح أن يتشوه لكي يكسب أموالاً، وأن يذهب لملاقاة ذوق الجمهور الذي تبدل. لا يمكن القول إن هذا سيئ جداً. لقد كان المسرح المتجول متوحداً مع المشاهد لاعتماده على العلاقة العكسية، لكنه لم يستطع أن يتطور.

عندما لا يتعلق المسرح بالمشاهد، فإنه يموت اقتصادياً. وعندما يتعلق المسرح بشكل كامل بالمشاهد، فإنه لا يتطور. الآن في التلفاز الروسي تشغل البرامج التجارية كل فترات البث المباشر، والهدف الرئيس منها هو جني المال، فتخليص المال من الأحق سهل جداً فيما إذا تم التسامح وتلبية رغبات المشاهدين الأكثر ثباتاً، والأكثر بدائية وتم تعميقها أما النقود فستعود بسرعة أكبر، وهذا يعني أنه يجب على التلفاز العصري، لكي يجني أموالاً، أن يخرب ثقافة وروحانية الناس. وإذا كان الزبون يستطيع أن ينتقي في مخزن بيع الكتب الكتاب الجيد بدلاً من السيئ، فإن هذه الفرص مع التلفاز أقل.

إن الثقافة التجارية لا تساند البدايات الاستراتيجية الروحية الرفيعة. وعندما ينشغل الدين بالتجارة، فإن الحب والإيمان يذهبان بشكل غير ملحوظ، وتبقى الطقوس السطحية، والاقتصاد والسياسة. إن التجارة مسموحة، لكن



ضمن حدود معينة، فالحب والقيم الأخلاقية يجب أن يحكما التجارة، وليس العكس.

والثقافة كذلك يجب أن تكون تجارية ضمن حد معين، وإلا فإنها ستبدأ بالانحطاط.

لا بد للاقتصاد من أن يكون تجارياً، إلا أن هذا لا يعني أنه يجب أن تغيب عنه المفاهيم الاستراتيجية الأخلاقية. ففي العصر الحديث على سبيل المثال، تقوم الصناعة الغذائية الغربية بكل بساطة بقتل الإنسان، وتؤدي به إلى أمراض لا يحصى عددها. أما الطب فلا يهتم بشفاء الإنسان، بل بتسويق الأدوية والربح التجاري. وهذان النقيضان لا يلتقيان. إن تقديم المال على الأخلاق بهذا الحجم يهدد وجود الحضارة الحديثة. فعندما يعتبر المال القيمة الرئيسة، أي عندما ينتصر أسلوب التفكير المادي، فإن النفس تبدأ بالاحتضار. علاوة على ذلك، فإن أي إنسان أخلاقي وذكي، وبعيد النظر، سيشكل خطراً دائماً بالنسبة لمن يريد الحصول على المال بطرائق مختلفة، لأنه ببساطة سيعيق عملية الحصول على المال. لنتخيل أن إنساناً ما قد اشترى قناة تلفزيونية، وهو يريد كسب الأموال: إن هذا يعني أن عليه وضع مخطط محدد يخضع فيه كل شيء للهدف الرئيس. يعلن عامل في هذه القناة أن ثمة أهداف أسمى، معبراً بذلك عن تطلعات الناس والدولة في حماية المبادئ الدينية والأخلاقية، وهذا ما لا يلزم مالك القناة، لذلك من الطبيعي أن يسرح هذا العامل على وجه السرعة. وهكذا تقبل حياة رغيدة، ويشاهد الناس التلفاز، ويحصلون على متعة، ويتقبلون الدعاية. وكلما كانت إثارة المشاهد أكبر، كلما توجب عليه الدفع أكثر. إنها الجنة، فالمشاهد ينظر في صندوق التلفاز هذا وفيه تتحقق رغباته كلها، فماذا بعد؟

إن عواطف الإنسان مرتبطة بمصيره. ومصير مجموعة من الناس يرتبط بعواطف هذه المجموعة، أي بدينها وثقافتها وأخلاقها. لقد ظهر الناس على الأرض، وهم عبارة عن جزء منها. إن الجذور والساق وأغصان الشجرة عبارة عن وحدة متكاملة، وتماثل هذه الوحدة المتكاملة وحدة الأرض وكل ما عليها. هذه الوحدة



معلوماتية في الدرجة الأولى ، لهذا السبب فإن الحالة المعلوماتية لمجموعة من الناس يمكن أن تؤثر في حالة كوكبنا.

توجد فرضية تقول إنه كان يوجد كوكب آخر في مجموعتنا الشمسية ، وقد انفجر لسبب غير معروف. وضعت هذه الفرضية بسبب وجود حزام من الكويكبات في مكان المسار المفترض لهذا الكوكب ، والتي ظهرت نتيجة للانفجار. لقد سموا هذا الكوكب فايغون ، وقد يكون سبب فناءه - في الدرجة الأولى - هو عدم التوفيق (الفشل) المعلوماتي.

إن أي غرض في هذا الكون يتطور وفق مبدأ الوحدة ، أي يحمل في ذاته السبب الأول للانطلاق ، الموحد للكون كله ، والموجه له إلى نقطة واحدة. فإذا كانت طاقة النجم تتجه لاحتياجاته ، وتغفل التوجه لتأمين الوحدة مع السبب الأول ، فإن النجم ينفجر. وإذا كانت طاقة الكوكب تنغلق على ذاتها ، فإن برنامج التدمير الذاتي يبدأ بالعمل كآلية لحماية الكون ، ويفنى هذا الكوكب. وكلما كانت طاقة مجموعة من الناس أعلى ، كلما نشط برنامج التدمير الذاتي لديها إذا كانت مرتدة عن الحب في صالح رغباتها ، وكلما كان الانصياع للحياة أكبر ، كلما كانت عرضة للدمار أكثر ، وعند ذلك تبدأ الأمراض ، تصاب النساء بالعقم ، يحل القحط والجفاف والفيضانات ، ففي كل الأديان تلاحظ علاقة للطاقة بين عواطف الإنسان وظواهر الطبيعة.

لقد رأيت هذه العلاقة فعلياً قبل لقاء عام ٢٠٠٠ في باريس. لماذا أتى الإعصار بعد عيد الميلاد؟ لماذا ضرب أكثر الأحياء غنى؟ لماذا حمل معه دماراً كبيراً لا سيما في بداية عام ٢٠٠٠؟ لقد رأيت شجيرات عمرها مئات السنين مقتلعة من جذورها وملقاة على الطريق. وقبل ذلك حصلت أعاصير أقوى ، لكن هذا الإعصار لسبب ما اقتلع الأشجار. وفيما بعد فهمت. فعند الأرثوذكسيين يعتبر عيد الفصح العيد الأهم ، وهذا يعني انكشاف الإلهي عن طريق الموت ، وخسارة الإنساني. أما عند الكاثوليك فالعيد الأهم هو عيد الميلاد. ويعني أنه بعد عيد الميلاد الكاثوليكي يحدث تركيز في العقل الباطني عند ملايين الناس على الحياة ، والخضوع لها ، ولاحقاً يقلع برنامج التدمير الذاتي.



وذلك الذي حدث قبل العام الجديد كذلك في جنوب آسيا ، بشكل يتجاوب على نحو ما مع الذي حدث في باريس ، ففي الأيام الأولى بعد عيد الميلاد الكاثوليكي أقبل من جديد عدد ضخم من السياح المسافرين إلى مكان محدد لكي يرضوا رغباتهم.

إن جنوب شرق آسيا يقع ضمن منطقة سيطرة الدولار. وهذا يعني أن إجازة العام الجديد بالنسبة للمسافرين من أوروبا ، أي لمعظم السياح ، أصبحت أرخص تقريباً بمرتين. بالمناسبة ، وتحديداً في تايلاند التي لم تتميز بأي أخلاقيات خاصة في تقديم الخدمات المختلفة ، فالإنسانية هنا تتوحد باندفاع. ماذا سيحدث لهذا الكوكب عندما تسيطر عواطف مماثلة ليس على بضعة ملايين من الناس فقط ، بل على سكان الأرض بمجملهم؟ في الكتاب المقدس هذا خطر محقق.

أنظر من نافذتي إلى سطوح بطرسبرغ الثلجية ، ويتراءى لي أن ثمة ثقب دوري. هل سيؤكد هذا أم لا؟ سيبين الزمن ذلك ، لكنني متأكد من شيء واحد فقط: يجب أن يتغير العالم في الآتي القريب ، وفي الدرجة الأولى يجب أن نتغير نحن ، بتفكيرنا ومشاعرنا ، فبالطريقة التي سنفكر بها وبحالة مشاعرنا سيرتبط ليس فقط مصير أولادنا ، بل ومصير العالم برمته.

سيرغي نيكولايفتش أنت تكتب أن السيد بالنسبة للحيوان كالرب، وفجأة يبدأ الحيوان بالتصرف تجاهه بشكل مغاير كلياً لهذا، فيما يكمن خطأ المالك أو السيد؟

### الحادثة الأولى:

عاشت عند امرأة كلبة وقطة. كانت القطة حلوة ، أصيلة ، أحبها الجميع كما لو كانت طفلة ، أما الكلبة فكان حبهم لها أقل. وأثناء الغداء كانت السيدة تعطيها ألذ ما لديها أولاً ، ثم تطعم الكلبة. وذات مرة عند الغداء أتت الكلبة إلى المطبخ أولاً ، أما الهرة فتباطأت. أعطت السيدة الطعام للكلبة. رأت القطة أن السيدة لم تعطيها الطعام أولاً ، فاحتدمت غيظاً ، ومن شدة الحنق غرزت أسنانها في اليد التي تطعمها ، وعضت راحة اليد حتى العظم ، فقطعت الوتر والأعصاب ، وسال دم كثير، وخلصوها منها بصعوبة. بعد ذلك أجريت للمرأة



عملية جراحية معقدة، لكنها بقيت عاجزة مدى الحياة، وأصابع يدها اليمنى تقريباً لا تتحرك.

### الحادثة الثانية:

أحب السيد كلبه كثيراً، لدرجة أنه بدأت تتحرك لدى الكلب بعض مشاعر الغيرة. وذات مرة أتت إليه حفيدته التي اشتاق لها كثيراً، واندفعت إلى عنق جدها وأخذت تعانقه وتقبله، فتوحش الكلب وانقض على الحفيدة، وأغرز أنيابه من الخلف في رقبتها بقبضة مميتة. سحبوا الكلب لكنه لم يرخ أنيابه، وعندما قتلوا الكلب، كان الوقت متأخراً، فقد قطع عمود الرقبة الفقري للطفلة مؤدياً إلى موتها.

### الحادثة الثالثة:

كان لدى سيد كلب رعي يحبه كثيراً، وكان هذا الكلب شديد العداء للسكارى. وذات مرة أتى السيد من سهرة بحالة سكر، فانقض عليه الكلب وعضه بقوة حتى سال الدم، مما استدعى الذهاب إلى الطبيب الجراح. أتظنون أن الناس لا يفعلون هذا؟ صدقوني إنهم يفعلون الشيء نفسه. وفي معظم الأحيان يحدث هذا بشكل غير ملحوظ. إن انفصام الشخصية، السرطان، السكري، اللوامة، الموت المبكر، كل هذه نتائج لانهايار مستوى الطاقة المعلوماتي. فالمرأة غير المتوازنة، المتعلقة، المتفاخرة تقتل ليس زوجها فقط، بل ونفسها وأطفالها. المرأة المرباة بشكل غير صحيح تتجب أطفالاً منحرفين، ومجتمعاً مريضاً آخذاً بالانقراض. لماذا برأيكم هذا العدد الهائل لحوادث الطلاق والزواج المدني؟ عندما تتسنى النفس الخالق، فإن طاقة الحب، وهي هائلة، تسعى باندفاع للالتئام مع روح أي كائن. ونحن نحس أننا متماثلين تماماً مع أي شخص. لكن بدلاً من القماش الناعم المنسجم تظهر الندبات والعقد. وأي تغير طفيف في الآخر يستقبل على أنه خيانة كلية، ويسبب ألماً لا احتمال له، وكبح هذا الألم غير ممكن، فتتسأ رغبة جامحة لا يمكن التغلب عليها في قتل المحبوب أو النفس.

لقد ضاعت مقدرة البشرية على الحب. وكلما كانت مشاعرنا أقوى، وكلما كان حبنا أقوى، سبب لنا ذلك نكبات أكبر. فالحب يتحول بسرعة إلى



ولع (شغف)، والولع إلى ارتباط، والارتباط إلى كراهية، والكراهية إلى قتل. ولكي يضمن الإنسان بقاءه يجب عليه تقليل كمية الطاقة في نفسه، وتقليل كمية الحب، وهذه آلية في ما وراء الوعي للبقاء. أما العلماء فلا يستطيعون فهم من أين ظهر الإرهاق المزمّن؟ ولماذا يقل لدى الناس الاهتمام بالحياة؟ لماذا انخفضت كمية السائل المنوي عند الرجال ضعفين في الخمسين سنة الأخيرة؟ لماذا ينحط الرجال؟

الآن يعتبر من «الموضة» نمط اللباس باسم «الجنس متعدد الجوانب»؛ فالنساء أصبحن بهذا اللباس رجالاً، والرجال يظهرون ويتصرفون كالنساء. إن الفرق و «الموضة» مواظبان على دعم هذه الميول وتطويرها. فيما يكمن السبب؟ إن الفرق بين الرجل والمرأة هو القدرة الكامنة التي تؤمن القدرة الجنسية والإمكانات الإبداعية، وكلما كان الفرق أقل بين الرجل والمرأة، كلما كانت القدرة المتجهة من أحدهما إلى الآخر أقل. ويحدث انحطاط (فساد، انحلال) عصري عادي. لكن النسوة المسترجلات، ذوات الإرادة القوية، إما أن تكن عقمًا، أو تلدن أطفالاً ضعافاً، أو أطفالاً عدوانيين للعالم المحيط بهم.

منذ يومين طلبوا مني أن أعلق بتفصيل أكثر على المقالة الصحفية عن هلاك الزوجين في الحالة التي تصدّيت لها من قبل، إذ قال محدثي:

- عادة أنت تشرح في أمثلتك كل حالة، وتفك رموزها، أما هنا فلقد اكتفيت بجمل عامة. إنه لمن الصعب أن نفهم لماذا ماتا. لماذا شرب زوج هذه المرأة بهذه الكثرة؟ لماذا هي أحبته مع أنه لم يظهر في البيت منذ سنين طويلة؟

رفعت كتفي مستغرباً، لأنني ظننت أن الأمر واضح.

من حيث المبدأ، هذه القصة تصف حالة الحضارة الراهنة: تولد الحضارة كبداية ذكرية وتموت كأنثوية. تنفي البداية الذكرية الأنثوية. البداية الأنثوية هي رمز الحياة واستمراريتها. عند ظهور الحضارة يجب أن يكون التركيز على الحياة أصغرياً؛ وهذا يعطيها قدرة كامنة عظيمة.

إذا تكلمنا عن تشكّل الحضارة الحديثة، فإني أعتقد، أنه تجب العودة إلى الهند، إلى الفترة التي تسبق زمننا الحالي بـ ٧-٨ آلاف عام. لقد سمحت فكرة



الانعزال المطلق عن العالم والحياة بتشكيل قدرة كامنة ضرورية لظهور الأديان العالمية والثقافات، ولظهور الحضارة المعاصرة في هذا العالم.

كلما ازدهرت البداية الأنثوية، كلما أنتجت القدرة الذكرية أكثر. وهذه إشارة (علامة) على أن قدرة الحضارة تقترب من النهاية. والحضارة الحالية تموت عن طريق حدوث تطور طبيعي.

لكن من جهة (أولى): لقد ماتت الحضارات في السابق كذلك، واستمر الناس بالحياة. وهكذا إذا فإن الأساس للتفاؤل موجود. وفي الحقيقة إن مفهوم «الإنسانية الراهنة» و «الحضارة العصرية» عملياً قد ترهلا، ومن المحتمل أن يكون مصيرهما كذلك، لذلك فإنه يوجد مبرر لبعض القلق. ومن جهة أخرى: إن كون الحضارة تموت، فلا يستثني احتمال انبعاثها، ويجب أن تكون آليات هذا الانبعاث موجودة. ثالثاً: لم يتكلم الأنبياء والمتنبئون عن هلاك البشرية. نعم، وحسب المعطيات المتوفرة لدي، يجب أن تحصل بشكل أو بآخر هزة (نفضة) حتى عام ٢٠٢٠، وأن يبدأ طور جديد للتطور. في الحقيقة إن تقويم المايا ينتهي في عام ٢٠١٢، وعلى الرغم من أنهم كانوا فلكيين ومنجمين رائعين، إلا أنهم أقفلوا ببساطة بهذا التقويم المعلومات المتعلقة بالبشرية في الحقبة الحديثة.

لنعد إلى المقالة الصحفية: توجهت إلى محدثي قائلاً:

- أنت تعرف أن هذه القصة عن حياة إنسانين محبين لبعضهما شبيهة جداً بالمرحية، فحياتنا مسرح، هكذا علمنا شكسبير. وفي كل مسرحية توجد ذروة. في اعتقادك ما هو مشهد الذروة في هذه القصة؟

- موتها هي؟

- لا، فمشهد الذروة يعني كشف جوهر المسرحية، وموتهما هنا لا يعني شيئاً. وجوهر ما يجري يكمن في أن الولد يحاول قتل الأب. أعر انتباهك: فهو لم يضربه ضرباً مبرحاً، ولم يستدع الشرطة. فإذا حاول الولد قتل الأب، فإن هذا يعني أنه قد قتله في نفسه. ولسبب ما لا تتراكم هذه العدوانية القصوى لدى الأطفال عندما يعانون من كرههم، وإن أخطر ما في الأمر هو الكره الموجه للأب، لقد أصبح الأمر مفهوماً بالنسبة لي: ففي وعينا الباطني الأم هي رمز الحياة، والعداء



الموجه للأم سيخرب حياتنا وصحتنا الجسدية، أما العدائية الموجهة نحو الأب فستخرب عالمنا الروحي، وهذا يعني الشيطانية ويظهر أني ذكرت في أحد كتبي عن العلامة (الإشارة) الشيطانية، التي أتاني بها رجل شرطة، حيث قال إنهم صادروا هذه العلامة من أحد المرضى الشاذين. فإذا وضعت ورقة تحمل هذه العلامة بشكل مخفي في شقة ما، فإن الناس المقيمين فيها سيمرضون ويموتون. وعندما بدأت أفك رموز هذه العلامة، رأيت فيها عداءً قوياً للأب. أما العدائية للبداية الأنثوية سطحية، والبداية الذكرية تذهب إلى الطبقات الأكثر رقة، ولذلك لا تهزم النفس فقط، بل والجسم أيضاً. وفي الحقيقة، إذا أغرمت بامرأة واستهزأت بحبك لها، فإنه يمكن للعدائية أن تندفع إلى أي مستوى، وهذا حديث مستقل.

هكذا إذاً، عندما يتشكل الطفل قبل الحمل وفي فترة الحمل، تقوم عواطف الأم ببناء نظرتها المستقبلية للعالم ومزاجه:

فإذا كانت لديها كآبة، وعدم حب لذاتها ومصيرها، فإن برنامج التدمير الذاتي يتقوى لدى الطفل، وهو سيمرض وسيعاني جسدياً. وإذا كان لدى الأم استقلالية مبالغ بها وخطورة، وكان كل هذا يتقوى بمزاج قوي، وإرادة وتعليم وتربية، فإنها لن تستطيع قبول التقية القسرية الواردة عن طريق الرجل، وكلما كانت هذه المرأة أكثر روحانية، كلما بالغت بقتل زوجها على المستوى الدقيق. فعندما تحمل المرأة عداءً للرجل، فإن الأطفال لا يمرضون جسدياً، بل نفسياً. وفي وعينا الباطني الحب للرب والحب للأب متشابهان، لذلك فإن الأولاد المولودين من أمهات عدوانيات سيكونون في جوهرهم أنانيين، على الرغم من أنهم يستطيعون الذهاب إلى المعبد، ونعت أنفسهم باليهود، أو المسيحيين، أو المسلمين. وعندما يضاف برنامج قتل الأب عند الأولاد إلى برنامج قتل الزوج عند الأم، فإن الرجل يصبح في حالة لا مخرج منها إذا كان يحب زوجته، فإذا هو تركها، فإن هذه خيانة للحب، وعند ذلك سيموت، وإذا هو بقي معها فإنهم سيقتلوه. وفيما يخص كون بطل القصة كان قد أجبره أبوه على أن يصبح جيولوجياً وليس رساماً، كان عبارة عن رؤية مسبقة للحالة المستقبلية. لقد سمحت له مهنته كجيولوجي أن يبتعد عن حبيبته دون أن ينفصل عنها، وأن يكبح الارتباط والعدائية. كلما كانت إرادة



الإنسان أقوى، كان من الأصعب عليه تقبل الإرادة الإلهية. ونحن نأتي إلى الرب عندما نكون ضعفاء ومن دون حماية، لذلك فإن المرأة ذات الإرادة القوية والمتعجرفة لا تمتلك فرصاً كبيرة في ولادة أطفال أصحاء، ولا سيما إذا كانت درجة تعليمها عالية، وتستثنى فقط المرأة المؤمنة، أو تلك التي ولدت في أسرة مؤمنة.

بالمناسبة، ليس محض مصادفة أن تمنع الكنيسة حتى القرن التاسع عشر النساء من التعليم. وامرأة كـ «صوفيا كوفالفسكايا» كانت مضطرة لكي تحصل على التعليم أن تتزوج بشكل صوري، وأن تسافر إلى خارج البلاد. إن نساء متحررات كثيرات قد أعلن أني عدو للمرأة، وامتنعن عن قراءة كتبي، وهن يحسبن أني أدعو إلى إهانة المرأة، وإلى تحديد مستوى تعليمها، وحرمانها من جميع الحقوق. لكن الأمر ليس هكذا، فأنا أدعو للحب. ولقد وصفت آلية التقية القشرية للنفس. فإذا استطعت أن تقومي بهذه التقية إرادياً، فلا بأس! امزحي وابتهجي، وأنجبي أطفالاً أصحاء. لكن معظم النساء لا يتحملن التقية القشرية، ولا يستطعن ترتيب أنفسهن وإحلال النظام فيها طوعياً، وهن لا يردن ذلك. وعند ذلك فإن الطبيعة تعود ثانية إلى الخطط القسرية للتقية، لكن عن طريق المرض أو الموت، وهذا ما حدث في هذه القصة المأساوية الجميلة.

- بالمناسبة، أتعرف كيف ظهرت واستمرت إسرائيل؟

طرحت هذا السؤال على محدثي، فنظر إلي بحيرة، تابعت:

- لقد طرح الفكرة الأولى أينشتاين، ثم ستالين، ومنظمة الأمم المتحدة، وفي

نهاية المطاف الإسرائيليون أنفسهم. وماذا كان بعد؟ ولماذا تعامل الاتحاد السوفييتي سابقاً وروسيا اليوم ببرود مع إسرائيل؟

- بالمناسبة، إنه لمن المثير أن هذا لم يذكر في أي صحيفة، فالكمل يصمتون

عن هذا لسبب ما.

- ولاحقاً كان ما يلي: قرر العرب تدمير إسرائيل، وكان يمكن أن يحصل

هذا، لكن ستالين ساق إلى إسرائيل بارجة أو مجموعة بوارج بعتاد، وسلح جيشهم الصغير وساعدهم على الاستمرار. ولقد كان الهدف مفهوماً وبسيطاً: إحكام السيطرة على الشرق الأوسط تحت الراية الاشتراكية، وتحقيق المهمات السياسية



والاقتصادية. لم يكن لإسرائيل ملاذ آخر، وكان عليها أن تقبل أفكار الاشتراكية صاغرة، وهكذا ظهرت الكيبوتسات، أي ببساطة الكلخوزات، الموجودة في إسرائيل حتى الوقت الحاضر. وفيما بعد نظر الإسرائيليون إلى ما حصل في الاتحاد السوفييتي، وفهموا بسرعة أن الاشتراكية محكومة بالانهيار، فتحولوا باتجاه أمريكا. أما الاتحاد السوفييتي، وبلغة مهذبة، لم يعد يحبهم، وأصبح يقوي أواصر الصداقة مع الفلسطينيين والعرب. لماذا أقص عليكم هذا؟ لأن الذي حدث أن إسرائيل في الواقع ربحت اقتصادياً بتحولها إلى أمريكا، لكنها خسرت على المستوى الروحاني والاستراتيجي. إن التوجه الغربي من وجهة نظري قد أثر سلبياً في قدرة إسرائيل التي اقتبست حتى منظومة التعليم المدرسية من أمريكا.

النساء في إسرائيل مستقلات كلياً ومكثفيات ذاتياً، فلقد كنت منذ عدة سنوات في فندق صغير على ضفة البحر الميت، وكنت أتناول العشاء في مطعم الفندق. ولمحت بطرف عيني امرأة تقترب مني حاملة طبقاً مليئاً بالطعام. وكنت كما يبدو في طريقها. كانت تقترب مني وكأنها جرار، تريد أن تفهمني أنه يجب أن أفسح لها المجال للمرور، على الرغم من وجود فسحة تقارب المتر والنصف بين الطاولات، لكنها اختارت الطريق الأقصر.

وكان واضحاً أن هذا السلوك لم يكن خاصاً بها بل تعبير عن سلوك المجتمع، ولقد اهتمت بهذه الحالة، فاتضح لي أن النساء في إسرائيل يمتلكن كل الحقوق، والحكومة تجلهن وتحترمهن. وفي الوقت الحاضر قرابة ٨٠٪ من القابعين في السجون هم رجال بناء سجنوا على شكاوى من زوجاتهم.

أتذكر أن إحدى المريضات القاطنات في إسرائيل حدثني عن حالة صعبة في أسرة أخيها. فزوجته فضة للغاية وتهين الجميع.

- ولماذا لا يوقفها عند حدها؟

- هي اندفعت نحوه والسكين في يدها وحاولت قتله، لذلك فإنه يخافها.

- ولماذا إذاً لم يستدع الشرطة؟ أنا لا أستوعب.



- أنت لا تعرف أي واقع عندنا في إسرائيل، فلو كان استدعى الشرطة، لكانت قد صرحت بأنها دافعت عن نفسها فقط، وكان هو الذي سيقع، وهذا كافٍ لأن يحكم بالسجن لعدة سنوات.

وهذا ليس كل شيء، ففي إسرائيل كما في أمريكا يسود اهتمام تام بصحة الطفل الجسدية، ويهمل تماماً الجانب الأخلاقي الروحي. فلا يجوز أن يعاقب الطفل. منذ مدة قريبة عرضت محطة تلفزيونية إسرائيلية ناطقة بالروسية معلم مدرسة مشوّه، أسنانه محطمة. وذلك لأنه وجه ملاحظة في فترة الاستراحة للتلاميذ الذين كانوا يدخلون، وبعد الدروس خرجوا لملاقاته في الشارع، وأشبعوه ضرباً بقضبان حديدية أخذوها معهم لهذه الغاية، وكانوا ناشئين أعمارهم ١٢-١٤ عاماً، لكن أحداً من المارة لم يتدخل، فالكـل يعرف أنك إذا لمست طفلاً، فإنه سيلقى بك في السجن. لقد قال هذا الرجل إنه لن يعود إلى التدريس ما دام حياً. لم يعاقب أحد من الأطفال، حتى إنه لم يوجه إليهم أي توبيخ، وهم مستمرّون بالدارسة في المدرسة نفسها. تقول إحدى العظّات اليهودية المهمة: «لا تخلق لنفسك معبوداً». فهل يا ترى يؤمن الإسرائيليون بالرب؟ إنه لمن المؤكد أن دولتهم لا تؤمن بالرب.

لكن إذا كنت تفكر أن هذا أقصى حد لعبادة البداية الأنثوية، فإنك تخطئ التقدير. فالحالة التي تكلمت عنها حدثت العام الماضي في شهر تشرين الثاني. وتقريباً في المدة نفسها أتت امرأة عاشقة في أمريكا إلى شخص مشهور لدرجة كافية في غرفته في الفندق. نامت معه بمحض إرادتها، وفيما بعد عندما لم يخضع لاستفزازها، اشتكت عليه للشرطة. وهو الآن أمام حلين لا ثالث لهما: إما السجن مدى الحياة، أو لمدة ٢٥ عاماً. فالفكر المعافى لا يعمل، والمحاكم تدافع عن حقوق المرأة.

لقد حدثوني عن حادثة أخرى، حيث نامت امرأة مع لاعب هوكي، واحتفظت بالسائل المنوي في البراد، وفيما بعد أهدتها لصديقتها في عيد ميلادها. أجرت الأخيرة تخصيباً اصطناعياً، وعندما ولد الطفل، تقدمت بطلب النفقة. وأثبتت الخبرة الطبية أبوة اللاعب للطفل، ترتب عليه دفع نصف راتبه، أي عدة آلاف من الدولارات، لتلك المرأة التي لم تراها عيناه أبداً. إن أمريكا بلد يتمتع بقيم أخلاقية ونظام صارم إلى درجة كافية، لكن تصورها للسعادة البشرية وكل مفاهيمها عن الأخلاق تؤول إلى



حماية الإلهي في الإنسان، وليس إلى الحفاظ على شعور الحب لديه، وهي تهدف إلى حماية منفعة الإنسان والحفاظ على حياته. لذا فإنه من جهة، تبرز في المدارس الأمريكية من كل النوافذ شبكات حديدية للحماية، ومن جهة أخرى يسمح لهم بكل شيء، حتى بالانحلال الأخلاقي عن طريق الشذوذ الجنسي.

حدثتني امرأة كيف استراح أطفالها في معسكر للأطفال في أمريكا قالت: «أرسلت أطفالي إلى هناك، لأن المعسكر رائع، نظيف، مريح، ببساطة كالجنة، حتى إنني لم أكن أحلم بمثله في روسيا. سافرت إليهم بعد عشرة أيام، فرأيت مظهرهم ليس على ما يرام: كانوا ييكون ويقولون: «شكراً ماما، كل شيء جيد». وأنا رأيت أن الأمر ليس كذلك. استدعيت المربي، فامتنع عن تسليمي إياهم. تخيل، أطفالي ولا يسلمونني إياهم! ذهبت، وتوجهت مباشرة إلى الشرطة. وتقريباً قامت الشرطة باقتحام المعسكر، فالإدارة لم ترد إعطائي الأولاد. وفيما بعد حدثني الأطفال فيما يكمن الأمر: فهناك كل الأطفال يمارسون الجنس اعتباراً من الثانية عشر، لا قدر الله أن ينام بالغ مع طفل، أما بالنسبة للأطفال فيما بنهم فالأمر أسهل. قالوا لهم إنهم سيغتصبونهم ويقتلونهم إذا قالوا إن المكان سيئ بالنسبة لهم. وأنا لم أفهم لماذا مع كل هذا رفضوا تسليمهم؟ فكنت على كل الأحوال سأأخذهم عند انقضاء مدة استراحتهم، وفيما بعد فهمت أنهم كانوا غريبين بالنسبة لبقية الأولاد، وكان يجب جعلهم شبيهين بالجميع».

إذا انكسر الإنسان من الناحية الأخلاقية، فإنه يمتنع داخلياً عن مقاومة الوسط، ويتقبل بسرعة أي شروط. ماذا كانوا يفعلون في معتقلات الموت الفاشية إذا لم يصنع أحد ما على الأوامر؟ كانوا يجبرونه على حفر قبر لنفسه، ثم يجبرونه على أن يستلقي فيه، ويختارون من الصف شخصاً آخر يجبرونه على طمر الأول حياً، فإذا امتنع الثاني، يأمرونهما بتبادل الأمكنة، ويطلبون من الأول دفن الثاني، فإذا فعل ذلك، فإنه يتحول إلى عبد. فالإنسان الذي يفقد أناه الذاتية ويبدأ بالعيش وفق متطلبات جسمه فقط، خائفاً على حياته، فإنه في كل ثانية جاهز للخيانة. أما من قبل داخلياً من الصف الواقف بهذا السلوك فإنه كذلك قد خسر نفسه، وهؤلاء الناس قيادتهم سهلة.



إن أيّ دولة عبارة عن جهاز سيطرة وإخضاع، وأيّ دولة، بسعيها لفرض نفوذها، ستلجأ إلى ربط الإنسان بمصلحته وراحته واستقرار حياته، وهذا يعني أن الدولة ستشدد لا إرادياً الناس إلى عدم الأخلاق وإهانة الحب، وهذا يعني إذلال ذاتي لاحق. والنتيجة بسيطة: إذا كان الرأي العام، وممثلو الدين والثقافة لا يشغلون الموقع الروحي والأخلاقي المقوم للدولة، فإن دولة كهذه، وحضارة كهذه، تملك فرصاً قليلة للبقاء. فالحب للخالق وحده هو الذي يستطيع إنقاذ البداية الأنثوية الآخذة بالموت، مجددة عن طريق نفسها النبضة الذكرية الضامرة، ومشكلة من جديد تتاسق (تتاعم) التطور.

ذكرت في إحدى محاضراتي القريبة العهد بإحدى المؤلفات العبقريّة لشكسبير: «روميو وجولييت». وهناك تتمثل الذروة في موت الأبطال. ولطالما فكرت كثيراً في فكرة الجملة الأخيرة:

«لا يوجد على الأرض رواية أكثر حزناً من رواية روميو وجولييت». طوال حياتي كان فهم هذه الجملة يتأتى لي على الشكل التالي: تخيل أي حب هذا! تخيل أي قوة حب هذه! فهما الاثنان لم يريدا الحياة بعيدين أحدهما عن الآخر، وهذه الرواية هي الأكثر حزناً لأن هذين الشابين العاشقين الفاتنين انتهيا نهاية غير عادلة. وإذا أخذت السعادة الكبرى، فإن هذا يعني أن الحزن سيكون الأكبر. وفعلياً إن هذا عبارة عن نداء لتقليد هذا الحب الكبير والقوي، وبالتالي إلى تأثيرات مشابهة. كل هذا سمي فناً، وأنا داخلياً قلدت أبطال شكسبير، دون أن أفهم أن هذا يفسد روحي، ويخرب مصيري وصحتي. وفيما بعد عرفت أن الممثلة التي لعبت دور جولييت أدخلت المشفى بعد كآبة شديدة جداً. لكن يبدو أن الفن يجب أن يعطي نقاء النفس، وأن يؤدي إلى شعلة الاستنارة الروحية، لكن أين هذه الشعلة؟

شعرت أن هناك أمراً غريباً، لم أستطيع أن أفهم ما هو. والآن فهمت: إن المأساة الكبرى والحزن الأكبر في الدنيا هو الردة عن حب الله. وفقدان الحب الإلهي هو أكبر ضلال يسمح بنسيان الله والعودة عن الحب الإلهي، وهذا هو الحب البشري. أعطانا الله الحياة. وعندما لا نستطيع قبول فشل الحب الإنساني، ونقتل حياتنا وحبنا للرب عند انهياره، فإن هذه هي الرواية الأكثر حزناً على وجه الأرض.



فأيّ مسرحية يجب أن تؤدي إلى إيقاد الاستتارة الروحية، وهذا يعني انتصار الحب الإلهي على الحياة والحب الإنساني. لقد شعر بذلك الإغريقون القدماء، فكانت التراجيديات هي الفن الأحب إليهم في اليونان القديمة.

يبدو أن معرفتي بالدراما المعاصرة محزنة. فمنذ عام مضى ذهبت مع زوجتي إلى مسرحية موسكوفية شهيرة، حيث لعب ممثل مشهور إحدى الأدوار المهمة، وكان موهوباً ومرناً إلى درجة كافية، إذ عرض للمشاهدين بعض الفكاهة، وبعض المواقف الكوميديّة، بالإضافة إلى بعض مشاهد النزاعات المؤثرة. في الحقيقة كان من المستحيل فهم سبب النزاع وفكرة المسرحية. ببساطة لقد مشى الممثلون على خشبة المسرح وأنشدوا النص، وفيما بعد، لما كانت خطة النص لا تعمل من دون تراكيب عاطفية، وكان من الواضح أن أحداً لم يفكر، ويبدو أن الكاتب اللامع توفستونوغوف قد وصف هذا من زمن طويل، فالأمر يشبه كما لو أن العارض أو المقدم لا يفهم أبداً أين تكمن فكرة المسرحية، مع أن الفكرة كانت براقّة، فمن دون نزاع لا يوجد تطور، وفي هذه المسرحية كان النزاع رائعاً:

يمتلك رجل غني عجوز مالاً، وهذا يعني السلطة أيضاً، وهو يقود الجميع والكل يخضعون له. وطبيعي تماماً أنه كان يقرر وفق رؤيته من يجب أن يتزوج من. لكن في تلك الآلية المتقنة والباهرة تتدخل إرادة رفيعة تدعى الحب، ويبدأ البناء المسرحي بالتداعي أمام الأعين. فمشهد الذروة يجب أن يحدث عندما يعي أحد الأبطال المهمين فجأة تفاهة المال والمنفعة مقارنةً بشعور الحب، ويقدم البطل إلى الاختيار الصحيح. إن أكثر شيء إثارة هو أن العجوز الممتلك للسلطة، والحائز على المال، يتنازل أمامه، لكنه لم يستطع الاحتمال ومات. يجب أن نرى في هذا الموت انتعاشاً (انبعاثاً) للنفس، وهذا يعني أنه حتى في لحظة موت البطل الرئيس، وبالأصح تحديداً في لحظة الموت، يجب علينا أن نستشعر سرور الخلاص بالحب. أما أنا ففهمت ذلك فيما بعد فقط، بعد المسرحية. وبعدما جلست في القاعة قرابة ساعة مراقباً الممثلين الساكنين الذين راحوا جيئةً وذهاباً، وهلكوا في ترتيل النص، غير عارفين ما ضرورة هذا، أصبت بكآبة وحزن.



لقد كان مشهد الذروة في هذه المسرحية في تلك اللحظات، عندما هرولت إلى البوفيه. فلقد عايشتها عندما شربت خطأ ٣٥٠ غ كونيالك بدلاً من ٢٥٠ غ. ثم عدت إلى الصالة بسكينة، وجلست بهدوء كافٍ طوال الجزء الثاني للمسرحية. ولم يعد متوجباً على زوجتي سد المخرج ومسكي لكي لا أهرب. وفي النتيجة كان الانطباع العام لدي عن المسرحية غير سيئ. أما الزيارة الثانية لي إلى المسرح كانت في بيتربورغ منذ مدة قريبة، عندما قررت زوجتي تثقيفي بثقافة المسرح.

- وسأجعلك على صلة بفن حقيقي، بدلاً من مشاهدة المطربات أنصاف العاريات، وسماع أصواتهن السيئة.

أنا وافقت مطيعاً. ذهبنا إلى صالة صغيرة في مسرح بارز. الصالة غير كبيرة ومريحة. التفتُّ إلى كل الجهات: لطيف! أنا هنا للمرة الأولى وكل شيء يعجبني! جلسنا في الصف الأول.

بدأت المسرحية وبالتدريج أخذ الضوء يخفت. وعلى خشبة المسرح يخرج البطل الرئيس، والوحيد كما تبين فيما بعد. كان شاباً وممثلاً شعبياً معروفاً. لقد خرج إلى المنصة، وقام بعدة حركات وصمت. صمت قرابة عشر دقائق. ضحكت الصالة ضحكاً خفيفاً وترقبت، ثم بدأ هو بالكلام. كان من الأفضل لو أنه صمت فترة أطول. كان هذا مونولوجاً عنيفاً وهائجاً مستمراً وساخناً، ومن دون فكرة. يجب أن يكون النزاع موجوداً حتى في المونولوج، وعند ذلك سيكون ممتعاً. كيف يمكن أن يتراءى (يظهر) هذا؟ لنفترض أن شخصاً ما يشرح وجهة نظره، لكن من الواضح أنه ليس لديه موقف محدد، فموقفه ينقسم إلى رأيين متناقضين، وهو يحس بعدالة الاثنين، فيشابهك بينهما، وكلما كان النزاع أكثر حدة، وكان الموقفان أكثر تناقضاً، كلما كان المونولوج الذي يجب أن يتحقق في التوحيد العميق لكلا الموقفين ممتعاً، وهذا يعني انطلاقة (اشتعال) شرارة حب وشعلة الاستتارة الروحية.

لكن المخرج امتلك فكرته الخاصة. فأنا، لم أستمع إلى مونولوج كهذا. عشرون دقيقة انطلقت فيها من على خشبة المسرح اتهامات، واستياءات، واحتجاجات، موجهة إلى عنوان أحد ما في الأعلى. جلست محملاً في المسرح ببلادة، وانتابني شعور واحد: الاحترام الكبير للمثل الذي استطاع أن يتذكر النص غير



المترابط والكبير إلى درجة لا تصدق، ثم رتلته ببطولة. لقد آلمني رأسي. قد تكون مسرحية جيدة، لكنني لم أشاهدها حتى النهاية. جرى البطل الرئيس من زاوية للمنصة إلى أخرى بكل اندفاع ضارباً بيده العارض عند أطراف المنصة. أخذت زوجتي تسحبني من يدي مشيرة إلي أنه حان الوقت لنخرج.

ولما كنت لم أعد لشعلة الاستتارة الروحية، فإني ساندت اقتراحها بحرارة، فنهضنا، وتحت غطاء العتمة هربنا إلى المخرج بعجلة وسلكنا أمام الممر بين الصفوف حتى وصلنا إلى الجدار الجانبي، فأسرعنا إليه واتجهنا إلى الوراء، إلى الممر. وبينما نحن مسرعين على المدرج وراكضين نحو الأبواب لم نلاحظ الميل الحاد للمدرج، وتدحرجنا رأساً على عقب خارج القاعة، وبالكاد تمكنا من الانتصاب على أقدامنا، وخرجنا إلى الممر، وهكذا فإن مشهد الذروة تشكل عندي عندما هوت كل عظامي على درجات المسرح، ومع هذا نهضت.

- ماذا إذاً، ألم تتحملاً؟ - سألتنا بعناية المرأة التي تفتش على التذاكر عند الأبواب.  
- نحن هواة مسرح مبتدئون - وضحت لها -، ولا نتحمل جرعات كبيرة من الفن.  
عندما حدثت إحدى معاريفي عما جرى، لوحت بيدها وقالت: «لقد حالفك الحظ. لقد ذهبت إلى مسرحية منذ ثلاثة أعوام، وكانت هذه المسرحية من إخراج مخرج (على الموضة) ومغالٍ في التطرف، ولقد تفرجت هناك لحد الإشباع، فانقطعت عن دخول المسرح حتى الآن».

لقد خرجت عن الموضوع، وسأعود إلى السؤال عن الحيوانات. كنت في سوتشي مع زوجتي، ذهبنا إلى مكان بيع البيرة. وكنت أسمح لنفسي أحياناً بتناول البيرة التي تباع بالكأس، فهي أقل ضرراً للصحة. ولقد طلبنا دجاجة مدخنة وفطائر بالجبن والفسق... إلخ. اقترب مني قط انسل شعره، وأخذ بالنواء طالباً الطعام. ألقيت إليه ببعض الفتات، فتشجع القط، وقفز إلى جانبي على المقعد، وأراد الاحتكاك بي. أنا ضربت بكفي على المقعد: «بيس»!. ثم طردته، فاستغربت زوجتي وقالت:

- في البداية تطمعه، وبعد ذلك تقوم بطرده؟  
- بين الإنسان والحيوان يجب أن توجد دائماً مسافة. أتذكرين عند سانت اكزيوبيري «نحن مسؤولون عن كل ما نقوم بتدجينه». فلو قممت بمداعبته، فإن



العاطفة المتشكلة لديه قد تستمر لاحقاً، أي يجب علي أن آخذه معي. وإذا كنت سأتركه وأذهب، فإن هذا يعني خيانة إلى درجة ما.

سأورد حالة أخرى. كنت في الصيف في ضيافة أصدقائي. اقترب مني كلب ووضع رأسه على ركبتي، مسدت له بيدي، كان شعره حريراً لدرجة غير عادية، وكان هذا الكلب مخلصاً جداً. وفي لحظة ما أحسست أنه يجب التوقف وطرده الكلب بسرعة. لقد بدأ التحام داخلي، وهذا يخرب النفس. بالتأكيد لقد كان هذا معمولاً من الأعلى لنتذكر الرب. وكلما كان حب الخالق أقل، كلما كان خطر التصاق النفوس ببعضها البعض أكثر، وكلما كان شعور الناس بالحب تجاه بعضهم أقل. وإذا لم تتم مراعاة تقنيات الأمان، فإن التصاق النفوس يبدأ بالحدوث، ولا يوجد فرق فيما إذا كانت هذه العلاقات تربط بين الناس أو الحيوانات فهي تجعلنا في حالة لا مخرج منها. فإذا كان الحب قليلاً نضعف، نمرض وننقرض، وإذا كان الحب كثيراً نرتبط، نكره، نمرض ونموت.

لماذا كان سكان الأرياف أصح نفسياً من سكان المدن؟ لأنهم عملوا دائماً، وهذا يجعل الإنسان أطيب نفساً، ولأنهم حازوا على القطيع الذي كان عليهم أن يقوموا بذبحه في الربيع. وهذا يعني أنه يجب الحفاظ على مسافة ما بيننا وبين أي حيوان، وعدم الارتباط به. وبما أن الإنسان مخلوق ذو هدف، فإن علاقته بالكائن الحيواني أيضاً لها هدف بالنسبة له. فكما نتعامل مع الناس، يجب أن نتعامل مع الحيوانات، وكما نتعامل مع الحيوانات، يجب أن نتعامل مع بقية الناس.

كيف يظهر المجرمون في هذا العالم؟ في البداية يستسلم الأهل للرغبات ناسين الرب والحب، يلاحمون بين أنفسهم. لكن الإنسان يجب أن يكون وحيداً في داخله بشكل مطلق، وعند ذلك للتغلب على هذه الوحدة سيسعى إلى الوحدة مع الخالق، فإذا كانت العزلة الداخلية لا تكفي، فإن الإنسان يجب أن يصبح وحيداً خارجياً، لذلك ذهب الناس إلى الأديرة، وإلى العزلة الكنسية، وأدوا النذور. وإذا كانت السعادة العليا للإنسان هي الوحدة الداخلية مع المحبوب، فإن هذه النظرة إلى العالم ستؤدي بشكل لا مفر منه إلى العزلة الخارجية، أي ستكون هناك خيانات، طلاقات.. إلخ. وهذا ليس الأفضل، فقد يولد أطفال محرومون من المناعة الروحية، وأي شعور دافئ نحو الآخر



يجعل النفس تبدأ بالالتحام. وكم هو غريب أن يصبح الإنسان مجرماً لتخليص نفسه! فمن جهة هو يحس أنه لا يستطيع أن يحب الناس الآخرين، فهذا خطر بالنسبة له، ومن جهة أخرى يشعر أن العلاقة الأفضل بالإنسان الآخر، كما هي بالنسبة للعجل، الذي عليك ذبحه في الخريف. وهكذا فإن المشاعر مستوية، هادئة، ومن دون قطع جزئي.

نحن جميعاً نذكر قول يسوع المسيح: «أحبب القريب إليك، كما تحب ذاتك». ونحاول اتباع هذا القول، لكن هذا القول قد قيل قبل المسيح بمدة طويلة، وإذا نحن قرأنا العهد القديم، فإننا سنقتنع بذلك وهذا أولاً. وثانياً: نحن جميعاً نتذكر وصية المسيح عن حب الإنسان للآخر، ونسينا قوله الآخر: «أعداء الإنسان هم الذين في منزله».

إن الناس القريبين منا بالتحديد، بارتباطهم والتحامهم بنا، يقتلوننا، مجبرين إيانا أن ننسى الله، وأن نفقد الشعور بالحب الذي يصلنا به. فنحن لا نمتلك القدرة على التفكير، إذ نفكر فقط بالخير أو بالشر، باليمين أو اليسار، أما حقيقة أن يكون الأقارب خيراً عظيماً وطيبة بالنسبة لنا، وفي الوقت نفسه خطراً جسيماً لنفوسنا، فأمر يصعب علينا فهمه. لقد علمتنا الاشتراكية التفكير الجدلي، ويبدو أن أي دين يجمع بين الاهتمامات الإلهية والإنسانية، يساعد على التفكير الجدلي، وأحد هؤلاء المفكرين اللامعين كان يسوع المسيح.

لكن قبله بمدة طويلة في اليهودية، وفي الفلسفة الهندية، كانت هنالك أمثلة عظيمة للتفكير المتناسق. فمنذ عدة سنوات عرفت بدهشة أنه في الفلسفة الهندية يوجد مفهوم فضيلة الأزواج، فالفضيلة لا يمكن أن توجد مستقلة بنفسها، وهي يجب أن تتوازن بواسطة نقيضها، فيمكن أن يصبح الإنسان الكريم مبذراً ومُسرفاً، لذا فإن الكرم يجب أن يوازن بالاعتدالية، ويجب أن تتوازن الشجاعة بالحدز، والحب بالابتعاد، وطيبة النفس بالقساوة، والاتصال بالناس بالعزلة، وهكذا بالنظر إلى المنجزات التقنية الحديثة، نحن نسمي أنفسنا حضاريين وحكماء. أما في واقع الحال نحن فقط نتعلم أن نفكر، ولا نوفق دائماً في هذا الأمر. ماذا يعني العقل؟ إنه التفكير المجرد. فلكي نتجرد عن الكرسي الذي نجلس عليه، يجب علينا أن نشكل مفهوم «الكرسي»، وحتى يتم هذا يجب علينا



أن ننفصل عاطفياً عن الارتباط بكرسي محدد، وأن نحافظ على العلاقة مع جوهره.

لكي نقطع العلاقات الخارجية، لا بد من المقدرة على قبول الألم، والمقدرة على كبح الارتباط والرغبات، والمقدرة على الامتناع عن العلاقات المعتادة، ومن ضمنها الحياة نفسها. ولكي نحفظ الوحدة مع جوهر الظاهرة أو المادة، يلزمنا الشعور بالحب. إن هذا يعني أن المشاعر العليا والوعي المتطور أشياء غير ممكنة من دون حب الله، فهو فقط الذي يعطينا القدرة على قطع الصلات، والانكفاء جانباً عن الشيء المحبوب، مع الحفاظ على حبنا لهذا الشيء على أنه ظاهرة إلهية.

أما جملة «مالك الحيوان هو ربه» فإنها غير دقيقة تماماً. إن الحيوان يتعلم من سيده، ويقلد عواطفه. لماذا يربي الناس حيوانات؟ إن أي تعامل مع إنسان آخر هو دائماً خصومة، أي شدة مرض، واتهامات واستياءات. ونحن نعرف أن الاتهام والاستياء لا يوجه إلى الحيوان. لهذا السبب فإن التعامل مع الحيوانات يساعدها على أن نحب بنزاهة.

فالناس المبدعون على سبيل المثال لديهم في كثير من الأحيان ولع ما، لماذا؟ لأن إعطاء القدرة كبير جداً، والهدف هو السرور، المتعة والانشغال في حده الأدنى. لذا فإن المهمات الاستراتيجية العليا التي تبدو فيما بعد على أنها ضرورات حياتية، تظهر (تتعاكس) في البداية على شكل لهو بريء وشغف وولع، ولهذا السبب فإن التعامل مع الحيوانات يمكن أن يؤثر بشكل نافع في الصحة. بالمناسبة، لاحظ المختصون أن الأطفال الذين لديهم مشكلات جسدية ونفسية يحسون أنفسهم أفضل بكثير عندما يهتمون بالحيوانات ويتعاملون معهم. ويذكرنا المختصون بالدلافين والأحصنة... إلخ. أما عندما يتحول الحيوان بالنسبة للإنسان إلى مخدر يسمح له بالهرب من الضغوطات والآلام، وعندما نعوّده ونعوّد ذاتنا فقط على العواطف الإيجابية، فإن أي حالة صعبة تنمو على نحو لا يصدق. إن أي متعة يمكن أن تتحول إلى مخدر. وإذا نحن نسينا حب الله، فإن المخدر الأكثر قوة بالنسبة لنا سيكون الجنس والحب البشري.

أقلب بين رسائل الأسئلة، وأعود في أفكاري إلى أحداث العام الماضي. ماذا لو كانت الأرض تستجيب فعلياً لقدرتنا نحن؟ في أمريكا لم يمر القانون عن تشريع



الهجرة، ولكن ماذا إذا أقروه؟ عند ذلك قرابة ١٥ مليون سيركزون على السعادة البشرية. ما الذي يمكنه أن يحميهم من البهجة التي أصبحت خطيرة؟ لا القانون الجنائي ولا التشريع. إن المنقذ لهم هو ما يقع في قاعدة هذه القوانين، إنه التصور والفهم الفلسفي الديني للعالم. وهو في أوروبا وأمريكا مركز على المنفعة الحياتية، لذلك فإنه سيأتي زمن سيكون الابتهاج فيه خطيراً.

في روسيا ومنذ مدة غير بعيدة، كان التصور وحيداً، وهو الاغتناء. وتدرجياً تبدل بتصور آخر وهو إنقاذ البلاد. كيف سيكون التصور في القريب العاجل؟ أمممكن أن يسير الأغنياء والمقتدرون على طريق غير الطريق الأمريكي؟ هل سيظهر من جديد: تريتياكوف، موروزوف، مامانتوف، أورلوف<sup>(١)</sup>، والذين بفضلهم أصبح الكثير من الفنانين الفرنسيين مشهورين؟ لقد وظف التجار والصناعيون الروس أموالاً هائلة في تطوير الثقافة والفن. ففي روسيا قبل الثورة بدأ يتشكل تصور عن الاهتمام ليس فقط بالطعام الضروري جداً، بل وبالنفس أيضاً.

أعتقد أن الأمور عندنا ستتعدل في زمن معين، وستتبع أساليب جديدة في ذلك العمل الذي تلزمه قدرة هائلة، وسرعة بديهة، وحس، وذكاء عالٍ، وقدرة على التفكير. إن هذا العمل سيكون حتماً في متناول يد القطاع الخاص. أما المواد الخام وتلك التي تحتاج إنفاقات دنيا، وتعطي بالمقابل عوائد ضخمة ستذهب إلى الدولة التي يجب عليها أن تخلق الشروط اللازمة لاستمرار أولئك الأذكى والمقتدرين بالعمل الخلاق.

من حيث المبدأ، الإنسان الغني هو حصان نقل يهرب إلى الأمام ويجر خلفه البلاد كلها، ولديه تصور واحد هو كسب المال، وفي وعيه الباطني هو يسعى لإعطاء قدرة باستمرار، وهذا هو التطور وإدراك الإلهي. المال هو وسيلة فقط، لذا فإن الإنسان الغني عندما يحقق وضعاً محدداً، فإنه يتوجه إلى السياسية على الرغم من أن هذا قد يسبب له خسارة حريته وحياته.

وفي واقع الحال، كلما أعطى الإنسان قدرة وتطور بشكل أقوى، كلما كان التوقف بالنسبة له أخطر، لهذا السبب فإن التجار الروس الذين اشتروا رؤوس

---

١- ظهرت هذه الجماعة من الرأسماليين في روسيا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قبل الثورة البلشفية ١٩١٧م.



أموال ضخمة، سعوا إلى السياسة. فأضخم معرض فني في العالم كان قد أوجده تريتاكوف الذي اندفع في الفن على نحو أفضل من أي مختص، وكان إذا اشترى لوحة من رسام ما، فإن الأخير يصبح مشهوراً. لقد نقل تريتاكوف ملكية معرضه هذا إلى الدولة دون مقابل، وأوصى بأن يسمح للناس بالدخول مجاناً. وإذا ظهر الآن في روسيا تصور ينظر إلى التطور ليس فقط عبر المال والسياسة، فإن أولئك الذين يحنقون لا إرادياً الأخلاق والروحانية والحب، سيؤدون إلى إنقاذ هذه الأشياء. وعند ذلك فإن الغنى والثقافة مع بقائها تجارية ستكون موجهة في الدرجة الأولى إلى إنقاذ النفس وليس الجسم. ولهذا يجب أن يكون هنالك تفكير جديد.

يجب أن يتصل العلم بالدين. لماذا منع الدين من فتح قبور الميتين؟ لأنه كان يعتبر أن الإنسان كائن إلهي، وهذا يعني أنه لا يجوز السماح للعلم أن يحشر نفسه فيه، وإلا فإن الإيمان بالله سيسقط. وبما أن الأرض قد خلقها الله، فإنه لا يجوز الاعتراف بها على أنها كرة عالقة في الفراغ، ولا يجوز حساب مسارات الكواكب، فإذا كان قانون الجاذبية وقانون العطالة هما اللذان يقودان الأرض، فإنه لن يبقى مكان للرب.

يعرف الآن العلم كثيراً عن جسم الإنسان، وتمكن من سبر ومعرفة ما كان دائماً من صلاحية الدين، ألا وهو النفس الإنسانية. وهكذا تنشأ هنا حالة أخرى: بقدر ما قام العلم من دون أي تعاون مع الدين بدراسة ومعرفة المناهج المادية والأغراض الفيزيائية، بقدر ما اصطدم أثناء دراسته للمستويات الدقيقة بمنطق من ترتيب آخر. فلقد أصبح العلماء يتوصلون إلى النتائج نفسها التي توصل إليها ممثلوا الأديان منذ القديم الغابر. إن العلم يشد إلى الدين، والدين يتطلع إلى العلم، وسأشرح كيف يكون هذا:

منذ عام مضى كانت عندي جلسة مع رجل، وعندما انتهت الاستشارة، أخرج هو علبتين من البلاستيك ووضعهما أمامي على الطاولة، ثم سألني:

- أيمكنك اختبار محتوي هاتين العلبتين؟

هزرت كتفي:

- نعم أستطيع، ولماذا يلزم هذا؟



- سأشرح لك فيما بعد.
- حسناً ، وماذا يوجد في هاتين العلبتين؟
- إنها ثمار فول الصويا ، ولن أقول شيئاً آخر. انظر فيها من فضلك.
- حسناً إن قدرة المادة الموضوعة في هذه العلبة معتدلة ، أما في هذه العلبة الثانية ، فإن مستوى التركيز على الرغبات أكبر من المستوى الحرج ب ٧-٨ مرات.
- ماذا يعني هذا؟
- هنا توجد عدوى معلوماتية ما. فعند الرجال المستهلكين لهذا المنتج يمكن أن تهبط الفعالية ، وترتفع العدائية ، وتضعف المناعة ، وعند النساء يمكن أن يحدث عقم ، وأمراض سرطانية ، وخصومات في الأسرة وانفصال.
- أنت تريد أن تقول إن الطعام يمكن أن يخرب صحة ومصير الإنسان؟
- بالضبط كذلك في هذه العلبة توجد ثمار الصويا المعدلة وراثياً.
- وينتج أن الشعب الذي سيستهلك هذه المنتجات سيختفي عن سطح الأرض؟
- ممكن تماماً.
- وكيف تبدو بقية المنتجات المعدلة وراثياً؟
- على الأرجح ، على نحو محزن كذلك.
- وفيما يكمن السبب برأيك؟
- يمكن أن يكون التبدل السريع هو الذي أعطى هكذا نتيجة. ولكن على الأرجح هنا فعلت عواطف الإنسان فعلها.
- على أي شكل؟
- إن الـ DNA تتعلق بالبنى الحقلية الدقيقة ، ونستطيع نحن أن نسميها النفس. DNA هو تضاعف مادي للبنية الحقلية القوية جداً التي كتبت فيها كل مراحل وجود الغرض ، وهذا في الجوهر هو النفس. إن التدخل في نفس إنسان آخر خطير جداً ، ويمكن فقط للقديس أن يفعل ذلك ، أما الآخرين فإنهم قد يسببون بتدخلهم تلوثاً كبيراً. وهذا ما يحدث من حيث المبدأ في العلاجات الحديثة. فالتصورات لدى المعالجين الحديثين مقلوبة رأساً على عقب ، وهم يفكرون كالأطباء. فإذا لم يكن هناك تأثير خارجي سريع ، فإن المعالج لن يحصل على المال ، لذلك فإن طاقته



تتركز على الصحة الفيزيائية للمريض ، وعلى تحسين صحته وحياته ، ومن الطبيعي أن يسبب هذا أذى للنفس. إن نفسية المادي تؤثر في المستويات الدقيقة ، والمادية قاتلة في هذه المستويات.. لكن عندما يقوم المعالج المتعلق بالمال والرغبات والحياة بعلاج أحد الناس ، فإن هذا عبارة عن نصف مصيبة. أما عندما يقوم العالم الذي لديه المشكلات نفسها بتشكيل منتجات غذائية جديدة ، فإن اتساخ نفسه سينتقل إلى الملايين. والآن أصبح العلم يخرج إلى تلك الحدود ، حيث لا وجود للمفاهيم الدينية والأخلاقية ولنقاء النفس. فأصبح أي عالم بمثابة قاتل محتمل للإنسانية.

- إن ما تقوله فظيع! هل تخفى هذه الآلية عن الجميع؟

- إنها معروفة منذ آلاف السنين ، خذ اليهودية: لماذا لا يجوز فيها خلط الحليب مع اللحم في الطعام؟ في كتابي الرابع بادلت بالأمكنة بين الحليب واللحم. بعد تناول اللحوم لا ينبغي شرب الحليب قبل ٦ ساعات ، وقد أخذت الفكرة حتى من دون أي استقصاء. فاللحمة في وعينا الباطني ترتبط مع آلية الموت والدمار ، والحليب هو الحياة والحب.

فعندما يأكل الإنسان اللحم ، فإنه على المستوى الدقيق يحدث لديه اضطهاد للحياة والجنس والحب الإنساني ، لذلك فإن الغيورين ، أي الناس المتعلقين بالحياة والجنس ، في كثير من الأحيان يعانون من استهلاك اللحوم بشكل مرتفع ، وهذا يسمح لهم بالتوازن. لماذا يمتنع أحياناً الأطفال الذين ترضعهم أمهاتهم عن الحليب؟ إذا كانت الأم جنسية ، كثيرة الاستياء ، عصبية ، فإن حليبها يقوي لدى الطفل الانشداد إلى الحياة ، كما يقوي العدائية ، ويؤدي بالتالي إلى مرضه. وهذه هي الآلية كلها. فماذا يحدث لطاقة الإنسان الذي يأكل اللحم ويشرب معه الحليب؟ في البداية يقلع برنامج ضغط وتدمير القدرة الجنسية ، وبعد أخذ الحليب ينشط التركيز على الحياة والقدرة الجنسية ، وطبيعي أنها ستتبدد بسرعة. نقول ببساطة: إن هذا النمط من التغذية إذا لم يجعل الإنسان عنيفاً ، فإنه كحد أدنى سيسبب له مشكلة من الناحية الجنسية.

لكن الأمر يكمن في أن القدرة الجنسية ، والقدرة الإبداعية ، وقدرة الحياة والمناعة ، هي كلها أشكال مختلفة لقدرة واحدة دقيقة. أي إن الإنسان الذي يشرب



الحليب مع اللحمه يمكن أن تسوء لديه المقدرات الإبداعية ، وفي نهاية المطاف يسوء المصير برمته. إن الطعام في اليهودية هو نقاء معلوماتي للمنتجات ، وهو تأثير متبادل لأشكال مختلفة من القدرة.

توجهت إلى الرجل وقلت: أتعرف ما هي الاستنتاجات التي يمكن أن نستخلصها من هذه الحقيقة؟

فأجبت على نظرتة المتسائلة:

- الاستنتاج بسيط: إن أغلب هذه المنتجات تدمر الإنسان معلوماتياً ومن حيث القدرة. فخذ البيرة مثلاً: الكثير من الأمراض تشفى بواسطة خمائر البيرة. لماذا؟ لأنه يحدث فيها اشتعال (قدرة) لطاقة الحياة كما في البذور البسيطة ، لكنني عندما شربت البيرة شعرت بانزعاج في الأمعاء. ومنذ عامين منصرمين كنت في تشيكيا ، وشربت من البيرة التي تباع بالكأس ، وكنت مندهشاً جداً إذ لم تظهر عندي أي آثار للانزعاج. أخذت أحلل: لماذا تؤثر في البيرة الروسية المعبأة بزجاجات كالسم؟ لقد أصبح كل شيء مفهوماً بالنسبة لي منذ مدة قريبة: إنها المواد الحافظة ، فهي تقتل الحياة ، وبالتالي القدرة الجنسية ، أما البيرة ذاتها فتحتوي على برنامج معاكس.

ما الاستنتاجات؟ إنها تطرح نفسها بنفسها: إنها العناية عند الشباب ، وهي خراب للأسرة ، وخسارة للإمكانات الإبداعية ، وهي مأزق للحكومة بشكل عام. وقد لاحظ العلماء منذ القدم أن البيرة تخفض من الفعالية ، وتقود إلى ظهور أمراض وعائية قلبية ، لكن صناعة البيرة التي توظف المليارات تخفي هذه المعلومة.

إن التجارة تقتل النفس ، والعلم يقتل الدين ، أما ما يحدث الآن هو أن أي بقرة أو أي دجاجة تحقن بالهرمونات لتسريع النمو ، وفي الوقت نفسه تعطى المضادات الحيوية ، وينتج عن هذا هبوط في المناعة ، وهل تظن أن هذا يحدث دون أن يترك بصمات على سكان أوروبا ، وعلى أولئك الذين يستهلكون طعاماً قادماً من هناك؟ أتظن أنني مصادفة ربطت بين الطعام الرديء واللواط؟ تخيل أن إنساناً يأكل دجاجة أو لحم خروف نشأ في أوروبا ، ويحتوي على هرمونات النمو التي تقوي التركيز على الرغبات والقدرة الجنسية ، وفي الوقت نفسه المضادات الحيوية المخربة



لها. يأكل الإنسان هذه المنتجات وتتخرب لديه احتياطات الطاقة الجنسية، فهي لم تعد تكفي أطفاله في المستقبل، لكن على الرغم من كل هذا إذا أنجب أطفالاً فإنه سيموت، ويمكن أن ينقذ بهذا حياتهم. أما إذا كان موت الوالد غير كافٍ، فإن الأولاد عند ذلك يجب ألا يولدوا حتى يحدث تغير في التوجه الجنسي.

قال محدثي:

في الأمر تناقض، ففي الأعمال النموذجية وفي جوقات المنوعات الآن كثير من اللواط، وهذا يناقض استنتاجك.

- على العكس إن هذا يدعمها. إن المسرح، يتطلب ضياعات كبيرة في القدرة النفسية. فإذا كان الحب غير كافٍ، فإنه يجب أخذه من مكان آخر. سابقاً منذ الوعي الباطني ذلك على الشكل التالي: من أجل خلق إنتاج إبداعي يلزم اندفاع قدرة كبيرة، وفي هذا خطر. ومن أجل الحفاظ على النفس يجب كبت المقدرات والمواهب. أي إن الحب كان أهم من النجاحات الإبداعية، ومن المجد والشهرة وغيرها. أما التصور العصري للمجتمع، المدعوم بالأخلاقيات، فيسمح بالذهاب إلى كل شيء من أجل تحقيقه النجاح، فيحدث تثليم للمستويات الدقيقة، أي للنفس، وعند ذلك يبدأ نهب المنهجيات الاستراتيجية التي تضمن البقاء المستقبلي.

والمقدرة الإضافية يمكن استخلاصها عن طريق الجنس، حيث يسير (يجري) بشكل أوتوماتيكي اندفاع القدرة المدعمة بملايين السنين من التطور. ويمكن استخلاص هذه القدرة بواسطة الكحول والمخدرات، ويمكن استخلاصها عن طريق تدمير النسل، فهذه القدرة من حيث المبدأ ليست خلاقة بل مدمرة.

منذ مدة غير بعيدة شاهدت في التلفاز معشوقاً للشبيه المعاصرة كتب على قميصه الداخلي: «روك، جنس، مخدرات». وكان يجب أن يكتب (لوطي)، فهذه المفاهيم أخذت تترابط أكثر في الآونة الأخيرة.

- قل لي، لماذا يحظر استخدام دم الحيوانات في الطعام؟ وهل يمكن شرح هذا من وجهة نظر دراساتك؟



- بالطبع. في البداية سأحدثك بقصة قصيرة: يعمل أحد معارفه بالإلكترونيات. قال لي ذات مرة بطريقة ما: «سأخبرك الآن بمعلومة مثيرة جداً: إن دراساتك تصلح حتى للإلكترونيات؛ تصور دائرة من عدة وحدات مترابطة فيما بينها، ولديها منبع تغذية مشترك واحد. إن لهذه الوحدات حلقة معلوماتية وحلقة قدرة. فإذا تم وصلها على التسلسل ثم وصلت إلى منبع التغذية، فإنه سينشأ تشويش معلوماتي، أما إذا تم وصل كل وحدة إلى بطارية بشكل مستقل، فإن التشويش المعلوماتي سوف لن يلاحظ. ما الذي ينتج؟ ينتج أن حلقة القدرة هي في الوقت نفسه حلقة معلوماتية. إذ إننا نحصل - إلى جانب القدرة - على معلومة. إذا طبقنا هذا على الناس، فإن الدارة تبدو على الشكل التالي: عندما ينسى الناس الإله، فإنهم يبدؤون بالانغلاق أحدهم على الآخر، وينشأ انهيار معلوماتي يتقوى فيما بعد، ويقود إلى انهيار المنظومة».

فالدّم في العضوية هو حلقة قدرة، وفي الوقت نفسه حلقة معلوماتية. إن الإحساس بالوحدة الضرورية للجسم يؤمن ليس فقط بواسطة الجملة العصبية، بل وبواسطة الدم أيضاً. وكأنّ الدم يحمل في نفسه إدراك (تصور) الكائن الحي، وتوجهاته القيمة. ولقد ذكر هذا في العهد القديم، حيث قيل إن نفس الحيوان محتواة في دمه.

على هذا الشكل، فإن الإنسان يجب أن يحصل من اللحم على القدرة الأقصى والمعلومات الأقل. يمنع في اليهودية استهلاك لحوم الحيوانات الجارحة، وكذلك الطيور والحيوانات التي تتغذى على الجيف، لأن العدوانية وأكل كل شيء أمور مسموحة للحيوانات، لكنها يمكن أن تقود الإنسان إلى نتائج سيئة. لقد لاحظت باستغراب أن لثتي تؤلمني عندما أأكل من تناول لحم الخنزير. وهذا يعني أنه يحدث لدي لمعة تركيز على الرغبات. فالخنزير المنزلي حيوان آكل لكل شيء، وهو لا يكبح رغباته بشيء، والخننازير الصغيرة البريئة يمكن أن تأكل بشراسة زميلها المستضعف أو الميت، ومع المأكولات المعدة للبشر تحصل الخنازير أيضاً على التلوث المعلوماتي.

بالمناسبة، لماذا تكون أسعار السمك البحري ضعف أسعار السمك الذي يربى اصطناعياً مرتين؟ يقول هورمان أحد ذواقي الطعام: لأنه ببساطة أطيب، وهو محق. لكنه ليس فقط أطيب، بل أنقى معلوماتياً، أي أكثر صحة.



- وأي ماء يعتبر شرعياً (كوشير)، أتعرف؟ - أتوجه إلى محدثي وأتابع: النقي معلوماتياً. فإذا كان في الزجاجة قبل هذا الماء شيء آخر، فإن الماء لا يكون نقياً. لماذا يجب سكب شيء من النبيذ على الأرض، وحرق قطعة من الخبز المخبوز جيداً؟ إن في ذلك إذلالاً للرغبات وللحياة، وفدية معلوماتية، تحسن المركبة المعلوماتية المنتج. لماذا في العالم أغلب الطهارة من الرجال؟ لأنهم أقل تشبهاً بالرغبات والحياة.

حدثني أحد الناس بقصة مثيرة عن صديقه الذي يمتلك قرابة عشرة مطاعم، إذ قال: «أتصور؟! ما إن يُفتح مطعم جديد، حتى يغص بالناس، ويعود على صاحبه بمبالغ كبيرة تغطي بها في البداية النفقات، ويتم تسديد الديون، وتبدأ المنشأة تعمل بربح صافٍ وفجأة تختفي الناس علماً بأن الطباخين لم يتغيروا، فنوعية الطعام كما هي، والمظهر الداخلي للمكان على حاله، لكنه خالٍ من الناس».

أعود إلى حديثي الذي بدأت به: نحن جميعاً نتكلم عن الحالة الكارثية في البيئة: عن الغابات الآيلة إلى الزوال، الأنهار الملوثة بالسموم، الحيوانات والأسماك المنقرضة. أما عن ملوثات نفوسنا، ومن بينها الطعام، فإنها شيء أكثر خطورة بكثير. وإذا كان العلم سيسود كالسابق من دون أخلاق على مساحات جديدة، فإننا سنرى العواقب بسرعة بالغة. فالطب الحديث والعلم يريدان تحسين وتشغيل نفوسنا كأجسامنا، وذلك دون أن يفهما أن النفس تعيش وفق قوانين أخرى.

- قل لي، أمن الممكن أن يكون من الأفضل الامتناع عن اللحم والسمك، والتحول إلى النباتات؟ وهل الاكتفاء بالنباتات جيد أم سيئ؟

- لقد حان الوقت لكي نتوقف عن الأخذ بنماذج التفكير التي تقسم العالم إلى خير وشر. لا توجد حالات سيئة وجيدة، توجد حالات طبيعية. ففي حادثة ما يمكن أن تكون النباتية خيراً، وفي حادثة أخرى شراً. وسأوضح ذلك بمثال: حدثني بهذه القصة رجل أعمال، وهو ذاته كان مولعاً بالفلسفة الشرقية، وكان نباتياً. لقد كان إنساناً روحانياً جداً ولطيفاً. قال: «عمل في ورشتي شخص كان يبدو أنه عصبي جداً ومجروح، فلقد كانت لديه قصة حب تعيسة، ومن ثم محاولة انتحار. لكنه بقي. بعد هذا أصبح كرشنياً، وأقلع عن أكل اللحم، واعتزل داخلياً عن كل شيء وأصبح إنساناً سعيداً. وفيما بعد وقع في الحب مرة ثانية. في البداية



كان كل شيء جيداً ، أما بعد نشأت الخصومات. لقد عايش ما حدث بألم بالغ ، وبعد مدة قصيرة مات في ظروف غامضة ، ويشكون أنها عملية انتحار ، فهو لم يرد الحياة. أتى للعمل في مكانه شخص آخر ، كان يلتهم اللحم بالكيلوغرامات. وهو طوال الوقت يمضغ شيئاً ما.

كان واعياً دائماً ، وفكر فقط بمصالحه ، وأصبح يطالب برفع الراتب ، وقد شرحت له: أعمل وأظهر نفسك ، وعند ذلك نرفع لك الأجر. أجابني: «لا ، أنت ادفع لي في البداية ، وبعد ذلك سأعمل أنا». وفي مرة من المرات اقتربت من طاولة عمله ورأيت مرساة مربوطة بمصباح الطاولة ، وفي نهاية المرساة علق كرتونة مرسوم عليها مرساة مع عقدة في نهايتها ، يتدلى منها دب مشنوق يشبه الدب الأولمبي ، وفي عينيه غرزت دبابيس ، ورسم تحته شعلة نار تحترق. سألته ببلادة عن السبب الذي فعل لأجله كل هذا! تصور ماذا أجابني؟! «أردت أن يكون العمل مريحاً كالمنزل».

تصور أي راحة منزلية لديه؟ أنا أعرف أنه لا توجد مصادفات ، لكنني لا أستطيع أن أفهم لماذا ظهر هذا الشخص في ورشتي. لقد مرض هذا الشخص فيما بعد ، وصرف من العمل.

هل يا ترى يتعلق ظهوره بي أم لا؟

فأجبت أنا:

- بالطبع يتعلق. هذه هي صورتك في المستقبل.

فقال محدثي منصعقاً:

- لكن لا يوجد بيني وبين هذا الشخص أي شيء مشترك على الإطلاق.

- جيد ، دعنا نناقش الأمور بالترتيب:

أنت لا تعجبك الورود المقطوفة ، حتى الجميلة جداً.

- نعم.

- أنت لا تستطيع تحمل منظر الدم.

- نعم.

- في طفولتك كنت تخاف من الوحدة والظلام.

- نعم.



- لديك تركيز عالٍ على الحياة. ويشكل لك تدمير الرغبات والحياة بالنسبة لك ألم كبير، وأنت أصبحت نباتياً لأنك لا تتحمل موت كائن حي آخر.  
- وهل هذا سيئ؟

- هذا جيد عندما لا تصبح الحياة أهم من الحب، أما عندما تصبح قيمة الحياة مطلقة، فإن الرعب يشتد بحدة، ويتفاقم الخوف من فقدان الحياة، ويزداد العداء لمن ينتقص منها. وعندما تتكدس كل هذه المخاوف حتى بلوغ حد معين، تنشأ علاقة عكسية، وتتحول عبادة الحياة إلى كراهية نحوها، وتظهر حاجة ماسة لتدميرها، ويصبح قتل كائن حي آخر أو عذابه وألمه مصدر متعة، ولذلك بالتحديد أرسل إليك بهذا الشخص. أما هو فمرض وترك العمل، على الأغلب لأن السعي عندك لله قد أزال إلى درجة ما عبادة الحياة. فلو أنك حاكمت هذا الإنسان، وحملت تجاهه عواطف عدائية، لكنت قد ربطت نفسك بالحياة على نحو أقوى، ولكن قد أحس نفسه أكثر راحة. أما عندما فرضت النظام على مشاعرك، فإن هذا الوسط لم يعد صالحاً بالنسبة له. وإذا بدأ إنسان كهذا بالصلاة للرب، فغالباً يمرض بشدة، وفي هذا إنقاذ له، فالحياة والحب مترابطان على نحو وثيق، وغالباً إذا قتلنا الحياة فإننا نقتل الحب.

من يستطيع أن يصبح نباتياً من دون عواقب خطيرة على صحته؟  
إنه ذلك الإنسان الذي تتسامى روحه إلى الرب والحب. فيمكن للنباتية أن تقوي قدرة المستويات الدقيقة، وهذا يعني أن تقوي عصبية وعدائية الإنسان المتشبث بالحياة. وقد لاحظ الكثيرون أن النباتيين في كثير من الأحيان يكونون عدائين على المستوى الروحي، لذا فإن الإنسان العادي الذي أمضى حياته نباتياً في بلد حار وجنوبي، حيث تمنح الشمس القدرة الضرورية، فإنه في الحياة القادمة يمكن أن يولد في الشمال، حيث الشمس غير كافية، وحيث لا بد له من تناول اللحوم لمساندة حياته. وكمثال: إذا ركز الكاهن على الإلهي، صلى، وألقى عنه المخاوف والتأسفات والأحزان، فإنه يمكن أن يحس نفسه رائعاً، أما إذا نشأ لديه عدم رضا من نفسه، أو استياء من الآخرين، فإن الحمية القاسية يمكن أن تؤدي به إلى الوهن والمرض، فالطعام الوفير يربطنا بالحياة والرغبات، أي يعطينا قوى خارجية



وقدرة سطحية يأخذها من المستوى الدقيق، وهذا يعني أنه كلما مضى الإنسان في التطور، كلما كان استهلاكه أقل ليس للحم فقط، بل ولمختلف المنتجات.

في السنين القليلة الماضية لاحظ الناس تغيرات غير عادية على ذواتهم، فالكل أصبحوا يأكلون أقل، بغض النظر عن الدين والنوع والقومية، ولم تعد المشروبات الكحولية تفرحهم، وقل الانشداد نحوها. ومنذ سنين كثيرة أجريت مراقبة أدهشتني: أتى وقت الغداء، وأنا لم تكن لدي رغبة بالأكل. في المساء وجدت نفسي بشكل غير متوقع مع مجموعة من أصدقائي، حيث أكلت حتى التخمة. الذي حصل أن بطني عرف مسبقاً ما الذي يحدث، وإذا أكل الجميع على نحو أقل الآن فإن النتيجة واحدة، وستكون لدينا القدرة الدقيقة الضرورية للتكيف مع الظروف الجديدة غير كافية. فلكي نبقي، يجب علينا أن نغير ليس فقط عواطفنا وأسلوب تفكيرنا، بل يجب أن نغير غذاءنا ونمط حياتنا.

أثناء الهزة الأرضية في جنوب شرق آسيا لم يمت أي حيوان. أي يمكن أن تكون في المستوى المعلوماتي نفوس الحيوانات أنقى من نفوس الناس؟ فنحن اعتدنا أن نفكر أن التطور هو منفعة فقط. وفقط منذ مدة قصيرة أصبحنا نلاحظ أن التطور الذي يحدث على حساب النفس عبارة عن انتحار بطيء. والآن فهمنا لماذا عوقب بروميتيوس الذي أهدى الناس النار. والنار هي دفء وراحة وتوفيق. ولماذا التقط النسر تحديداً كبد بروميتيوس. والكبد هو الجهاز الذي يفوق باستشعاره للمستقبل أي عضو آخر. أي إن فكرة الأسطورة، المترجمة إلى اللغات الحديثة، تبدو على الشكل التالي:

إن الإنسان الذي نسي نفسه من أجل الراحة والتوفيق لا يملك مستقبلاً. ومستقبله يتضور ألماً ويتعذب ويتفتت. والنفس هي جسم كذلك، لكنه موسع (منشور) في الزمن. والعناية بالنفس هي عناية بالبقاء المستقبلي. والضمير والأخلاق هي مفاهيم استراتيجية. ولم يبق لدينا الكثير من الوقت لنفهم هذا.



## خاتمة

نحن نستقبل العام الجديد في المطعم. وقد رفع الكأس من أجل الديك وخصاله الأفضل: الشجاعة، الهمة، القدرة. ولكي تتجسد هذه الصفات فينا، شربنا كلنا في جو من المودة (الصداقة). أما أنا فلم أضبط نفسي وأردفت قائلاً عند رفع الكأس الثاني: «أعرفون ما الذي يذهلني في الديك؟ تتراكم الدجاجات الجائعات ومعهن الشيف. واضح أنها جوعى. عندما تلقى إليها قطع الخبز، يتراجع الديك عنها كالجأ رغبته في نقرها، ليفسح المجال للدجاجات - ولا سيما الأوائل - لتأكل منها. إن هذه المقدرة على كبح الذات أمام الرغبات تسمح له ليس بقيادة الدجاجات فحسب، بل وتضمن سلالة سليمة.

بالمناسبة أتعرفون متى يذبحون الديك في القرية؟

نظر الكل إلىّ بتساؤل.

- العلامة الأولى التي تقول أن الوقت قد حان ليوضع الديك في الحساء، هي أنه يبدأ باختيار الفتافيت، لذا فإني أرفع الكأس لكي يجلب لنا القدر العطف، وأن يكون سلوكنا جدير بذلك.

ترتفع كؤوس أخرى، وهناك من يقترح شيئاً غير عادي:

«عندما نقود نفوسنا بشكل صحيح، عندما نضحى، نعتني ونصلي، نحن نأمل في كثير من الأحيان، ونحسب أن الرب يسمعنا عاجلاً أم آجلاً، وإذا كان ليس في غضون ١٠-٢٠ سنة، فليكن في عالم ما بعد الموت، فلنشرب من أجل أن نقوم بأعمالنا الصحيحة بنزاهة، ودون انتظار مكافآت».

رفع الجميع الكؤوس، وهنا لم أتمالك نفسي وأضفت «بالفعل، لا ضرورة لانتظار المكافآت، لأننا نحصل عليها لحظياً. ففي تلك اللحظة عندما نحب، ونضحى، ونعتني، ونكبح نفوسنا على المستوى الدقيق، فإننا نكون قد كوفئنا،



لكننا لا نعلم عن ذلك شيئاً. وفي هذه اللحظة نلامس الإلهي، ونتحسس الوحدة معه، فأني عطاء أعلى من هذا؟»

شرب الجميع، فرحوا، رقصوا. وأنا جلست أراقب العيد. فكيف سيكون هذا العام لسكان الأرض؟ كيف سيكون لروسيا؟ نعم لديها الآن مشكلات كثيرة، وقد كانت منذ خمسة عشر عاماً في نظام مشاعي. وفي أعوام ١٩٩٥-٢٠٠٠ كانت في نظام عبودي. ومنذ عام ٢٠٠٠ في نظام إقطاعي. وفي العام الأخير تحركت بشدة باتجاه الرأسمالية. بهذه القفزات، أعتقد أنه بعد خمس سنوات يمكن لروسيا أن تجد نفسها في مستقبل مضيء. وكيفما كان، فإن اهتمامنا الرئيس هو الحفاظ على الحب، والطيبة والأمل.



# الفهرس

|          |              |
|----------|--------------|
| ٥.....   | مقدمة        |
| ٧.....   | القسم الأول  |
| ٥٣.....  | القسم الثاني |
| ١٠٥..... | القسم الثالث |
| ١٤٧..... | القسم الرابع |
| ١٨٥..... | خاتمة        |



منشورات دار علاء الدين

سلسلة كتب الكارما من مؤلفات س. ن. لازاريف

١- الكارما.

٢- الكارما الطاهرة.

٣- تشخيص الكارما - طرق التطهير الروحاني.

٤- تشخيص الكارما.

٥- تشخيص الكارما - أسئلة وأجوبة.

٦- تشخيص الكارما - الارتقاء الروحي.

٧- تشخيص الكارما - تخطي السعادة الحسية.

٨- تشخيص الكارما - حوارات وقضايا.

٩- تشخيص الكارما - منهجية الخلاص والبقاء.

١٠- تشخيص الكارما - متابعة الحوار.

١١- تشخيص الكارما - نهاية الحوار.

١٢- تشخيص الكارما - حياة مثل خفقة جناحي الفراشة.



# من منشورات دار علاء الدين

- الكارما التحكم بالمصير ..... أندرية ليفشينوف
- الأخلاق وقوانينها في الكون الثنوي ..... فلاديمير جيكارنتسف
- البنية الثنوية للكون وقوانينه ..... فلاديمير جيكارنتسف
- التحول إلى المحبة الدروب الأرضية ..... فلاديمير جيكارنتسف
- الحب في ازدواجية الكون ..... فلاديمير جيكارنتسف
- أبعاد الحياة ما بين التأمل والتركيز ..... فلاديمير جيكارنتسف
- الخير والشر لعبة الثنوية دراسة القوى الداخلية في الذات ..... فلاديمير جيكارنتسف
- نظرة في أعماق النفس دراسة القوى الداخلية في الذات ..... فلاديمير جيكارنتسف
- الصحة النفسية من وجهة نظر علماء النفس ..... أ. د. كامل علوان الزبيدي
- المساج بدون لمس وطرق توجيه الطاقة وتصويب الكارما ..... إ. كوبيتوف
- طاقة بيتك ..... الكسندر بيرغين، نتاليا بيرغينا
- كيف تكون ظاهرة فريدة ..... ألبرت إغناطكو
- فن العلاج النفسي ..... إيمي يوليس، بيل هينكين
- الكارما تغيير المستقبل ..... ميخائيل ميلر
- التخطيط اللغوي العصبي NLP ..... جوزيف أوكانور
- مختارات في الخير والشر ..... تورفالد دتلفزن
- الشفاء عن طريق التقمص معاشة الولادة المتكررة ..... تورفالد دتلفزن
- الأرزال كيف تضع حداً للناس الذين يؤذونك دون أن تصبح واحداً منهم ..... جيه كارتير
- الشذوذ الجنسي أسبابه أمراضه أشهر الجرائم الجنسية ..... خليل كنش البدوي
- رحلة الأرواح دراسات لحالات عن الحياة بين الحيوانات ..... د. ميشيل نيوتن



# من منشورات دار علاء الدين

● طاقة بيتك

.....الكسندر بيريجين، نتاليا بيريجينا

● كيف تكون ظاهرة فريدة

.....ألبرت إيجناتنكو

● الكارما التحكم بالمصير

.....أندرية ليفشينوف

● التنين المجنح القوة الجنسية

.....أومرام ميكائل أيفانخوف

● فن العلاج النفسي

.....إيمي يوليس، بيل هينكين

● مختارات في الخير والشر

.....تورفالد دتلفزن

● الطريق إلى القيادة وتنمية الشخصية

.....ج. كورتوا

● التخطيط اللغوي العصبي NLP

.....جوزيف أوكانور

● لغة الجسد النفسية

.....جوزيف ميسنجر

● الطب الروحي

.....د. غادة العاسمي

● سيكولوجية إدراك اللون والشكل

.....د. قاسم حسين صالح

● في سيكولوجية الفن التشكيلي

.....د. قاسم حسين صالح

● إشكالية الشر

.....د. هاني نصري

● الحياة بعد الحياة

.....رايموند ماودي

● لغة الجسد

.....غدويس و غروست

● من أسرار العقل

.....غدويس و غروست

● الأخلاق وقوانينها في الكون الثنوي

.....فلاديمير جيكرانتسف

● البنية الثنوية للكون وقوانينه

.....فلاديمير جيكرانتسف

● الحب في ازدواجية الكون

.....فلاديمير جيكرانتسف

● الخير والشر

.....فلاديمير جيكرانتسف

● نظرة في أعماق النفس

.....فلاديمير جيكرانتسف

● أبعاد الحياة ما بين التأمل والتركيز

.....فلاديمير جيكرانتسف

● دغدغة في البطن

.....فولفغانغ بلوم

● فانغا اعترافات البصارة العمياء

.....كراسيميرا ستويانوف

● الكرب أو الشدة النفسية

.....كلاوس شويخ، غيرت شراينكه

● ما يريد مرضك أن يخبرك به

.....كورت تيبرفاين

● التحرش الأخلاقي العنف اليومي الفاسد

.....ماري - فرانس هيريجويان

● الكارما تغيير المستقبل

.....ميخائيل ميلر

● موسوعة الصحة والباراسيكولوجيا

.....يوري إيفانوف

● التحليل النفسي لشخصيات عربية سياسية

.....سمير عبده



# من منشورات دار علاء الدين

● الاستقرار في اللحظة

..... جوزيف غولدشتاين

● لغة الجسد النفسية

..... جوزيف ميسنجر

● الطب الروحي

..... د. غادة العاسمي

● سيكولوجية إدراك اللون والشكل

..... د. قاسم حسين صالح

● في سيكولوجية الفن التشكيلي

..... د. قاسم حسين صالح

● إشكالية الشر

..... د. هاني نصري

● النوم والأحلام تفسير الأحلام على

أسس علمية

..... ميس خوسي

● وزن الماكروبيوتيك العودة للشباب

وإطالة العمر

..... غ. أوساوا

● التقمص أحاديث مع متقمصين

تجارب عملية

..... تورفالد دتلفزن

● من ما وراء الحس الميتافيزيقي إلى

العوالم الأخرى

..... ن. ف. فيبرينتسوف

● لغة الجسد

..... غدويس و غروست

● من أسرار العقل

..... غدويس و غروست

● دغدغة في البطن

..... فولفغانغ بلوم

● فانغا اعترافات البصارة العمياء

..... كراسيميرا ستويانوفا

● الكرب أو الشدة النفسية

..... كلاوس شويخ، غيرت شراينكه

● ما يريد مرضك أن يخبرك به

..... كورت تيرفاين

● التحرش الأخلاقي العنف اليومي

الفاسد

..... ماري - فرانس هيريجويان

● الاكتئاب أعراضه أسبابه تشخيصه

الخلاص منه

..... ليز ماكليرن

● الحقل البيولوجي المعالج طرائق

توظيف طاقة الحقل البيولوجي

..... ي.أ. تريباكوف

● الطريق إلى القيادة وتنمية

الشخصية

..... ج. كورتوا



# من منشورات دار علاء الدين

- التحليل النفسي للعقلية الشامية  
.....سمير عبده
- التحليل النفسي للمكاشفة الباطنية  
.....سمير عبده
- تعلم كيف تمارس التحليل النفسي  
.....سمير عبده
- تعلم كيف تمارس علم النفس  
.....سمير عبده
- من ما وراء الحس الميتافيزيقي إلى العوالم الأخرى  
.....ن. ف. فيبرينتسوف
- النوم والأحلام تفسير الأحلام على أسس علمية  
.....ميس خوسي
- الأرذال كيف تضع حداً للناس الذين يؤذونك دون أن تصبح واحداً منهم  
.....جيه كارتر
- الشذوذ الجنسي أسبابه أمراضه أشهر الجرائم الجنسية  
.....خليل كنش البدوي
- رحلة الأرواح دراسات لحالات عن الحياة بين الحيوانات  
.....د. ميشيل نيوتن
- دزن الماكروبيوتيك العودة للشباب وإطالة العمر  
.....غ. أوساوا
- الاكتئاب أعراضه أسبابه تشخيصه الخلاص منه  
.....ليز ماكليرن

- التحليل النفسي لشخصية أم كلثوم  
.....سمير عبده
- التحليل النفسي لقوة الاستدلال  
.....سمير عبده
- التحليل النفسي للأقوال المأثورة  
.....سمير عبده
- التحليل النفسي للحظ والمصادفة  
.....سمير عبده
- هو وهي تحليل مائة حالة نفسية  
.....سمير عبده
- وجوه مرضية تحليل مائة حالة نفسية  
.....سمير عبده
- الحقل البيولوجي المعالج طرائق توظيف طاقة الحقل البيولوجي  
.....ي.أ. تريباكوف
- العلاقات المشتركة بين الرجل والمرأة تحليل مائة حالة نفسية  
.....سمير عبده
- لماذا لا يصغي الرجال ولا تجيد النساء ركن السيارة  
.....آلان بربرة بيز
- المساج بدون لمس وطرق توجيه الطاقة وتصويب الكارما  
.....إ. كوبيتوف
- التقمص أحاديث مع متقمصين تجارب عملية  
.....تورفالد دتلفزن
- الشفاء عن طريق التقمص معاشة الولادة المتكررة  
.....تورفالد دتلفزن